



# العولمة.. وصورة الإسلام

دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية  
في السيطرة على الإعلام الدولي  
لتشكيل صورة العالم الإسلامي

د. محمد حسام الدين

منتدى سور الأزبكية

www.books4all.net

# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

<https://www.facebook.com/books4all.net>



# العولمة وصورة الإسلام

دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية  
في السيطرة على الإعلام الدولي  
لتشكيل صورة العالم الإسلامي

دكتور

محمد حسام الدين  
المدرس بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

٢٠٠٢

المدينة برس



---

---

إهداء

---

---

إلى ذكرى أمي ..

وإلى ذكرى أبي ..

ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى  
وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ  
صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(البقرة: ٦٢)





## محتويات الكتاب

### الموضوع

#### تقديم

#### الفصل الأول

#### مداخل دراسة تخطية شئون العالم الإسلامي

— تدفق الأخبار عن العالم الإسلامي

أولاً: نماذج التدفق: هل التشاؤم يزداد تشاؤماً ؟

ثانياً: العوامل المؤثرة على تدفق الأخبار الدولية

ثالثاً: مفهوم العالم الإسلامي

رابعاً: العوامل المؤثرة على التدفق الخبري للعالم الإسلامي

— تأثير الإعلام في تأطير شئون العالم الإسلامي

أولاً: نماذج تأثير الأطر

ثانياً: العلاقة بين الخطاب والإطار

ثالثاً: الجذور الاستشراقية والاستعمارية لتشكيل أطر العالم الإسلامي

#### العولمة: منطق التدفق ومعنى الإطار

#### الفصل الثاني

— العولمة : محاولة للاقتراب والتقنين

— خطاب العولمة الاقتصادي

أولاً: أزمة الفكر التنموي

ثانياً: خطاب الشركات متعددة الجنسية

ثالثاً: خطاب البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية

## — الخطاب السياسى للعولمة

أولاً : دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية فى تشكيل سياسة العالم المعاصر

ثانياً: صراع الحضارات .. غطاء إيديولوجى للهيمنة الاقتصادية

## — خطاب العولمة الثقافى والإعلامى

أولاً: الشركات الإعلامية الكبرى وعصر الديجيتال

ثانياً: شبكة الإنترنت

ثالثاً: سيادة ثقافة ما بعد الحداثة

## ملاحق الفصل الثانى

• ملحق رقم (١) : الشركات متعددة الجنسية فى دول العالم الرأسمالى

• ملحق رقم (٢) : ترتيب الشركات متعددة الجنسية حسب مبيعاتها الصناعية

## صورة العالم الإسلامى فى التايم والإيكونوميست

## الفصل الثالث

— التدفق الخبرى عن العالم الإسلامى

— تحليل أطر التغطية الخبرية عن العالم الإسلامى

خاتمة الكتاب

مراجع الكتاب

## تقديم

كاتب هذه السطور يحب الإسلام ويكر قيمه وأخلاقياته الموجهة نحو الآخرة والخلود .. ولا ينكر فضل الغرب بعقلانيته ونظامه بل يعترف أنه لم يستطع أن يهرب من الإعجاب به وبنياه.. وهو بفضل نشأته الدينية وتعليمه الحديث ما كان له أن يأخذ مواقف حدية من هذا أو ذاك.. من الإسلام أو الغرب.. ولعل هذا هو مفتاح رؤيته – المتوازنة أحياناً المتوترة أحياناً – للعلاقة بينهما.

وهو لا يرى – ولا يريد أن يرى في المستقبل – صراعاً دينياً بين الإسلام والغرب.. ويحلم أن يشهد تعاوناً وتفاهماً بدلاً من ذلك.. ولكن أحلامه وأمانيه لم تمنعه من أن يرصد واقع العلاقة بين العاطين الإسلاميين والغربي ومنطق المواجهة بينهما في السنوات العشرة الأخيرة.

وقد بنى رؤيته على أن المستجدات الاقتصادية والسياسية التي واكبت العولمة والخطاب الذي تمخض عن هذه المستجدات كانا بمثابة العدسة الجديدة التي يرى بها الغرب الإسلام امتداداً للعدسات الاستشراقية والاستعمارية السابقة

على هذه المتغيرات الكوكبية.. فيما كان ميراث الماضي الاستشراقي والاستعماري

يطل برأسه عندما يسخن الصراع بين العالمين ويتم تبادل القصص الإعلامي على

خطوط النعاس المتوترة كما حدث في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

وهو يذهب في كتابه أن الطبقة الرأسمالية عابرة القومية في كل من المراكز

الغربية والهوامش الإسلامية هي مركز تحليل الصدام الحادث والمترقب بين دار

الإسلام ودار الغرب ! .. فهي الطبقة التي سيطرت سيطرة شبه كاملة على بيئة

الإعلام الدولي في العقد الأخير.. وهي المسؤولة عن الترويج لثقافة ما بعد الحداثة

وإخلاقيات الرغبة التي تركز عليها.. وهو يرى في ذلك مسوغاً لمصادقة

ومشروعية تحيلائه في المستقبل المنظور على الأقل.

وهذا الكتاب هو فصول منتقاة من رسالته [التغطية الصحفية الغربية

لشئون العالم الإسلامي خلال التسعينيات] ، والتي نال بها درجة الدكتوراه من

كلية الإعلام جامعة القاهرة ، وهو ثمرة خبرته البحثية في مصر والولايات المتحدة

الأمريكية التي قضى بها عامين ما بين ١٩٩٩ و٢٠٠١ في جامعة إنديانا بولاية  
بنسلفانيا.

وفيما كانت كتابات "عاطفية" كثيرة عن العلاقة الخلافية بين الإسلام  
والغرب تأخذ طريقها إلى المكتبة العربية خاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١،  
فإن هذا الكتاب يأتي ليناقش "بالعقل" رؤية اقتصادية وسياسية جديدة لجوهر  
الصراع الذي يلعب فيه الإعلام الكوكبي العابر للحدود دور العامل المساعد المهيض  
.. ساكباً مزيداً من الوقود على النيران.. راشأ كثيراً من الملاح على الجروح.

والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن ينير بصائرنا ويهدينا سواء السبيل لعالم  
يسوده العدل والرحمة والسلام.. عالم يغدو فيه الإنسان حراً بسلطان العقل  
والضمير وسياداً.

**د. محمد حسام الدين**

الجيزة - سبتمبر ٢٠٠٢



تقریر





## تمهيد

مع مطلع العقد الأخير في القرن العشرين، وفي أعقاب التحولات المجتمعية الحادة التي حدثت في الاتحاد السوفيتي السابق ودول أوروبا الشرقية، بدأت الدوائر الأكاديمية الغربية - الأمريكية بالأساس - في تصعيد اهتمامها بدراسة الإسلام كدين وعقيدة، وكقوة سياسية وحضارية تملأ الفراغ الأيديولوجي والسياسي الناشئ عن هذه التحولات، والذي يمثل تهديدات مباشرة للمصالح الغربية في العالم من جهة ولنسق القيم التي تحفظ هذه المصالح من جهة أخرى.

وقد انقسم هؤلاء الأكاديميون إلى فريقين، الأول: ذهب إلى أن الصراع الإسلامي الغربي سيصبح جزءاً أساسياً من السياسة الدولية في المستقبل المنظور، ويعتبر (صمويل هانتجتون) الأستاذ بجامعة هارفارد رائد هذا الفريق بمقاله الشهير "صدام الحضارات" الذي وضع فيه تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صراع الحضارات محل الحروب الباردة والمعارك الأيديولوجية حول الفاشية والشيوعية والديمقراطية التي سيطرت على صراعات القرن الماضي، ويتوقع هانتجتون أن يميل الناس إلى تعريف أنفسهم وفقاً لانتماءاتهم الحضارية الغربية، الإسلامية، الكونفوشيوسية الصينية، الأمريكية اللاتينية، السلافية الأرثوذكسية ... إلخ وسيكون الصراع الإسلامي - الغربي هو الأكثر استمرارية<sup>(١)</sup>.

أما الفريق الثاني فقد قرر أن اعتبار الإسلام عدواً للغرب يهدد مصالحه هو مبالغة وتحريف لطبيعة الإسلام إلى جانب كونه إنكاراً للحقائق الأساسية للعائد الإسلامي وعلاقاته المختلفة بالغرب، ويشمل جون أسبوزيتو الأستاذ بجامعة

---

(١) ألفت حسن أغا: الأصولية الإسلامية في الإعلام الغربي، سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأمرام، عدد (٢٥)، يناير ١٩٩٥، ص ٧ نقلاً عن: Samuel P. Huntington, "The Clash of Civilizations", *Foreign Affairs*, spring 1993, pp. 43-56.

## تمهيد

(جورج تاون)، وجراهام فولر الباحث بمؤسسة (راند) والمحلل السياسي السابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي اقترح التعامل مع الحركات الإسلامية الثورية باحتوائها بدلاً من مواجهتها<sup>(١)</sup>.

وكما انقسم الباحثون السياسيون، انقسم الباحثون الإعلاميون الغربيون ما بين معتبر أن الإعلام الغربي عليه العبء الأكبر في مواجهة الخطر الإسلامي القادم، وبين مقرر أن هذا الإعلام قد زاد من تحيزه ضد الإسلام، ومن التوسع في التغطية غير الموضوعية والمشوهة لتحقيق مكاسب سياسية<sup>(٢)</sup>.

ومع بداية حرب الخليج الثانية اكتشفت وسائل الإعلام الغربية القيمة التسويقية العالمية لموضوع (الإسلام)، وشرعت القنوات التلفزيونية والصحف اليومية والأسبوعية والكتب في تناول تفاصيله دون أن تلقى بالاً للتيارات السياسية المختلفة وللأبعاد الاجتماعية والعرقية والثقافية في البلدان الإسلامية وهي أبعاد جد معقدة فعرضت الإسلام ككتلة واحدة صماء دون تباينات<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء هذا الاهتمام من جانب الإعلام الغربي بالإسلام متزامناً مع مجموعة من التغيرات العميقة في بيئة الإعلام الدولي منها زيادة البث التلفزيوني الفضائي المباشر، والتوسع في الاستخدام التجاري الشخصي لشبكات المعلومات الدولية وعلى رأسها شبكة (الإنترنت) الأمريكية فضلاً عن ظهور ما يسمى بالطريق السريع أو (السيارة) للمعلومات Super High Way الذي كان نتاجاً لتطور تكنولوجيا الوسائط المتعددة Multi Media تراوفاً لثورتى المعلومات والاتصال.

(1) Stephen Franklin, "Covering the World of the Muslims". *Columbia Journal of Research*, Vol. 37, No. 1, Jan. 1995, p. 17.

(2) Ibid, p. 17.

(٣) يوخين هينئر، أندريا لويج: الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، ترجمة أيمن شرف (القاهرة: الفرسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٢١.

## تمهيد

فبلغ حجم استثمارات صناعة المعلومات في دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية ١٧٩ مليار دولار تنافس عليها ٢٠٠٠ شركة طبقاً لإحصاءات مركز الأمم المتحدة للشركات عبر القومية، كما تمتلك أمريكا حوالى ٦٠% من بنوك المعلومات في العالم، ٧٥% من حجم الإنتاج التلفزيونى العالمى، ٨٢% من حجم إنتاج الكمبيوتر ومكوناته وكذلك تكنولوجيا الأقمار الصناعية التى حولت إليها الإدارة الأمريكية جزءاً كبيراً من ميزانية برنامج حرب النجوم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى لاستخدام تكنولوجيا الفضاء فى الهيمنة الثقافية<sup>(١)</sup>.

وفى عالم أحادى القطبية، عمدت الولايات المتحدة إلى استخدام المؤتمرات الدولية للأمم المتحدة (البيئة، السكان، المرأة) كآلية سياسية وإعلامية لتشكيل الإجماع القيمى الذى تراه القوة النسيمة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وإعلامياً لاسيما بعد ظهور نظرية البروفيسور فرانسيس فوكاياما (نهاية التاريخ) المبشرة بالانتصار التاريخى للرأسمالية كنظام اقتصادى، وللديمقراطية والتعددية كنظام سياسى بما يحمله الاثنان من قيم نفسية واجتماعية.

وقد اصطنح على تسمية الآليات السابقة باليات مفهوم الكوكبية أو "العولمة" Globalization الذى يعكس العلاقة بين البنية التحتية لوسائل الإعلام فى الأسس وبين القيم والأعراف التى تقدمها فى ظل الثورة التكنولوجية، أو بعبارات أخرى: الاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين<sup>(٢)</sup>. فيما كان بعض الأساتذة الأمريكيين المحافظين من أمثال جون ميرل Merrill يسقطون تعبير (النظام الإعلامى العالمى الجديد) - الذى تبنته اليونسكو

(1) Fredrick Williams & John. V. Pavlik. The People's Right to Know: Media, Democracy and the Information Highway (New Jersey: LEA Publishers, 1994). p. 220.

(2) George Gerbner et al (eds.). The Global Debate: Its Rise, Fall and Renewal (New Jersey: Ablex Publications, 1993). p. 5.

## تمهيد

في السبعينيات لتحقيق نظام إعلامي أكثر توازناً - على الوضع الراهن فيسمونه افتتاحاً وبهتاناً (النظام الإعلامي والاتصالي العالمي الجديد) NWICO<sup>(1)</sup>

ولذلك تكتسب دراسة (التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي) أهمية تطبيقية باعتبارها تنحو إلى رصد تأثير البيئة الجديدة للإعلام الدولي على السياسات الإعلامية، والاستراتيجيات الاتصالية التي تمثل متغيراً وسيطاً يفضي إلى قرارات تحريرية بشأن ما يبشر ويبث عن العالم الإسلامي في الإعلام الغربي، يدعم ذلك ما انتهى إليه جيمس هوج Hoge رئيس تحرير دورية (شئون خارجية) من أن وسائل الإعلام ستقوم بدور العامل المساعد Catalyst في تذكية الصراعات السياسية الكوكبية من جهة، واستغلال غياب استراتيجية حكومية مقنعة ومتبلورة لوضع أولويات لصانعي القرار تجاه هذه الصراعات من جهة أخرى<sup>(2)</sup>.

• • •

رأى المؤلف أن تعتمد دراسته فيما يتعلق بإطارها النظري على فكرة (تعاقد وتساند الأطر النظرية المفسرة لظواهر الإعلام الدولي) وهي الفكرة التي طرحها أستاذان كبيران في الإعلام الدولي على الرغم من تباينهما الفكري، فأحدهما هو حميد مولانا Mowlana المنظر النقدي المعروف، والثاني هو روبرت ستيفنسون Stevenson أحد أعمدة التيار المدرسي الأمريكي المحافظ.

فقد رأى (مولانا) في إطار بحثه عن نموذج جديد للإعلام الدولي ضرورة تبني فهم متداخل لتأثير الإعلام ونماذجه وأبعاده يتمشى مع دور الإعلام الدولي في التغيير الثقافي والاجتماعي بالتحرر من القوالب النظرية الجامدة<sup>(3)</sup>، فيما ذهب

(1) John Merrill et al. *Modern Mass Media*. 2<sup>nd</sup> ed.. (New York: Harper Collins College Publishers, 1994). p. 419.

(2) James Hoge, Jr. "Media Pervasiveness". *Foreign Affairs*, Vol. 73. No. 4. July/August 1994. pp. 136-144.

(3) Hamid Mowlana. "International Communication Research in the 21<sup>st</sup> Century: From Functionalism to Postmodernism and Beyond" in Cees Hamelink et al (eds.). *Mass Communication Research and Policies* (New Jersey: Ablex Publication Co., 1994). pp. 353-368.

## تمهيد

(ستيفنسون) إلى أن الدراسات الدولية و غير الثقافية في الإعلام يجب ألا تعتمد على "التدفق" Flow أو "السيادة الثقافية لأمة على أخرى" Hegemony فقط، بل يجب أن ترتبط المداخل النظرية على نحو مقارن لتفسير ظواهر هي بالأساس كونية<sup>(١)</sup>.

لذلك فإن طبيعة موضوع الكتاب تقتض أن تتسند مجموعة من المداخل النظرية وهي: مدخل (العولمة / الكوكبية) وسيتم استخدامه لاختبار الفروض ذات الطابع الكلي Macro، مدخل (التدفق)، ثم مدخل (تأثير الأطر الإعلامية) وهما المدخلان اللذان يصلحان لاختبار الفروض أو إجابة التساؤلات ذات الطابع الجزئي Micro فيما يتعلق بتغطية الإعلام الدولي لشئون العالم الإسلامي.

• فمدخل العولمة / الكوكبية يعنى - ضمن ما يعنى - الاتجاه العالمى المتزايد للتقارب بين السلع والناس ورأس المال، وكذلك يشمل الاعتماد المتبادل على المجتمع المدنى الكونى المدعوم بحوالى ١٠ آلاف منظمة غير حكومية NGOs تعمل بوصفها إطاراً موازياً للحكومات فى الوقت الذى يوفر فيه السلام العالمى - من وجهة نظر الدول المروجة للفكرة - المناخ المناسب لهذا التقارب<sup>(٢)</sup>، وللعولمة (الكوكبية) مظاهرها الإعلامية التى رصدها ستيفنسون وهى: الهيمنة الأنجلوأمريكية عن طريق آليات اللغة (الإنجليزية)، وكالات الأنباء والأخبار، الثقافة الشعبية / ثقافة البوب، وتكنولوجيا المعلومات، ثم انبعاث الثقافات القائمة على الدين والعرق واللغة فى الوقت الذى تتم فيه الدعوة لثقافة كونية سائدة، وانتصار نمط الصحافة التى لا تتحكم فيها الحكومات<sup>(٣)</sup>.

وقد أضاف هيرش Hirsch لمظاهر العولمة التغيرات التى حدثت على

(1) Robert Stevenson, "Defining International Communication as a Field", *Journalism Quarterly*, Vol. 69, No. 3, Fall 1992, pp. 543 - 553.

(2) Haluk Sahin et al, "Global Media and Cultural Identity in Turkey", *Journal of Communication*, Vol. 43, No. 2, spring 1993, pp. 31 - 41.

(3) Robert Stevenson, Op. Cit., pp. 543 - 553.

## تمهيد

صعيد ملكية وسائل الإعلام الكبرى بدخول مستثمرين يابانيين وإيطاليين وأستراليين لشراء أسهم كبيرة في وسائل الإعلام الأمريكية، وظهور تكتلات صحفية وإعلامية دولية جديدة في إيطاليا (بيرلسكوني)، كندا (طومسون)، البرازيل (مارينهو) <sup>(١)</sup>.

ويعتبر نموذج الصراع الثقافي والحضاري هو وجه العملة الآخر لنموذج العولمة، إذ كان الأول رد فعل للأخير الذي يحاول تشكيل إجماع قيمي مقبول ومتداول في العالم أجمع يستطيع أن يمرر به سياسات ربط الحكومات والقطاع الخاص في دول العالم الثالث خاصة بدوائر صنع الاقتصاد الرأسمالي الكوني الذي يعتمد على استراتيجيات إعلامية وإعلانية كونية تطلق العنان لشهية الاستهلاك ونمط الإنتاج الذي يقابل هذه الشهية <sup>(٢)</sup>.

ويقدم مجيد تيهرانيان Tehranian تحليلاً فائق العمق يفسر فيه لماذا يعتبر الإسلام بنسقه القيمي القائم على الإيثار والتقناعة وإشباع الروح - على المستوى النظري على الأقل - خطراً داهماً على مشروع العولمة ونسق قيم ثقافة ما بعد الحداثة القائم على اللذة والإشباع المادي بالأساس، كما يفسر لماذا يقدم الإعلام الغربي صوراً مغلوطة للإسلام السياسي وحركات العنف دون أن يبين دور السياسات الاقتصادية الكوكبية في حالة الإحباط العميق الذي تعاني منه شرائح كبرى في المجتمعات الإسلامية <sup>(٣)</sup>.

وقد رأى المؤلف أن يختبر فرضية أساسية في بحثه ترى أن هناك تمثلاً أو تناسلاً Intertextuality بين خطاب العولمة الاقتصادية والسياسي والإعلامي الذي تنتجه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وبين الخطاب الصحفي الغربي الذي يُعيد

(1) Paul Hirsch, "Globalization of Mass Media Ownership", Communication Research, Vol. 15, No. 6, December 1992, pp. 677 - 681.

(2) Enrique Gonzalez - Manet, Information and Society: The New Challenges (New Jersey: Albex Co., 1992), p. 9.

(3) Majid Tehranian, "Global Communication and Its Critic", Journal of Communication, Vol. 45, No. 2, spring 1995, pp. 185-193.

## تمهيد

إنتاج مقولات خطاب العولمة وأدلته وتبريراته عند تغطيته لشئون العالم الإسلامى فى التسعينيات.

وعلى ذلك يفترض المؤلف أن العولمة هى العدسة الثالثة الجديدة بعد العدستين الاستشراقية والاستعمارية التى يرى بها الغرب الإسلام وهو ما سيوضحه تفصيلاً فى فصول الكتاب، وتجدر الإشارة إلى أن العدسة العولمية قد سادت ويمكن أن تسود وقت السلم، بينما يتم "وضع" العدستين الأخريين فى أوقات الحروب والمواجهة كما تجلّى ذلك بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الدامية، والتى أتهم فيها تنظيم القاعدة الذى يقوده المنشق السعودى أسامة بن لادن بضرب مركز التجارة العالمى بنىويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية بالعاصمة واشنطن.

• ويدرس مدخل التدفق للأخبار والمعلومات التوازن الخارجى للأخبار المنشورة أو المذاعة عن مناطق مختلفة من العالم أو بين دول منطقة معينة، ولعل نموذج ألباكت النرويجى جالتونج Galtung لتدفق الأخبار فى العالم، المطور من داخل عباءة المدرسة السياسية فى العلاقات الدولية يصلح نموذجاً نظرياً لتفسير تغطية وسائل الإعلام الغربية خبرياً لشئون العالم الإسلامى والتى تتركز أحد فرضياته على ارتباط تغطية دول المركز للأحداث الدائرة فى دول الأطراف على مدى تعرض مصالح دول المركز للأخطار<sup>(١)</sup>، وهو ما سيناقشه المؤلف فى الفصل الأول.

• ويأتى مدخل دراسة (تأثير الأطر) بتطبيقاته النقدية ليكمل التسانن النظرى لتغطية شئون العالم الإسلامى، إذ تقدم هذه التطبيقات تحليلات متعمقة للأسباب والحلول التى تطرحها وسائل الإعلام للقضايا التى تقوم بتغطيتها باستخدام المداخل اللغوية والدلالية وكذا للأدوار التى تطرحها التغطية للقوى الفاعلة، وهى الأطر

(1) William H. Meyer, Structures of North – South Information Flow: An Empirical Test of Galtung's Theory. Journalism Quarterly. Vol. 68. No. 1. 2. spring / summer 1991. pp. 230 – 237.

## تمهيد

التي تشكل الصور الإعلامية التي تتحول لصور ذهنية عندما يتم دراسة النتائج النهائية للانطباعات الذاتية التي تتكون لدى الأفراد أو الجماعات إزاء شعب أو جنس أو دين بعينه أى عند دراسة الإنسان (القائم بالاتصال - الجمهور)، وهو ما سيتم التعرض له بالتفصيل فى الفصل الأول.

وسيستخدم المؤلف فى دراسته تعريفاً للتغطية يعنى به "العملية التى يقوم خلالها المحرر الصحفى بالحصول على معلومات عن التفاصيل والتطورات والجوانب المختلفة لحدث أو واقعة أو تصريح ما، ثم يقيم هذه المعلومات ثم يكتبها ويحررها بأسلوب صحفى مناسب وقد تكون التغطية تمهيدية أو تقريرية أو تتبعية" (١).

وهى العملية التى يمكن الاقتراب منها نظرياً من خلال المداخل المختلفة لعلوم الاتصال، والمؤلف فى دراسته يستخدم مدخلى التدفق الخبرى، وتأثير الإطار.

• • •

تتركز المشكلة البحثية حول رصد جوانب التغطية الصحفية الغربية الكوكبية لشئون العالم الإسلامى فى التسعينيات من خلال تحليل وتفسير شكل التدفق وتأثير الأطر الإعلامية للجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة لبلدان العالم الإسلامى كما تتناولها عدد من وسائل الإعلام ذات الانتشار الكونى، وقد اختيرت الصحافة الأمريكية والبريطانية الكوكبية بوصفها أكثر حلقات فكرة العولمة تكوناً ونضجاً وأشدّها تأثيراً.

وترتبط المشكلة البحثية بالنقاط التالية:

- إن الإسلام بما يمثله من نسق معيارى وقيمى ذى مخزون حضارى

---

(١) ليلى عبد المجيد ومحمود علم الدين: فنية الكتابة الصحفية والتحرير، (القاهرة: دون ناشر، ١٩٩١)، ص ١٢٥.



## تمهيد

يشكل تهديداً مباشراً للإجماع القيمي والسلوكي الذي يمثل السداة واللحمة لفكرة العولمة باعتباره ابرز آليات استمرارها وبقائها، وهي الفكرة التي تروج لها وسائل الإعلام الأمريكية وتلج عليها باعتبارها الوسيلة التي تحفظ للولايات المتحدة مركزاً وسط القوى العالمية الأخرى (اليابان - انصين - أوروبا الموحدة - النمرور الآسيوية) بل لا نتجاوز حين نقول لحفظ الولايات المتحدة من الانهيار، فقد رصد عدد من الباحثين مظاهر التدهور الأمريكي في مجالات الاقتصاد والتصنيع والتعليم والصحة مقارنة بالقوى العالمية الأخرى، وفي التسعينيات مقارنة بالسبعينيات والسبعينيات بالنسبة للولايات المتحدة نفسها، فالشركات متعددة الجنسية مثلاً يحميها من السقوط في أمريكا الإبقاء على نمط الاستهلاك - لا سيما في صناعة المعلومات - والتي تروج لها استراتيجيات العلاقات العامة في هذه الشركات الكبرى<sup>(١)</sup>.

فإذا كانت حركات العنف السياسي التي تتبناها بعض الجماعات في العالم الإسلامي تشكل خطراً تكتيكياً على المصالح الأمريكية في العالم فإن قيم النموذج الإسلامي تشكل الخطر الاستراتيجي، ولذا فإن تبني شعوب العالم لفكرة العولمة ونسقتها القيمي هو معيار نوعية التغطية الكوكبية لها إيجاباً أو سلباً، وفي هذا الإطار تصح المقارنة بين صورة ماليزيا وصورة إيران<sup>(٢)</sup>، يرتبط بذلك ما انتهى إليه باربيرو من أن الولايات المتحدة تروج لفكرة العولمة لأن شركاتها هي التي تنتج الأدوات التكنولوجية والاتصالية والمعلوماتية التي تحدثها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال - ميشيل ألبير: الرأسمالية ضد الرأسمالية، ترجمة مركز سيداج (القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥).

(٢) تحسنت صورة إيران في الإعلام الغربي بعد إصلاحات الرئيس الإيراني محمد خاتمي الذي يرأس إيران منذ عام ١٩٩٧ وحتى الآن.

(٣) Jesus - Martin Barbero, "Latin America: Cultures in the Communication Media". Journal of Communication. Vol. 43, No. 2, spring 1993, pp. 18 - 30.

## تمهيد

• أن وسائل الإعلام الكوكبية تشكل الصورة الذهنية عن الأمم والشعوب والأفكار والسياسات لدى قطاعات عريضة من صانعي القرار، والإعلاميين، والجمهور العام خارج الولايات المتحدة الأمريكية بل أن وسائل الإعلام الكوكبية خاصة القنوات الفضائية كشبكة CNN أصبحت مصدراً أساسياً من مصادر الأخبار في دول العالم الثالث خاصة بما يعنى أن صورة بعض الدول الإسلامية عن بعضها البعض تشكلها وسائل الإعلام الكوكبية.

• إن وسائل الإعلام الكوكبية تستغل آليات العولمة الأخرى كالمؤتمرات الدولية (البيئة - السكان - المرأة) كى تروج للنسق القيمي والسلوكي العولمي - إن جاز التعبير - فى الوقت الذى تبرز فيه الخصوصية الإسلامية على أنها خروجاً عن نسق الحضارة واتجاهاً سلوكياً ناشزاً متخلفاً، يدعم ذلك ما أورده إيناس أبو يوسف - نقلاً عن دويتش وميريت - من أن وسائل الإعلام لديها القدرة على تغيير الصورة القائمة لما لها من إمكانيات فائقة فى التأثير على الرأى العام وعملية التشبث الاجتماعية وكذلك التركيز على موضوعات وأحداث دون أخرى<sup>(١)</sup>.

• أنه على الرغم من تبنى بعض الدول الإسلامية الكبرى كمصر والسعودية وتركيا سياسات إعلامية فضائية إلا أنه لم يتبلور بعد سياسة فضائية إسلامية موحدة، تقدم الإسلام كنسق قيمي واجتماعي وتشريعي فى مقابل الإجماع القيمي الذى تكرسه العولمة، ذلك لعدة أسباب منها القطرية المسيطرة على الفكر السياسى للدول الإسلامية وعدم وضوح فكرة الجامعة الإسلامية Pan - Islamism بسبب الاختلافات التاريخية الدينية والسياسية ومنها سيطرة القطاع الخاص بالكامل على القنوات الفضائية فى تركيا واتجاهه لتحقيق أرباح تجارية سريعة وجذب أكبر عدد من المشاهدين والمعلنين<sup>(٢)</sup>.

• • •

(١) إيناس أبو يوسف، مرجع سابق، ص ١٩.

(2) Haluk Sahin et al., Op. Cit., pp. 31- 41.

## تمهيد

يهدف الكتاب إلى وصف وتحليل وتفسير التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي من خلال تطبيق المدخلين النظريين التدفق الخبري، وتأثير الإطار لقياس تأثير أربعة أبعاد على هذه التغطية:

١- البعد الإعلامي: ويشمل العوامل الخارجية التي اصطلح على تسميتها Extra - Media Factors المتعلقة بوضع الدولة الإسلامية أو الأقلية الإسلامية الجغرافي، وحجمها، وعدد سكانها، ومستواها الاقتصادي، وحالتها السياسية فيما خرجت من إطار الدراسة العوامل الداخلية - Intra Media Factors والتي تشمل تأثير نمط الملكية والسيطرة والتمويل، واقتصاديات الإدارة وكذلك العوامل المهنية المتعلقة بالقائم بالاتصال.

٢- البعد الثقافي والحضاري: حيث تظهر تجليات المواجهة الثقافية والحضارة بين الإسلام والغرب العلماني على التغطية الإعلامية - والصحفية داخليا - وأنتى تعمل كما وصفها هوج Hoge بوصفها عامل مساعد Catalyst في سياق الصراع السياسى والاجتماعى، الداخلى والخارجى.

٣- البعد السياسى والاستراتيجى: والذي يشمل علاقة دولة "المركز" التى تتبنى فكرة العولمة بدون الأطراف الإسلامية، ودور دولة إسلامية بعينها فى تحقيق المصالح السياسية والأمنية لدولة المركز أو مساواة هذه المصالح.

٤- البعد الزمنى: حيث يشيد العالم الإسلامى أحداث هامة فى عقد التسعينيات

منها اندلاع عدد من الحروب الإقليمية (حرب الخليج الثانية) والأهلية (البوسنة - أفغانستان - السودان)، تصاعد أعمال العنف السياسى الداخلى

## تمهيد

فى العالم الإسلامى ، بروز البعد الإسلامى فى الصراع العربى -  
الإسرائيلى بعد تدهور فكرة القومية العربية، اعتبار الإسلام "العدو  
الأخضر" الذى يهدد مصالح القوى العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة.



رأى المؤلف أن يختار عينة من الصحف الناطقة باللغة الإنجليزية على أن  
تكون ذات نطاق توزيع كوني ومملوكة للمجموعات الإعلامية الكبرى فى كل من  
الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وذلك على أن تكون أيضاً ذات طبيعة خبرية وقد  
وقع اختياره على الطبعة الدولية لمجلة التايم الأمريكية ومجلة الإيكونومست  
البريطانية.

وقد اختار المؤلف هاتين المجلتين لأسباب التالية:

١- تمثل التايم والإيكونومست الصيغة الإخبارية التى تقدم الوقائع والأحداث  
مدعمة بمعلومات خلفية وتفسيرات وتوقعات مما يجعلها تفارق الشكل الخبرى  
التقليدى المجرد، وهو ما أفاد المؤلف فى تطبيق مداخله النظرية على محتوى  
المجلتين.

٢- تعتبر التايم والإيكونومست من المجلات التى يُطلق عليها Elite  
Magazines أى مجلات النخبة أو الصفوة وهو ما أراد المؤلف لاختبار  
تمثلات خطاب العولمة فى الخطاب الصحفى الغربى حيث أن هذه المجلات  
موجهة فى الأساس لصناع القرار السياسى والاقتصادى فى المجتمعات الغربية  
والعالم أجمع.

٣- اختيار المؤلف مجلة التايم كعينة ممثلة - للمجلات الأمريكية الإخبارية  
الكوكبية - لأنها المجلة الإخبارية الوحيدة التى تملكها أكبر مجموعة كونية  
إعلامية فى العالم وهى مؤسسة تايم وارنر - أمريكا أون لاين وهو ما افترض  
المؤلف أنه سيعينه على رصد وتحليل وتفسير تمثّل خطاب العولمة الاقتصادى  
والسياسى فى تغطيتها الإخبارية.

## تمهيد

٤- اختار المؤلف مجلة الإيكونومست كعينة ممثلة للمجلات البريطانية لأنها  
المجلة الوحيدة التي تشابه صيغتها الإخبارية مجلة التايم بما يعنى اتساقاً فى  
تحليل المادة الإخبارية.

### أ- مجلة التايم:

تمتلك مجلة التايم أكبر مجموعة إعلامية فى العالم وهى تايم وارنر -  
أمريكا أون لاين ويصل رأس المال المتداول للشركة الجديدة إلى ٣٦٠ مليار دولار  
عند اندماجها فى يناير ٢٠٠٠، وتكون الشركة المدمجة عملاقاً إعلامياً يجمع بين  
وسائل الإعلام التقليدية والجديدة بشكل غير مسبوق ويسمح بعرض البرامج من  
إنتاج (تايم وارنر) على شبكة الإنترنت ويتيح لأمريكا أون لاين استخدام شبكة  
كابلات التلفزيون المدفوع الخاصة بتايم وارنر لتحقيق الاتصال السريع بالإنترنت  
وتمتلك الشركة الجديدة أسماء لامعة فى عالم الشركات منها نيتسكيب، وارنر  
ميوزيك جروب، وفورتن كميوسرف<sup>(١)</sup>. وكانت هذه حلقة من حلقات الاندماج إذ  
اندمجت شركة وارنر مع شركة تايم فى ١٩٨٩<sup>(٢)</sup>.

وقد صدرت مجلة تايم فى مارس ١٩٢٣ كحدث هام فى الصحافة الأمريكية  
من نواح عديدة أبرزها تحويل الاهتمام الصحفى تجاه معنى وسياق الأنباء عندما  
فرض الإيقاع السريع للحياة فى القرن العشرين بالإضافة إلى الكم المذهل من  
المعلومات التى تنشرها الصحف الحاجة إلى طرق أكثر تنظيماً واختصاراً لعرض  
تلك المادة، وكان هدف التايم كما قررت وثيقة تأسيسها هو إيجاز وتنظيم الكم الهائل  
من المعلومات والحقائق والأحداث الأسبوعية فى شكل أبواب مقروءة فى متناول  
اليد وفسرت التايم تلك الحقائق وأخبرت القراء ماذا يظنون إزاء تلك الحقائق من  
خلال الجمع بين الرأى والمعلومة.

(١) الأهرام، ١١/١/٢٠٠٠ م.

(٢) فارس أشتى: الإعلام العالمى (بيروت: دار أمواج، ١٩٩٦)، ص ٤١.

## تمهيد

ويرأس Reginald Brak. Jr. شركة تايم وارنر التي تمتلك التايم والناشر هو Robert Miller بينما الناشر لطبعة الأطلنطي هو Linos Kogevinas ورئيس تحرير الطبعة المحلية هو (Jason McManos) وهذا المنصب في معظم المجلات منصب إداري حيث يندر أن يضع قلماً في المواد التحريرية للمجلة ويمكن بلورة مهام رئيس التحرير في أربع وظائف أساسية هي مراقبة العمليات التحريرية. والعلاقات والاتصالات الإدارية، والتخطيط، والعلاقات العامة.

ومهمة رئيس التحرير التنفيذي Managing Editor هي المتابعة اليومية للعدد المقرر نشره ويشرف على استكمال مادته ككل، ويعتبر المتصرف الفعلي في أعمال التحرير وهو في مجلة التايم هنري مولر Muller وفي الطبعة الدولية Karstan Prager<sup>(١)</sup>.

### ب- مجلة الإيكونوميست:

تمتلك مجلة الإيكونوميست مجموعة بيرسون Pearson البريطانية التي تنشر الفينشال تايمز أيضاً، وهي من شركات المستوى الكوني الثاني وليست من بين العشرة الكبار في العالم. ويبلغ رأس مالها ٢,٩ مليار دولار وعدد شركاتها الغربية ١٣٤ شركة (٥٠ في الولايات المتحدة، ٢٦ في غرب أوروبا، ٥ في أفريقيا، ٢٠ في آسيا فضلاً عن شركات في كندا واليابان وأمريكا اللاتينية). وتمتلك دور نشر Penguin, Longman<sup>(٢)</sup>.

وتستثمر مجموعة بيرسون حوالي ٢٥٠ مليون جنيه إسترليني في خدمات شبكة الإنترنت، وهو ما يضع بيرسون على رأس الشركات المستثمرة الأوروبية في مجال الإنترنت، وهي بصدد إنشاء شبكة تعليمية تضم ٢٠٠ موقع على شبكة ويب

---

(١) شيم عبد الحميد قطب: 'دراسة مقارنة لفنى القصة الخبرية والتقارير الخبرية في الصحافتين تايم وأكتوبر. رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.

(٢) فارس أشتي، مرجع سابق، ص ٥٨.

## تمهيد

بالتعاون مع العملاق الأمريكي تايم وارنر - أمريكا أون لاين، على أن يكون أول مشروع فى ذلك هو كتب بنجوين أون لاين<sup>(١)</sup>.

وتأسست مجلة الإيكونومست فى عام ١٨٤٣، وحازت مكانتها كواحدة من المجالات المرجعية وتغطى معلوماتها وتحليلاتها الشؤون العالمية من سياسة وأعمال وتسويق واقتصاد فضلاً عن أبواب العلم والتكنولوجيا والفن والمالتي ميديا وتقدم المجموعة معلومات تفصيلية عن ١٨٠ دولة فى العالم من خلال مطبوعات ومؤتمرات (وحدة مخابرات الإيكونومست) The Economist Intelligence Unit، فضلاً عن مجموعة أخرى من المطبوعات هى CFO Europe, CFO Asia, Journal of Commerce ويدير الإيكونومست كرئيس للتحليل (دومنيك كادبرى)، ولمجلة الإيكونومست أسلوب متميز ومتسق لدرجة جعلت بعض دارسى اللغة والإعلام يقررون أنها أكثر مجلة عالمية تستخدم ما يعرف بـ Style Guide<sup>(٢)</sup> أو الدليل الأسلوبى للكتابة.



وقع اختيار المؤلف على المواد الإخبارية فى كلا من مجلتى التايم والإيكونومست، لسبب بديهي هو أن المادة الخبرية هى أكثر المواد فى محتوى المجلتين فقد كشفت الدراسة الاستطلاعية التى أجراها المؤلف على عينة من المجلتين فى شهر مايو ١٩٩٦ أن المواد الخبرية تشكل ٩٠%، ٩٣% من محتوى كلا من التايم والإيكونومست على الترتيب.

وهناك ملاحظات على المادة الخبرية المنشورة فى كلا من التايم والإيكونومست:

أغلب المادة الخبرية هى فى شكل تقارير خبرية لا تقتصر على الوصف المجرد للأحداث، بل تتعدى ذلك إلى تقديم خلفيات للأحداث وآراء متعددة تجاه

(1) Pearson to Invest 250 M. £ in Web Content @ <http://www.sako.co.za/English/>

(2) About the Economist Group @ <http://www.economistgroup.com/about.html>.

## تمهيد

الحدث، يعقب ذلك التحليل والتفسير ثم التوقع والنظرة المستقبلية للأحداث، وما تقدم يستدعى ظهور رأى (المراسل - المحرر) فى التقرير فى العبارات / المقولات التقييمية والتعريفية والتنبؤية، وذلك ما يجعل التقرير الصحفى فن قائم بذاته عماده الأساسى الحقائق ولكن يتم نسجها مع الآراء والأحكام التى تظهر جلية فى اللغة.

ونعل ما يدل على ذلك أن هنرى لويس - الصحفى الذى أصدر التاييم - ومحرروه لم يزعموا الالتزام بالمعايير المعروفة فى ذلك الوقت للموضوعية والتى اعتبروها من قبيل الخرافة حيث لم تبغ مجلة التاييم أن يطلق عليها تعبير (التجرد والحياد فى العرض) إلا أن المجلة فى مقال تاريخى نشر فى عيدها السنوى قدمت تفسيراً للموضوعية بمعناها الجديد عندما طرحت تساؤلاً حول الفرق بين الموضوعية والعدالة فى انعرض؟ وأجابت بأن الصحفى المسئول ملتزم تجاه ذلك التفسير للحقائق الذى يبدو له ملائماً للأمور كما هى فى الحقيقة. فهو عادل فى عدم لى الحقائق لكى تدعم رأيه وهو عادل فى العرض بعدم كبت الحقائق التى تزيد الآراء التى تخالف رأيه (١).

وينطبق ذلك على الإيكونومست التى فى عرضها لـ Style Guide أو (دليل الأسلوب) الخاص بها، أوضحت ضرورة عرض وجهات النظر المختلفة تجاه الأحداث المغطاة فى التقارير الخبرية وأضافت أنه برغم أن الإيكونومست تبدو مكتوبة بقلم واحد وهو أمر مرجعه التزام صحفييها لـ "دليل الأسلوب" إلا أنه على محرريها أن يصوروا الجو العام للأحداث بشكل يجذب القارئ، وهو ما يلمح - كما أثبتت الدراسة الاستطلاعية - إلى أن المؤلف يمكن أن يرى التدخل بالرأى واضحاً فى صياغة الإيكونومست الخبرية (٢).

أى أن كلا من المجلتين التزمنا بجانب واحد فقط من الموضوعية (نظرياً

(١) شيم قطب، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٢) The Economist Style Guide @ <http://www.economist.com/editorial/freeforall/library/styleguide/toc.html>.



## تمهيد

على الأقل) وهو عرض وجهات النظر المتعددة المتباينة تجاه حدث واحد وهو ما يسمى بالتوازن واستبعدت - كما سيتضح من الفصل التطبيقي - الالتزام بموضوعية الإسناد التي تتمثل في إسناد كل رأى إلى مصدر وفصل الرأى عن الخبر<sup>(١)</sup>.

• • •

وقد اختار المؤلف للتحليل الشهور الثلاث الأولى من عام ١٩٩٧ الذى اختاره المحكمون نظراً لأن طبيعة بحثه كانت تقتضى عينة صغيرة للأسباب التالية:

- دراسته للعالم الإسلامى بمنظور كلى أو بمنظور عين الطائر Bird's Eye View وليس دراسة دولة أو مجموعة دول فقط.
- اعتماده على مداخل نظرية كثيرة كما تقدم لتحقيق التساند أو التعاضد النظرى للدراسة.
- اعتماده على أساليب منهجية عديدة لها صبغة تجريبية خاصة فى تحليلاته اللغوية مما استدعى استخدام عينات صغيرة.
- كان المؤلف بين اختارين إما أن يقلل عدد التصنيفات التطبيقية التى أنفق على جمع مادتها وتنظيمها قرابة العامين أو تقليل حجم العينة، فاختار الثانى مؤثراً الدقة والجدة على الامتداد الزمنى.

• • •

---

(١) انظر بالتفصيل: محمد حسام الدين محمود إسماعيل: المسؤولية الاجتماعية للصحافة المصرية، دراسة للمضمون والقائم بالاتصال، من ١٩٩١-١٩٩٤، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ص ص ١٣٢ - ١٤١.



# الفصل الأول

مداخل دراسة تخطيطية  
شؤون العالم الإسلامي





## تدفق الأخبار عن العالم الإسلامى

يعالج هذا الجزء من الفصل نماذج تدفق الأخبار الدولية والعوامل المؤثرة على هذا التدفق، بعدها يتعرض لمفهوم العالم الإسلامى دوله وأقلياته، ثم يختتم البحث بشرح تفصيلى للعوامل المؤثرة على التدفق الخبرى لشئون العالم الإسلامى.

...

صاحب زيادة المعلومات فى المجتمعات الإنسانية زيادة التدفق الدولى للأخبار وزيادة التأثيرات عبر الثقافية، ومنذ الحرب العالمية الثانية أصبحت دراسة تدفق الأخبار العالمية واحدة من الموضوعات الرئيسية فى دراسة الإعلام الدولى وقد ساعد على ذلك عدة عوامل على رأسها تطور تكنولوجيات الاتصال الإلكترونية، وتضخم إمبراطوريات الإعلام متعددة الجنسيات، ومحاولات مراكز القوة المتنافسة فى عصر ما بعد الحرب الباردة زيادة قوتها وتأثيرها فضلاً عن صعود ثقافة الإعلام الدولى حيث أصبح استخدام اللغة بشكل معين، وسيادة نوع من القصص الإخبارية يلقى قبولاً فى مجتمعات مختلفة.

وقد سُمى دنيس مأكويل وسيفين واندال هذه الظاهرة بالتدويل أو Internationalization<sup>(1)</sup>، وهو لفظ ربما يكون أقرب من حيث دلالاته المستخدمة إلى لفظ العولمة Globalization الذى كان انعكاساً لبث نوع معين من الثقافة الحداثية ونمط المعيشة.

(1) Denis McQuail & Seven Windal. "Communication Models for the Study of Mass Communication". 2<sup>nd</sup> ed. (New York: Longman Inc., 1993), pp. 215, 216.

تتوزع ردود الفعل حول ظاهرة التدفق الخبري العابر للحدود والقوميات، ففي مراحل مبكرة متفائلة عقب الحرب العالمية الثانية تم النظر للإعلام الدولي على أنه أداة لتحقيق فهم أكبر بين الأمم، وكأداة للتحديث وبناء الدولة في عصر التصنيع والتحرر الوطني، أو لنقل قيم المجتمع الصناعي والديمقراطية الفردية إلى المجتمعات التقليدية كما رأى ليرنر Lerner عام ١٩٥٨<sup>(١)</sup>.

ولكن هذا التفاؤل لم يلبث أن تحول لإدراك أن الإعلام الدولي وتدفقات أخباره هو نفسه نوعاً من الاستعمار الجديد أكثر منه طاقة تحض على النمو والتحرر، وكانت من بين التأثيرات السلبية للتدفق تدهور السيادة والاستقلال في الأمور الثقافية وزيادة التبعية الاقتصادية والسياسية.

ومن ثم كانت الحقيقة الأساسية التي تم رصدها مبكراً هو أن التدفق الحر للإعلام في عالمنا المعاصر هو تدفق مختل وأحادي الاتجاه من الأغنياء إلى الفقراء ومن الشمال إلى الجنوب، فالدول الفقيرة والأقل تقدماً مجبرة على استيراد التكنولوجيا، والبنى المؤسسية والممارسات المهنية من الدول المتقدمة وهذا ينعكس ثقافياً في الرؤية المغتربة للعالم والإدراك السلبي للذات<sup>(٢)</sup>.

ففي عام ١٩٥٣ وصف المعهد الدولي للصحافة التبادل الخبري بين الدول المتقدمة والنامية بأنه غير متوازن ومنذ ذلك الحين فإن اصطلاح الاختلال في التدفق ساد أدبيات الإعلام الدولي، ونظر كثير من الدارسين لهذه الظاهرة على أنها نتيجة لعدم الاتساق بين الدول المتقدمة والنامية، فعلى سبيل المثال قرر شرام عام ١٩٦٤ أن التدفق الخبري بين الأمم يتحدد بملكية وكالات الأنباء وتسهيلات

(1) Daniel Lerner, "The Passing of Traditional Society: Modernizing the Middle East", (Illinois: The Free Press, 1969). pp. 70 - 75.

(2) Denis McQuail & Seven Windal. Op. Cit., pp. 215, 216.

الاتصالات بين الأماكن البعيدة وتركيز الثروة والتكنولوجيا والقوة فى يد عدد قليل من الدول المتقدمة<sup>(١)</sup>.

وقد تم أدلجة هذه الظاهرة بعد ذلك مع نهاية عقد الستينيات واتخذ فى عقد السبعينيات شكل الصراع بين الشمال والجنوب فيما عرف بالسعى لإقامة نظام إعلامى دولى جديد، وهو الصراع الذى انتهى بانسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من اليونسكو، ثم ما لبث الاهتمام يقل تدريجياً مع نهاية عقد الثمانينيات على مستوى الدول وعلى المستوى الأكاديمى، وتحولت دراسات التدفق الإعلامى الدولى من كونها مجال بحثى مستقل إلى مجرد موضوعات جزئية تندرج تحت مجالات بحثية أخرى وأصبحت دراسات التدفق تأتى تحت مظلة الدراسات التى تتناول حراس البوابات Gate Keepers أو التى تتناول وضع أجندة الاهتمامات Agenda Setting<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك فقد تأسس تراكم معرفى وإمبيريقي فى إطار دراسات التدفق الخبرى أسفر عن مجموعة من النماذج التى تصف شكل التدفق واتجاهه التى تعكس وجهة نظر متشائمة بشأن التوازن فى التدفق وإن كانت كلها حثت على تطبيق هذه النماذج إمبيريقياً لعل تشاؤمها يكون مبالغاً فيه، وأبرز هذه النماذج: مساهمات جالتونج، وهىستر، وحמיד مولانا، وأكدت هذه الدراسات الاختلال فى

(1) Kyungmo Kim & George A. Barnett. "The Determinants of International News Flow: A New Work Analysis". Communication Research. Vol. 23. No. 3. June 1996. pp. 323 – 352.

(٢) راسم محمد الجمال: التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب: الأبعاد والإشكاليات، عالم الفكر، مجلد (٢٣)، عدد (١، ٢)، يوليو / سبتمبر - أكتوبر / ديسمبر ١٩٩٤، ص ص ١٤٠ - ١٦١.

حجم التدفق واتجاهه ومضمونه دراسات إمبريقية عديدة لعل من أبرزها دراسات تشارلز وشوروتود عام ١٩٦٩، وهستر عام ١٩٧١، لارسون ١٩٧٩، ويفرو يلهويت ١٩٨١، ١٩٨٣.

### أولاً: نماذج التدفق: هل التشاؤم يزداد تشاؤماً؟

تفاعل كل أمم النظام الدولي مع بعضها البعض، لكن هذه التفاعلات الكوكبية الدولية لا يمكن إدراكها على أنها نظام يضم أطرافاً متفاعلة متساوية لأن القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية للدول المتقدمة تفرض ظروفاً من التبادل غير المتكافئ بينها وبين الدول النامية.

وقد حاول عدد كبير من الباحثين توضيح وشرح هذا التفاعل بداية من روج وجالتونج عام ١٩٦٥ ودويتش وزملانه عام ١٩٧٧ حتى سو (So) عام ١٩٩٠. فعلى سبيل المثال تأسست نظرية التبعية على افتراض أن القوة الاقتصادية تلعب الدور الأساسي في العلاقات الدولية، وقرر منظروها أنه نتيجة الاستغلال الاقتصادي من قبل الدول المتقدمة للدول النامية تكون النظام الدولي على أساس دول متقدمة في المركز وأخرى نامية في الأطراف الأمر الذي جعل الأخيرة تدخل في دائرة مفرغة من التخلف.

وقد طور واليرشتين Wallerstein هذه الفكرة عام ١٩٧٩ برويته أن العالم يتم استيعابه في إطار النظام الرأسمالي العالمي وأن الاقتصاد الدولي يدمج ثقافات وسياسات متعارضة في إطار تقسيم متكامل للعمل، بيد أن الدول تدخل في علاقات غير متكافئة بسبب التباينات الاقتصادية، والتحرك على صعيد النظام الدولي يتم



بصعود أو هبوط فى القوة العسكرية والاقتصادية، وأى تغيير يعترى أى دولة فى النظام الدولى يكون بسبب مجموعة من الأحداث فى النظام الدولى<sup>(١)</sup>.

وقد حاول مجموعة من المنظرين وضع عدة نماذج لتدفق الأخبار العالمية بناء على نظرية التبعية فقد بين جالتونج وروج فى دراستهما عام ١٩٦٥ كيف تؤدي العوامل المؤسسية التنظيمية Organizational والعوامل الاجتماعية الثقافية Socio-Cultural إلى سيادة نوع من الأخبار عن العالم الثالث فى دول العالم المتقدم تنحو إلى تصويره على أنه غير مستقر، غير ديمقراطى وملئ بالكوارث<sup>(٢)</sup>.

وقد عمد حميد مولانا عام ١٩٨٥ إلى إجراء تحليل عام للاتصال الدولى وانتهى لنموذج يحمل بعدين يحددان القضايا التى يتم تغطيتها، وهو النموذج الذى يوضحه شكل (١):

**المحور الأول:** المحور التكنولوجى (المتمثل فى معدات الاتصال Hardware) فى مقابل المنتجات الفكرية Software.

**المحور الثانى:** المحور الاتصالى المتمثل فى الإنتاج Production فى مقابل التوزيع Distribution.

والهدف الأساسى للنموذج كان يبغي تمثيل متصل مشهور فى أدبيات الإعلام يبدأ بالمرسل وينتهى بالمستقبل يتوسطه نمط الإنتاج ونظام التوزيع ويختلف الوضع فى الإعلام الدولى عنه فى الإعلام المحلى إذ أن كل مرحلة من هذه المراحل تنفصل مكانياً وتنظيمياً وثقافياً عن الأخرى فىمكن أن يشترك مصدر

(1) Irwin Wallerstein, "The Capitalist World Economy". (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1970). pp. 21 - 32.

(2) Denis McQuail & Seven Windal. Op. Cit., p. 2.

(سياسى - معلن) فى رسالة تنتج عن دولة ما مثل (نشرة أخبار مثلاً)، ويتم إنتاج النشرة فى دولة أخرى وتوزع فى دولة ثالثة. وبشكل أكثر عمومية فإن الإنتاج يمكن أن يكون فى دولة، والتوزيع فى دولة أخرى، وبهذه الطريقة يرتبط الشمال الغنى بالجنوب الفقير، علاوة على ذلك فإن فى الدول الأقل تقدماً فجوة كبيرة (ثقافية واجتماعية واقتصادية) بين إنتاج الرسائل ونظام توزيعها فى جانب والمستقبلين المحتملين فى جانب آخر <sup>(1)</sup>.

وهذه العملية المتصلة / المنفصلة تتقاطع مع المحور التكنولوجى الذى يذكرنا بأن كل مرحلة فى العملية تعتمد على نوعين من الخبراء التقنيين والمبدعين للنصوص المذاعة أو المكتوبة، ومعدات الإنتاج تحتوى على الاستوديوهات والمطابع ... الخ، ومعدات التوزيع تشمل معدات الأقمار الصناعية المخصصة للاستقبال والإرسال ... الخ، أما المنتجات الفكرية فتشتمل فى الإنتاج على السيناريو وحقوق الأداء والإدارة والمعايير المهنية، وفى التوزيع على الدعاية والأبحاث والتسويق.

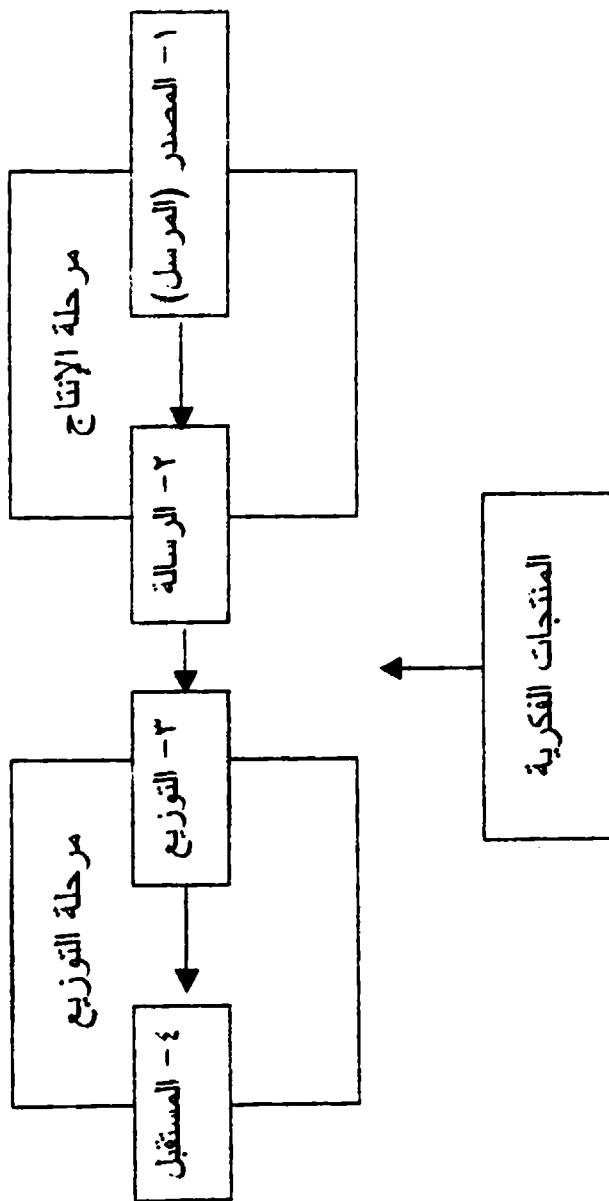
وهناك عوامل تؤثر فى النموذج، خارجية أو ما تسمى Extra - Media تتعلق بوضع الدولة وقوتها فى تراتبية أو هيراركية النظام الدولى، وأخرى داخلية Intra - Media المتعلقة بنمط الملكية واقتصاديات الإدارة وكذلك العوامل المهنية المتعلقة بالقائم بالاتصال.

(1) J. Galtung & M. Ruge. "The Structure of Foreign News". Journal of Peace Research. Vol. 2 .No. 1. July 1971. pp. 64 - 91.



## المحور التكنولوجي

المنتجات التكنولوجية  
(المعدات)



المحور  
الاتصالي

٣٠

شكل (١): محاور الاتصال الدولي ومراحله

• المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit.,



وأهم نقطة فى النموذج هى حالة التبعية عندما تنتقل المعلومات من دولة متقدمة لأخرى نامية والأخيرة تعتمد على الأولى فى العمليات الأربع المذكورة لاحقاً، ويحدث الاستقلال الاتصالى عندما تصبح دولة ما قادرة على أن تكون مكتفية ذاتياً فى المعدات والمنتجات الفكرية وفى الإنتاج والتوزيع وهى حالة مستحيلة حتى الآن - من وجهة نظر مدرسة التبعية - ما بقى نموذج المركز والأطراف قائماً<sup>(١)</sup>.

ويرتبط بما سبق النموذج الذى طرحه روج وجالتونج عام (١٩٦٥) الذى طوره حميد مولانا أيضاً عام ١٩٨٥ (شكل ٢) عن فكرة المركز والأطراف وتبعاً لهذا النموذج ينقسم العالم إلى شمال مسيطر فى المركز وجنوب مهمش تابع وتدفق سائد من الأول للأخير.

#### وتتمثل الافتراضات التى وضعها النموذج:

أ- سيادة الأحداث الإخبارية لدول المركز فى الأنظمة الدولية الإعلامية الأخرى.

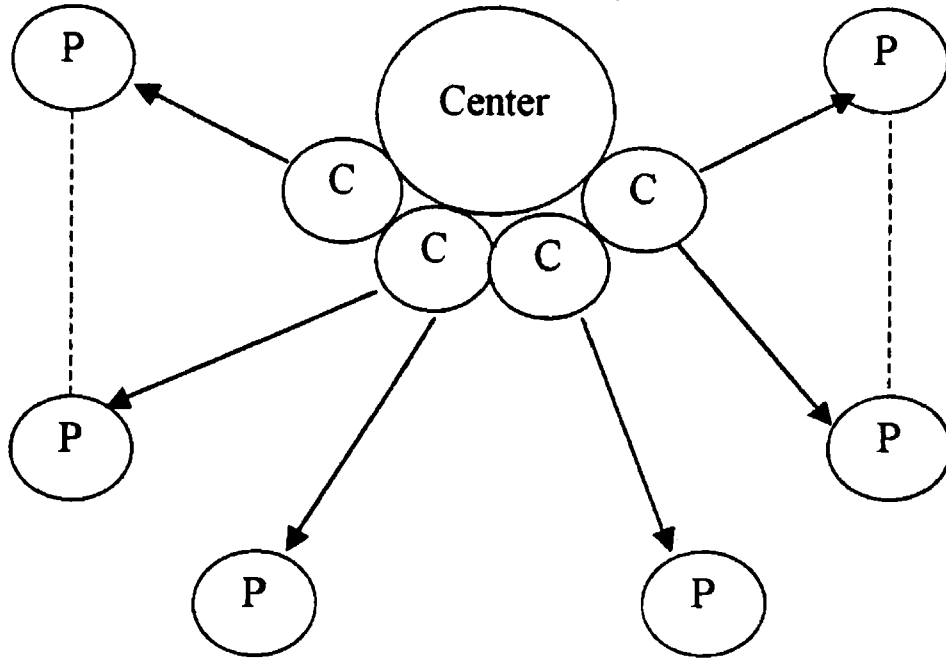
ب- سيادة أخبار المركز فى مجموعة وسائل إعلام دول الهامش.

ج- هناك نسبة أكبر للمحتوى الإخبارى الخاصة بدول المركز فى وسائل إعلام دول الهامش عن نسبة المحتوى الإخبارى لدول الهامش فى وسائل إعلام دول المركز.

(1) Ibid., P. 218.

د- هناك تدفق محدود أو منعدم بين دول الهامش وبصفة خاصة بين الدول ذات الميراث الاستعماري المختلف<sup>(١)</sup>.

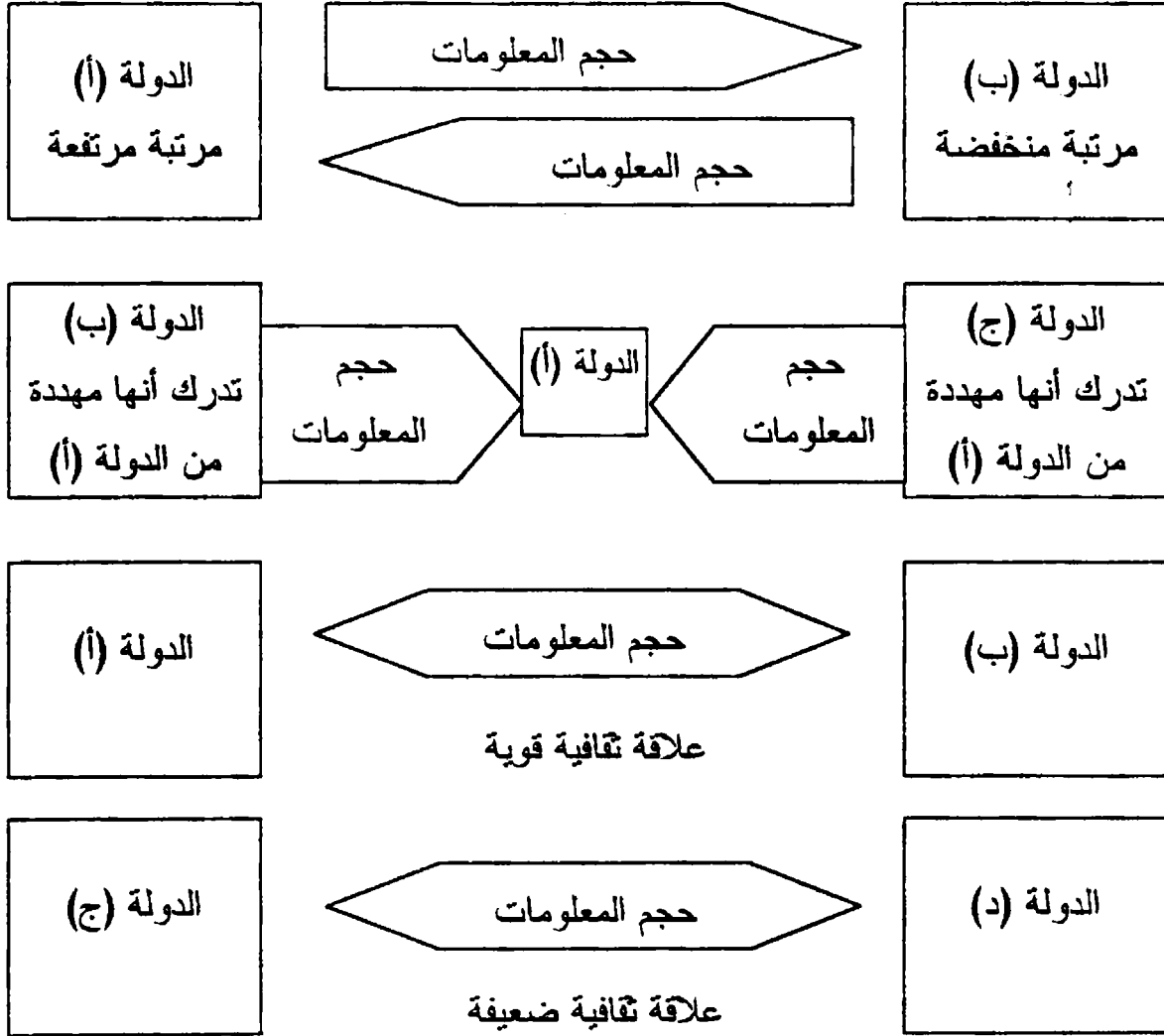
ويظهر ملمح آخر من ملامح تدفق الأخبار الدولية في نموذج آخر وضعه آل هستر عام ١٩٨٠ طرح فيه مجموعة من الفروض لتفسير تدفق الأخبار الأجنبية بين الدول إذا افترض هستر أن ترتيب الدولة من حيث مدى قوتها أو ضعفها والعلاقات الثقافية والاقتصادية تعتبر من العناصر المؤثرة على نماذج تدفق الأخبار بين الدول كما يظهر في شكل (٣).



شكل (٢): يوضح العلاقة بين المراكز والأطراف الإعلامية

• المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit., p. ٢١٨.

(١) نقلاً عن يوهان جالتونج، أشرف أحمد عبد المنيث: دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية لدى الشباب المصري عن العالم الثالث، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٢٣ -



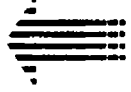
شكل (٣): يوضح نموذج آل هستر لتفسير تدفق الأخبار الدولية

• المصدر: أشرف أحمد عبد المغيث، مرجع سابق، ص ١٢٥.

وتطرح هذه النظرية سبعة فروض:

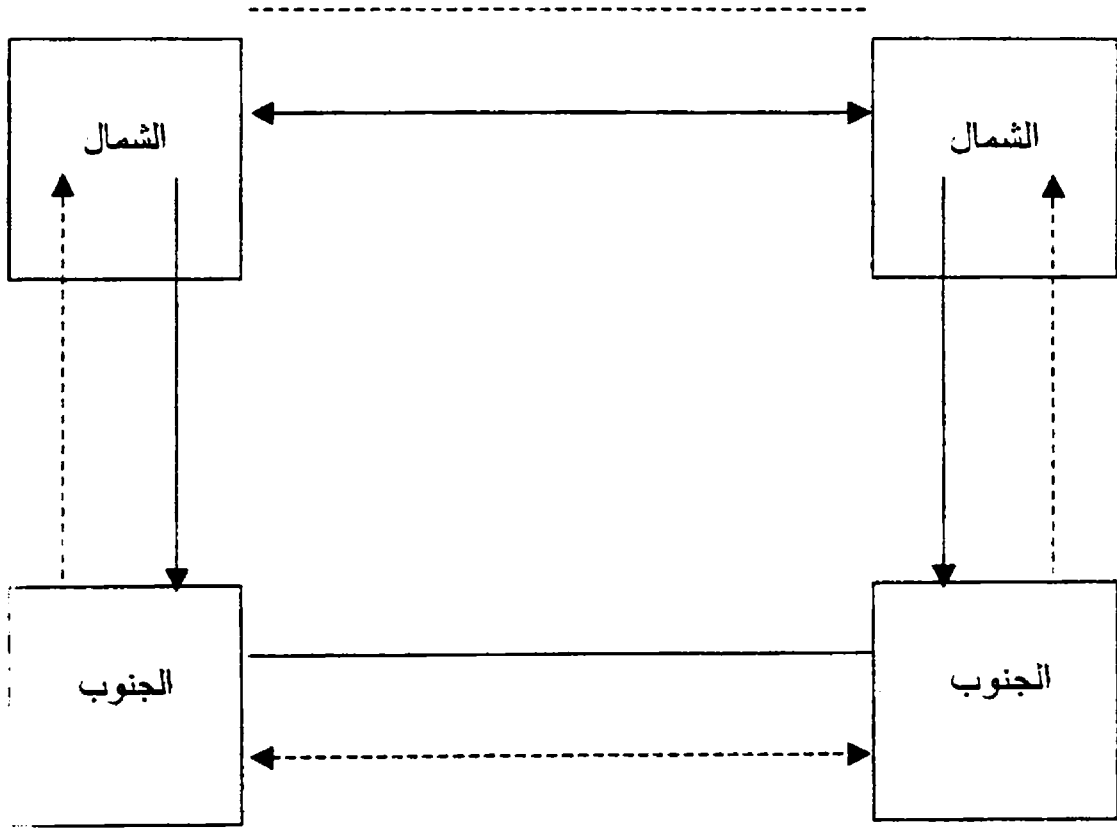
- ١- يتدفق قدر أكبر من المعلومات عن الدول التى تحتل مكانة أعلى فى ترتيب الدول عن الدول التى تحتل مكانة أقل فى ذلك الترتيب وتتحدد مكانة الدول على أساس متغيرات كالحجم الجغرافى وعدد السكان والنمو الاقتصادى.
- ٢- ينخفض حجم المعلومات المتدفق فى الاتجاه العكسى من الدول ذات المكانة الأقل إلى الدول ذات المكانة الأعلى فى ترتيب الدول.
- ٣- يزيد تدفق المعلومات من الدولة (أ) التى تشكل تهديداً حقيقياً أو محتملاً للدولة (ب) عن تدفق المعلومات من الدولة (ج) إلى الدولة (ب) التى لا تشكل تهديداً حقيقياً أو محتملاً.
- ٤- يزيد تدفق المعلومات بين الدول ذات الروابط الثقافية والتاريخية عن الدول التى تفتقد إلى تلك الروابط.
- ٥- يزيد تدفق المعلومات بين الدول ذات الأنشطة والعلاقات الاقتصادية عن الدول التى تفتقد تلك الأنشطة والعلاقات الاقتصادية.
- ٦- يزيد التدفق من الدولة (أ) إلى الدولة (ب) التى تتبعها اقتصادياً عن التدفق فى الاتجاه العكسى من الدولة (ب) إلى الدولة (أ).
- ٧- يزيد تدفق المعلومات من الدولة المستعمرة إلى الدولة المستعمرة أو التى كانت مستعمرة من قبل عن التدفق فى الاتجاه العكسى إلا إذا أصبحت مكانة الدولة المستعمرة أكبر من الدولة المستعمرة فى ترتيب الدول<sup>(١)</sup>.

(1) Ibid.. P. 218.



ويأتى من بين المساهمات النظرية الأخيرة لتدفق الأخبار الدولية نموذج  
تدفق الشمال - الجنوب North - South Flow الذى وضعه حميد مولانا أيضاً عام  
١٩٨٥ والذى يوضح كيفية ما لتشغيل Processing ظاهرة تدفق الأخبار بين  
الشمال والجنوب وهو ما يوضحه شكل (٤).





شكل (٤): يوضح نموذج حميد مولانا لتدفق الأخبار من الشمال إلى الجنوب

• المصدر: Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit., p. ٢١٩.



والنموذج يوضح تدفق رأسى قوى من الشمال إلى الجنوب وكذا أفقى قوى بين دول الشمال، بينما يميل التدفق الرأسى المرتجع من الجنوب للشمال وبين دول الجنوب إلى الضعف ويرتبط بما سبق ما أورده مولانا من أن أخبار دول الجنوب تجمع من مراسلين من الشمال التى تذهب بدورها إلى دول الشمال ليتم تشغيلها وتحريرها قبل توزيعها على دول العالم كله، وهو ما يدعم النموذج الأول لحميد مولانا الذى يرى أن الاستقلال الخبرى يحتاج للتحكم فى المنتجات الفكرية Software مثل مصادر الأخبار وفى العتاد التكنولوجى مثل التسهيلات التقنية لعمليات التوزيع.

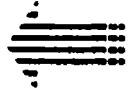
### تعليق على نماذج التدفق:

١- رغم أن النماذج التى درست التدفق كانت منطلقة من ظاهرة واضحة هى الاختلال بين الشمال والجنوب ورغم دفاعها عن العالم الثالث المغبون من العالم المتقدم إلا أنها كانت فى اقترابها النظرى أقرب للتحليل الوظيفى منها للاتجاه النقدى رغم استفادتها من مدخل التبعية النقدى .. وهى ملاحظة تبدو للوهلة الأولى تتطوى على تناقض .. ولكن التناقض يزول إذا رأينا:

أ- أن دراستها نحت إلى رصد الأدوار الإعلامية وأعمال المؤسسات الاتصالية والتشكيلات الثقافية وأساليب تنظيم التدفق أكثر من رصدها لقوانين قوة الشمال الرأسمالى<sup>(١)</sup>.

---

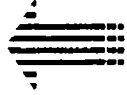
(١) انظر جيهان أحمد رشدى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٨)،



ب- أنها في تصوراتها الذهنية مالت إلى التبسيط الذي ظهر في خطوط ودوائر تعبر عن مسارات التدفق من كتل إعلامية إلى كتل أخرى دون إيضاح للاختلافات بين هذه الكتل سواء في الشمال والجنوب أو في المركز والأطراف .. وهى فى ذلك نظرت إلى العالم بوصفه مكوناً من أبنية عينية بينها علاقات يمكن التعرف عليها وقياسها واستخدمت المشابهات الميكانيكية والبيولوجية كوسيلة لنمذجة ظاهرة التدفق وفهمها .. وهى من الوسائل المفضلة فى النظريات الوظيفية منذ إميل دور كايم وحتى الآن<sup>(١)</sup>. وعلى ذلك يمكن رد نموذج حميد مولانا ذى المحورين التكنولوجى والاتصالى إلى السيبرنطيقا التقليدية لشرام ورايت، ونموذج جالتونج لنماذج تفاعل ذرات الجزيء الكيميائى، ونموذج الشمال - الجنوب للقبطية المغناطيسية فى الفيزياء، وهو منحى لم يستطع أن يصف لنا الظاهرة فى حركتها وتعقيدها.

٢- هذه الانتقادات لا تقلل من أهمية هذه النماذج فى فهم بنية التدفق الدولى للأخبار بيد أنها - فى تصورى - كانت معنية بالأساس بوضع "صياغة علمية" لقضية بدأت وانتهت أيديولوجيا من حيث الخطاب العلمى على الأقل. فبعد فورة الاهتمام الدولى بقضية التدفق المختل بين الشمال والجنوب بدأ منذ أواسط الثمانينيات انحسار هذا الاهتمام نتيجة للتطورات التى طرأت على حركة عدم الانحياز فى النصف الثانى من عقد الثمانينيات ومع انحسار المساعدات السوفيتية لكثير من الدول النامية، ومن قبل أن تنهار الشيوعية فى أوروبا الشرقية ويحل الاتحاد السوفيتى ذاته وهى ملاحظة هامة ينبغى أن تؤخذ فى

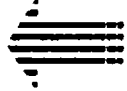
(١) السيد بس: السياسة السكانية والتنمية، نحو منهج مقترح لتحليل التراث العلمى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مايو ١٩٩١، ص ص ٥٥ - ٨٤.



الاعتبار منذ البداية لفهم مبررات وأسباب ونتائج تسييس معالجة الموضوع، فضلاً عن ذلك فقد كان من أهم الإشكاليات المرتبطة بتدفق الإعلام الدولى الفرق فى الاتجاه العكسى وهذا قياس مختل يدل - فى تصور راسم الجمال - على غياب الطرح الأيديولوجى لوضعية التدفق الإعلامى الدولى لأنه يفترض ما لم يكن ولكن يكون وهو تساوى قدرات الدول على إنتاج أنباء صالحة للتبادل الدولى ويغفل أن هذه الأنباء وغيرها من المواد الإعلامية تمثل مخرجات القوة الوطنية فى شتى المجالات<sup>(١)</sup>.

٣- لم تنجح نماذج التدفق وأطرها النظرية فى فهم التناقضات الكامنة فى دعوتها لمعالجة الاختلال فى توزيع الأخبار والمعلومات على الرغم من إلحاح بعضها على مفاهيم قوة الدولة فى مجال العلاقات الدولية والذى أسفر - إذا طبقنا ذلك على العلاقة بين دول الشمال والجنوب - عن تشرذم دول الجنوب وفشل التجمعات الإعلامية المستقلة وزيادة ظاهرة الاحتكار فى تملك وسائل الإعلام المعنية ببث الأخبار فى المجتمعات الغربية على اعتبار أن التوزيع غير المتكافئ للقوة والملكية فى المجتمع الدولى لا يمكن أن ينصلح بحلول (يوتوبية) مثل إقامة نظام عالمى جديد .. وفى تصورى أن أى محل "نقدى" للمجتمع الأمريكى وقواه كان لابد وأن يتنبأ بانسحاب الولايات المتحدة من اليونسكو عام ١٩٨٣ فهل عرف التاريخ "قوياً" يتخلى طواعية عن أبرز مدخلات قوته غير الأدباء الحالمين أمثال تولستوى الذى وزع أرضه على الفلاحين الروس المعدمين فى أوائل القرن الماضى؟

(١) راسم الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ - ١٦١.

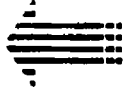


وقد قدمت نماذج التبعية النقدية تراثاً تحليلياً هاماً فى فهم مظاهر وآليات ارتباط الجنوب بالشمال فى علاقات غير متوازنة. فعلى سبيل المثال قدمت عواطف عبد الرحمن طرْحاً يرى المظاهر فى التبعية التكنولوجية والثقافية والإعلامية والأكاديمية والآليات فى وكالات الأنباء والشركات متعددة الجنسيات والإعلانات خلصت فيه إلى خطأ الاعتقاد السائد بأن هناك علاقة مباشرة بين حرية التعبير والملكية الخاصة للإعلام إذ أن هذا الشكل من الملكية يؤدي إلى تحويل وسائل الإعلام إلى أدوات للسيطرة الاجتماعية لصالح الشركات العابرة للقومية عندما تستخدم هذه الوسائل كأدوات للقهر السياسى والثقافى، وتمثّل مضامينها كل القيم المعادية للعدالة الاجتماعية والديمقراطية<sup>(١)</sup>.

وهى عين المقولات التى دفعت المراكز الرأسمالية للخوف من الاشتراك فى مشروع نظام إعلامى جديد متوازن بحجة دعم الاتحاد السوفيتى السابق لمنظرى العالم الثالث حتى يتبنى اليونسكو مشروعاً يهدد حرية الإعلام بالمفهوم الغربى .. كان الطرح أيديولوجياً .. وكان الخوف على مصالح ونفوذ وطريقة حياة حققت انسبق والسيطرة للغرب الرأسمالى.

فقد حاولت لجنة ماكبرايد التى انتهت من تقريرها عام ١٩٨٠ القفز على قوانين الرأسمالية بوسائل الضغط الدبلوماسى ونسيت أن الرأسمالية كنظام اجتماعى وقد تكونت ثم توسعت منذ البداية على أنها نظام ذو ميل إلى إدماج

(١) عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٣)،



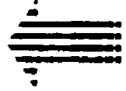
مجتمعات العالم كلها على أسس غير متكافئة فكان التمييز بين مراكز النظام وأطرافه ظاهرة جوهرية لطبيعة النظام منذ أوله <sup>(١)</sup>.

٤- أخفقت نماذج التدفق فى توضيح إلى أى مدى يوجد تدفق إقليمى يؤدي لعلاقات بين الأطراف تصلح الميزان المختل .. ويرى دينس ماكوين McQuail أن هناك علاقات بين دول الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية والمنطقة العربية بما يعنى أنه يمكن أن توجد مراكز داخل النظم الإقليمية <sup>(٢)</sup>.. وهو طرح صحيح إذا تصورنا أن المتدفق هو الدراما والمواد المتنوعة (حالة مصر مع بقية الدول العربية) ولكن الأخبار مازالت بعيدة عن تكون مراكز وأطراف إقليمية .. وكذا الحال بالنسبة لتجمعات إعلامية إقليمية كبرى مثل أوربت (الوليد بن طلال)، ART (صالح كامل) السعوديين، ومارينهو فى البرازيل لأنها تعمل وفق قواعد اللعبة الرأسمالية وليست تجمعات إعلامية إقليمية نظراً للتخلف الاقتصادى والضعف السياسى الداخلى والتناقضات بين دول الجوار وسيطرة اللاعبين الكبار أمثال روبرت ميردوخ على أسواق حساسة كما فى آسيا.

وقد استطاعت بعض الدول النامية بقروض خارجية تحسين شبكاتها الاتصالية أو استطاعت بفضل المساعدة التى تحصل عليها من دول الشمال فى إطار البرنامج الدولى لتنمية الاتصال الحصول على بعض الأجهزة والمعدات الحديثة فى مجال البث الإعلامى .. وعلى الرغم من ذلك فإن الأوضاع بالنسبة للغالبية العظمى من الدول النامية باقية على حالة من التردى فلم تدرى هذه الدول قيمة

(١) سمير أمين: أزمة المجتمع العربى، (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٨٥).

(2) Denis McQuail & Seven Wandal, Op. Cit., p. 220.



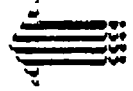
العائد الاجتماعى والسياسى والاقتصادى للاستثمار فى مجالات البنى الأساسية للاتصال ناهيك عن العائد الإعلامى والثقافى<sup>(١)</sup>.

٥- تلعب حالة السيولة التى تسود النظام العالمى دوراً هاماً فى صعوبة إنجاز نموذج له صفة الثبات النسبى إذ أنه فى ظل العولمة ازدادت العلاقات بين الجنوب والجنوب تهميشاً .. كما توترت العلاقات بين المراكز الكبرى خاصة بين فرنسا والولايات المتحدة من جهة، وبين أوروبا الموحدة جميعها والولايات المتحدة من جهة أخرى مع احتمال بروز مراكز أخرى فى بداية القرن القادم تحاول أن تلعب دوراً إعلامياً موازياً لدورها السياسى والاقتصادى مثل الصين.

٦- هاجم بعض المنظرين الإعلاميين - ومن بينهم راسم الجمال - طرح قضية الاختلال بين الشمال والجنوب بطلب التوازن لأن الاختلال كما يرى ناجم عن التفاوت فى مدخلات القوة فى النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والتقنية بين الدول المتقدمة والنامية والذى استتبعه تفاوت آخر من قدراتها على إنتاج وتوزيع الأنباء والمعلومات (مخرجات القوة) وهو ما ترتب عليه اختلال فى كم ونوع المعلومات والأنباء المتداولة دولياً.

ولما كان لا يوجد دولتان متشابهتان أو متكافئتان تماماً فى نظمها ومدخلات قوتها فقد أخذ هذا الاختلال أشكالاً ومستويات عديدة بين كل دولة على حدة وبين بقية دول العالم، ويبين كل مجموعة متجانسة أو شبه متجانسة وبين المجموعات الأخرى، نظراً لأن كل دولة أو مجموعة من الدول تشكل نظاماً

(١) مسريز من التفاصيل: جيهان يسرى أبو العلا: المعالجة الإعلامية لأحداث وقضايا العالم الثالث فى وسائل الإعلام المصرية، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٥١١-٥١٩.



ينتج نوعاً وكماً من المعلومات والأنباء النابعة من طبيعة النظام وأهدافه وحركته لبلوغ هذه الأهداف التى تعتبر الأنباء ومعلوماتها ذاتها إحدى وسائله لبلوغ هذه الأهداف والتى قد لا تشبع احتياجات واهتمامات دولة أو دول أخرى تنتمى لنظام آخر.

وبديهي لا توجد دولة فى العالم ملزمة على أى نحو بإنتاج وتوزيع الأنباء التى تحتاجها دول أخرى، وإنما يقع على كل دولة مسئولية الإنتاج والحصول على ما تحتاجه من أنباء ومعلومات وبناء على ما سبق صار الاختلال الإعلامى الدولى ظاهرة دولية عامة تعبر عن الاختلافات القائمة بالفعل بين مختلف النظم والثقافات والاهتمامات المحلية ودرجة التقدم بالنسبة لكل طرف (١).

• • •

### ثانياً: العوامل المؤثرة على تدفق الأخبار الدولية

سعى الفكر الأكاديمى فى مجالات الإعلام الدولى والعلاقات الدولية والجغرافيا السياسية إلى استقراء العوامل المحددة للتدفق الإعلامى الدولى كما سعى إلى اختبار العلاقات الارتباطية بين هذا التدفق والعوامل المؤثرة فيه كمياً وكيفياً.

وكانت البداية مبكرة عام ١٩٦٥ عندما فرق أوستجارد Ostgaard بين نوعين من العوامل تؤثر على بنية تدفق الأخبار:

(١) راسم محمد الجمان: مرجع سابق، ص ١٤٠ - ١٦١.



الأولى: عوامل خارجية تعنى بسياق صناعة الخبر مثل العوامل السياسية والاقتصادية ومن بينها الرقابة، الملكية، والتمويل، والثانية: عوامل داخلية متضمنة داخل الخبر محددة أهميتها<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على أوستجارد اقترح جالتونج وروج Galtung & Ruge عام ١٩٦٥ أيضاً اثني عشر عاملاً تؤثر على أهمية الأخبار الدولية هي: التكرار Frequency، القرب Threshold، الوضوح Unambiguity، المعنى أو المغزى Meaningfulness، الاتفاق أو المطابقة مع الشائع عن الدولة المنقول عنها الخبر Consonance، عدم التوقع Unexpectedness، الاستمرارية Continuity، التركيب أو الصياغة Composition، الارتباط بدولة من دول الصفوة Relevance to Elite Nation، الارتباط بالصفوة أو المشاهير Elite People، السلبية Negativity، وقد ركزت دراستهم الإمبريقية على العوامل الداخلية أكثر من العوامل الخارجية<sup>(٢)</sup>.

وقد طور روزنجرين Rosengreen أعوام ١٩٧٠، ١٩٧٤، ١٩٧٧ فكرة العوامل الداخلية والخارجية لتقييم أداء وسائل الإعلام الأمريكية فى بث الأخبار الخارجية مركزاً على المسافة المادية والصلات الثقافية، فيما رصد دوبرى Dupree عام ١٩٧١ أحد عشر متغيراً تمكن تغطية وتدفق الأخبار الخارجية منها (حجم التجارة الخارجية، حصة الفرد من إجمالي الناتج القومى، عدد السكان، المسافة بين الولايات المتحدة والدولة التى يتم تغطية أحداثها، قيمة الاستثمارات الأمريكية فى هذه الدولة، عدد الجرائد اليومية لكل ألف من السكان التعليم، اللغة

(1) Kyungmo Kim & George Barnett. Op. Cit., pp. 323 – 352.

(2) For details: Johan Galtung & Mark Ruge. Op. Cit., pp. 64 – 91.

الرسمية، وأوضح أن كلا من المسافة، عدد السكان ربما يكونا هما المعيارين الأساسيين لتغطية الأخبار الخارجية<sup>(١)</sup>.

وفى عام ١٩٧٣ حدد آل هستر Hester ثلاثة محددات للتدفق الخبرى بناء على العلاقات الخارجية: مكانة الدولة فى سلم القوة، التجانس الثقافى، والعلاقات الاقتصادية. وحدد هستر مكانة الدولة فى سلم القوة بـ الحجم (المساحة)، عدد السكان، التطور الاقتصادى، تاريخ استقلالها، وضم التجانس الثقافى (اللغة المشتركة، عدد المهاجرين، الهجرة المتبادلة، حجم السياحة بين البلدين، العلاقات التاريخية مثل الروابط الاستعمارية القديمة) .. وشملت العلاقات الاقتصادية (التجارة الدولية، المعونة الاقتصادية، الاستثمار بين الدولتين)<sup>(٢)</sup>.

على حين قرر روبنسون وسباركس Robinson & Sparks عام ١٩٧٦ أن تدفق الأخبار الدولية يحكمه أربعة عوامل: تقنى - اقتصادى، سياسى - تاريخى، عناصر الخبر (الوزن التحريرى له)، ضغوط السوق أو الجمهور، والعاملان الأولان هما عاملان خارج حدود المؤسسة الإعلامية Extra - Media يحددان مدى توفر الأخبار الخارجية Availability أما العاملان الأخيران فيتعلقان بالعملية التحريرية وربما كانت هذه الدراسة من أوائل دراسات السبعينيات التى اهتمت برصد التفرقة بين العوامل الخارجية والداخلية<sup>(٣)</sup>.

- 
- (1) John Dupree, *International Communication: View from a Window on the World. Gazette*, Vol. 17, 1971, pp. 224 - 235.
- (2) Al Hester, *Theoretical Consideration in Predicting Volume & Direction of International Information Flow, Gazette*, Vol. 19, 1973, pp. 238 - 247.
- (3) Jerry Robinson and Venol Sparks, *International News in the Canadian and American Press: A Comparative News Flow Study. Gazette*, Vol. 22, 1976, pp. 203 - 218.

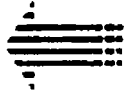
ثم بدأ الباحثون فى الثمانينيات فى استخدام مصطلح التغطية Coverage بدلاً من التدفق Flow فقد درس شوميكر وزملائه Shoemaker مفهوم الانحراف أو Deviation كمؤشر لأهمية التغطية الدولية للأحداث، وقد رأوا أن الأحداث التى تهدد الوضع السياسى القائم وعلى رأسها مصالح الولايات المتحدة، وكذا التى تهدد المعايير الاجتماعية بالمعنى الأمريكى (الحرية الاقتصادية - التعددية السياسية - حقوق الأقليات ... الخ). كانت تعتبر أحداثاً تستأهل التغطية<sup>(١)</sup>.

أما تشانج Chang وزملاؤه فقد خلصوا عام ١٩٨٧ إلى أن التغطية الخبرية الدولية يحكمها قسمين من العوامل، الأولى موجهة نحو السياق Context - Oriented والثانية موجهة نحو الحدث Event - Oriented، وتدرس المجموعة الأولى العلاقة بين التغطية الخارجية والعوامل السياقية أو الخارجية مثل القرب الجغرافى، التقارب السياسى، العلاقات الاقتصادية، التشابه الثقافى وتدرس المجموعة الثانية الخصائص الكامنة فى بنية الأخبار الخارجية مثل درجة الانحراف، الغرابة، الطبيعة السلبية للأخبار التى تحدد قيمة الخبر الخارجى بغض النظر عن العوامل الخارجية<sup>(٢)</sup>.

وفيما يتعلق بالمساهمات العربية فى دراسات التدفق فمن أبرزها دراسة أشرف عبد المغيث عام ١٩٩٣، فقد أضاف لمجموعة العوامل السابقة (اقتصاديات إنتاج الأخبار) التى تشمل عدد المراسلين الأجانب، وقابلية المنطقة لإنشاء قاعدة لجمع وإرسال الأخبار، وقدرة الجمهور على شراء الأخبار المنتجة مما يدفع

(1) Johan Shoemaker et al. **Deviance of International Events in the U. S. Media** in M. McLaughlin (ed.), **Communication Yearbook**. (New York: Sage Publications. 1986). pp. 348 - 365.

(2) Tim Chang et al. **Determinants of International Flow in the U. S. Media**. **Communication Research**. Vol. 14. 1987. pp. 1987.



وكالات الأنباء الغربية لإرضاء المستهلك الأساسى لها فى المجتمع الغربى بتقديم عدد كبير من الأخبار عن العالم الأول على حساب العالم الثالث، وكذا تلعب (التكنولوجيا وتسهيلات الاتصال) دوراً هاماً فى نقل الأخبار بين الدول (١).

وفى دراسة راسم الجمال النقدية عن التدفق الإعلامى من الشمال إلى الجنوب: الأبعاد والإشكاليات عام ١٩٩٤ حاول رصد - من استقرانه لمجموعة كبيرة من الدراسات الإمبريقية عن التدفق - المتغيرات الدالة وغير الدالة فرأى أن متغيرات الصلات الثقافية وحجم التجارة وحصّة الفرد من إجمالى الناتج القومى ومكانة الدولة ترتبط إيجابياً بكم الأنباء والمعلومات المتبادلة بين الدول.

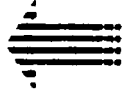
بينما قرر أن الدراسات اختلفت فى إثبات وجود علاقة بين القرب المكانى وعدد السكان وبين التدفق فبعض الدراسات أثبتت وجود مثل هذه العلاقة الارتباطية الإيجابية وبعضها الآخر لم تثبت له هذه العلاقة وبعضها جاء فى المنتصف وأثبت وجود علاقة ثانوية قياساً بالعلاقة القائمة بين المتغيرات الأخرى (٢).

وإذا أردنا التعليق على هذه الدراسات فالمؤلف يرى أن:

- ١- معظم دراسات التدفق حللت التغطية الخبرية بتطبيق أسلوب تحليل المضمون وركزت معظم هذه الدراسات على دولتين فقط أو على الأكثر منطقة بعينها تختار دول فيها مثل أوروبا أو أمريكا الشمالية .. وعلى الرغم من تركيز هذه الدراسات على التحليلات ذات الأبعاد المتعددة التى تدرس أكثر من متغير (الحجم - السكان - حصّة الفرد من إجمالى الناتج القومى

(١) أشرف عبد المغيث، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢) راسم محمد الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ - ١٦١.

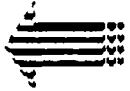


... الخ) فإن هذه الدراسات لم تدرس منطقة كاملة كالعالم الإسلامى أو قارة بأكملها مثل أمريكا اللاتينية أو أفريقيا.

٢- لم توضح هذه الدراسات الفارق بين (التدفق)، (التغطية) فعلى حين نحت دراسات الستينيات والسبعينيات إلى دراسة الظاهرة على أنها تدفق فإن دراسات الثمانينات بدأت فى استعمال مصطلح (التغطية) ربما لكى تضم إليها دراسة الاختلال الكيفى بين الأخبار السارة والأخبار السيئة (أو الأخبار الإيجابية - السلبية)، وكذلك بسبب صعود الدراسات اللغوية والتي طالت المجال الإعلامى فى الثمانينيات وتبعاً لتفرقة المؤلف فإن التغطية تشمل (التدفق الكمى) الذى يناسبه أسلوب تحليل المضمون و(الإطار) الذى يوضع فيه هذا التدفق الذى يناسبه أساليب تحليل الخطاب.

٣- لا يتفق المؤلف مع (هستر) الذى رأى "عدم جدوى دراسة التدفق الدولى للمعلومات خلال فترة زمنية محددة لما ينجم عن ذلك من الحصول على صورة مشوهة عن اتجاهات وأحجام التدفق ويفترض إمكانية قياس التدفق خلال فترة زمنية طويلة ولويلة والوصول إلى نماذج محددة تتغير عبر فترات زمنية طويلة بتغير العلاقات بين الدول" <sup>(١)</sup> إذ يرى المؤلف أن رأى هستر يعنى أن المراكز البحثية فقط هى التى تستطيع دراسة التدفق وليس الباحثين الأفراد لاسيما وأن دراسة التدفق لا يصلح معها سحب العينات المنتظمة كالشهر الصناعى والأسبوع الصناعى لاحتتمال تخطى مواد صحفية تؤثر على نتائج التحليل.

(١) نفسه، ص ص ١٤٠ - ١٦١.



ولذا فالرأى الأرجح هو إتاحة الفرصة للباحثين الأفراد لإجراء أبحاث عن التدفق بشرط عدم الاقتصار على دولة أو دولتين ودراسة منطقة أو قارة بأسرها، على أن يتم تجميع هذه النتائج وإجراء تحليل من النوع الثانى لها Secondary Analysis كما فعل كيم وبارنيت عام ١٩٩٦ عندما درساً بنية الاتصال الدولى باستخدام التحليل الشبكي وهو أحد الأساليب العاملة كتحليل المصفوفات والتحليل العنقودى على مستوى العالم بأسره.

• • •

### ثالثاً: مفهوم العالم الإسلامى

ينصرف مفهوم المؤلف للعالم الإسلامى إلى الوجود الإسلامى فى كل مناطق العالم بصرف النظر عما إذا كان هذه الوجود يتم فى إطار دول إسلامية أو غير إسلامية أى دراسة الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية.

ويعرف المؤلف الدولة الإسلامية بأنها الدولة التى يشكل المسلمون نصف سكانها على الأقل فإذا بلغت نسبة السكان المسلمين ٥٠% فأكثر من إجمالى سكان الدولة اعتبرت تلك الدولة إسلامية الطابع ويتم هذا التعريف ببساطته وسهولة تطبيقه ووجود اتفاق عام حول مدلوله<sup>(١)</sup>.

والمؤلف يعتمد هذا التعريف رغم المشكلات التى تحيط به مثل:

- ١- عدم توافر إحصاءات دقيقة عن السكان فى بعض الدول الإسلامية إما لعدم توافر الإمكانيات المادية لإجرائها كما هو الحال فى اليمن الجنوبى سابقاً أو لرغبة السلطة السياسية فى عدم الإفصاح عن حقيقة التوزيع الدينى

(١) عمود أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامى (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨١) ص ١.

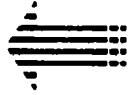


للسكان لأن ذلك يمس التوازنات السياسية القائمة كما هو الحال في لبنان الذي أجرى آخر تعداد سكاني له عام ١٩٣٢، كما أن التعدادات ليست دقيقة ويرجع ذلك لتخلف الأساليب المستعملة في التعداد السكاني أو لعدم توافر الوعي الإحصائي لدى السكان أو لوجود مشكلات عرقية أو حروب أهلية تؤثر على دقة التعداد السكاني كما هو الحال في أفغانستان.

وكذا فإن المشكلات العرقية تؤثر على قيمة بيانات التعداد فعلى سبيل المثال عندما أجرى أول تعداد سكاني في نيجيريا بعد الاستقلال عام ١٩٦٣ حاولت كل مجموعة دينية أن تضخم في حجمها في التعداد مما أدى إلى إهدار قيمة التعداد في تحديد التوزيع الديني والعرقى للسكان، فضلاً عن ذلك فإن معظم الأقليات الإسلامية ليست لها تنظيمات تحتفظ بقوائم رسمية عن حجم المسلمين كما أنه من الصعب التوصل لعدد المسلمين في بعض الدول كالدول الأفريقية حيث أن هناك تحولاً مستمراً للعديد من السكان إلى الإسلام أو العكس.

٢- المشكلة الثانية التي يواجهها تعريف الدولة الإسلامية أنه يربط التعريف بنسبة مئوية معينة قابلة للتغير مع تغير الظروف المعيشية والصحية للسكان فلو افترضنا أنه لسبب من الأسباب هبطت نسبة السكان المسلمين في الدولة من ٥٠ % إلى ٤٩ % فهل تفقد الدولة صفتها الإسلامية لوجود هذا الفارق الإحصائي الدقيق أضف لذلك صعوبة تصنيف الحالات الحرجة مثل نيجيريا التي يتراوح فيها النسبة بين ٤٥ - ٥٥ %.

٣- المشكلة الثالثة التي يواجهها التعريف هو أنه يربط الدولة الإسلامية بعامل موضوعي قد لا يكون له تأثير محدد على السياسة الخارجية للدولة



ومثال ذلك أثيوبيا التى تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠% وتنظم علاقاتها على أساس أنها دولة مسيحية، وكذلك ألبانيا التى كانت حتى فترة قريبة تنظم علاقاتها بوصفها دولة ماركسية، وتركيا التى تنظم علاقاتها على أساس كونها دولة علمانية على الرغم من التحولات الحادثة فيها والتى يلعب العامل الإسلامى دوراً هاماً فى تشكيلها<sup>(١)</sup>.

٤- ورغم ما تقدم من ملاحظات فإن المؤلف يعتمد مفهوماً للعالم الإسلامى يضم دول منظمة المؤتمر الإسلامى بالإضافة للأقليات المسلمة فى روسيا والهند والبلقان وشرق أوروبا وأفريقيا بالإضافة للأقليات الحديثة فى الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا.

● ● ●

## رابعاً: العوامل المؤثرة على التدفق الخبرى للعالم الإسلامى

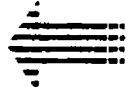
### ١- الموقع:

حيث يسعى المؤلف لاختبار العلاقة بين التدفق الخبرى والمناطق المختلفة للعالم الإسلامى بدوله وأقلياته.

تقع معظم الدول الإسلامية فى المنطقة الجغرافية الواقعة بين خط عرض ٤٠ درجة شمالاً وخط عرض ٥ درجات جنوباً، وبين خط طول ١٠ درجة غرباً وخط طول ١٢٠ درجة شرقاً، وتغطى الدول الإسلامية بذلك مساحة جغرافية واسعة تمتد من المحيط الأطلنطى غرباً (المغرب وموريتانيا والسنغال) حتى

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩١)، ص ١ - ١٦.





المحيط الهادى شرقاً (إندونيسيا وبرونائى) ومن بحر قزوين شمالاً (إيران وتركيا) إلى بحيرة فكتوريا جنوباً (أوغندا).

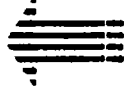
وتبلغ مساحة الدول الإسلامية ٢٦,٦١٨ مليون كيلو متر مربع تمثل حوالى ٢٠% من مساحة اليابسة فى العالم، ويقع ٦٩,٦% من تلك المساحة فى القارة الإفريقية، ٣٠,٤% منها فى آسيا كما أن ٤٤,١% من تلك المساحة تضم دولاً عربية، وتشكل المساحة الكلية للدول الإسلامية قارة تعادل مساحة القارتين الأمريكيتين (٢٩ مليون كيلو متر مربع) وتغزو مساحة قارتى أوروبا وأمريكا الشمالية مجتمعتين (٢٢,٢٢٧ مليون كيلو متر مربع) وتعتبر السودان أكبر الدول الإسلامية من حيث المساحة (٢,٥٠٦ مليون كيلو متر مربع) بينما تعتبر مالديف أصغرها من حيث المساحة (٣٠٠ كيلو متر مربع) <sup>(١)</sup>.

وتمتد المساحة الهائلة للدول الإسلامية على شكل هلال يبدأ بجناح أيسر عميق فى غرب أفريقيا ينحدر تدريجياً فى شمال أفريقيا ولا يلبث أن يثنى شمالاً لينتظم غرب ووسط آسيا فى عروض عليا ولكنه لكى ينحنى بجناحه الأيمن نحو الجنوب فى جنوب وجنوب شرقى آسيا، وكما يبدأ هذا الهلال العظيم من عروض مدارية وشبه استوائية فى أفريقيا فإنه ينتهى عند العروض نفسها فى آسيا ويشبه جمال حمدان هذا الامتداد الهائل بهلال ضخمة تتوسطه نجمة كبيرة هى المحيط الهندى الذى يعتبره محيط الإسلام <sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق: ص ١٧ - ٢٣.

(٢) انظر بالتفصيل جمال حمدان: العالم الإسلامى المعاصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)؛

ص ١٧ - ٤٢.



ومن الناحية الاستراتيجية فإن الدول الإسلامية تمتد عبر مساحة هائلة فى العالم القديم وتتميز هذه المساحة بانفتاحها على المحيطات العالمية كما أنها تشرف على العديد من البحار المهمة فالدول الإسلامية تطل على المحيط الأطلنطى والمحيط الهندى والمحيط الهادى، كذلك فإن الدول الإسلامية تشرف على مجموعة مهمة من البحار أهمها البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربى وهى أذرع بحرية هامة فى التجارة الدولية ووسائل الاتصال العالمى، كما تتحكم الدول الإسلامية فى مجموعة من المضائق والممرات الهامة كقناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيقا البسفور والدرنديل ومضيق ملقا بين جزيرة سومطرة وشبه جزيرة الملايو ويبلغ طوله ٥٠٠ ميل ويربط المحيط الهندى بالمحيط الهادى فيما يرى محمد سيد سليم أن الموقع الاستراتيجى للدول الإسلامية قد قل بعد الفترة الاستعمارية ويتقدم تكنولوجيا الصواريخ العابرة للقارات<sup>(١)</sup>.

ويمكن تقسيم العالم الإسلامى من حيث جغرافيته إلى التقسيمات التالية:

أ - مجموعة الدول العربية: وتضم الجزائر، البحرين، جزر القمر، جيبوتى، مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، موريتانيا، المغرب، عمان، فلسطين، قطر، السعودية، السودان، سوريا، تونس، الإمارات العربية المتحدة، الصومال، إريتريا.

ب - مجموعة دول الشرق الأوسط غير العربية: تركيا، إيران، أفغانستان.

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣.

ج — مجموعة الدول الإفريقية الإسلامية: بنين، بوركينا فاسو، الكاميرون، تشاد، الجابون، جامبيا، غينيا، غينيا بيساو، مالي، النيجر، نيجيريا، السنغال، سيراليون، أوغندا.

د — مجموعة دول جنوب آسيا: باكستان، بنجلاديش.

هـ — مجموعة دول آسيا الوسطى والقوقاز: أوزبكستان، كازاخستان، تركمنستان، قرغيزستان، طاجيكستان، أذربيجان.

و — مجموعة دول جنوب شرق آسيا: ماليزيا - إندونيسيا.

ويمكن تقسيم الأقليات المسلمة في العالم التقسيمات الآتية:

أ — الأقلية المسلمة في روسيا الاتحادية في حوض الفولجا والأورال وشمال القوقاز وتضم شعوب التتار والشيشان فضلاً عن مسلمى القرم في أوكرانيا.

ب — الأقلية المسلمة في الهند وفي إقليم كشمير وهي أكثر الأقليات المسلمة وزناً (تعدت ١٠٠ مليون) بل يفوق تعدادها عدد سكان أكبر الدول الإسلامية عدداً ما عدا إندونيسيا.

ج — الأقلية المسلمة في البلقان وشرق أوروبا في البوسنة وكوسوفو وألبانيا.

د — الأقليات المسلمة في أفريقيا وتتركز في شرقها وفي غربها بسبب الهجرات من الجزيرة العربية ومن شمال غرب أفريقيا المسلم.

هـ — الأقليات المسلمة في أوروبا والأمريكتين وأستراليا وهي من غير شعوب المنطقة المعنية إذا وصلوا بالإسلام إليها مع هجراتهم من الدول الإسلامية منذ نهاية القرن التاسع عشر وطوال القرن العشرين واستقروا في هذه

المناطق ليصبحوا أقليات فضلاً عن اعتنق الإسلام بعد ذلك تحت تأثيرهم ويتركز المسلمين فى أوروبا فى فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا<sup>(١)</sup>.

وهناك عامل هام يرتبط بالموقع وهو المساحة وهو يعتبر من بين عناصر مكانة الدولة فى سلم القوة، ونستطيع أن نقسم الدول الإسلامية التقسيم الآتى:

أ - دول كبيرة المساحة: وهى التى تكون مساحتها أكبر من ٨٠٠ ألف كم ٢ مثل السودان، الجزائر، السعودية، موريتانيا، إيران، تركيا. وتضم هذه الفئة ١٦ دولة من أصل ٥٣ دول شملتها العينة.

ب - دول متوسطة المساحة: وهى الدول التى تتراوح مساحتها ما بين ١٠٠ - ٨٠٠ ألف كم ٢ مثل المغرب، ماليزيا، سوريا، بنجلاديش، العراق، أفغانستان، اليمن. وتضم هذه الفئة ٢١ دولة.

ج - دول صغيرة: وهى الدول التى تقل مساحتها عن ١٠٠ ألف كم ٢ مثل قطر، البحرين، الكويت، جيبوتى، بروناى، سيراليون. وتضم هذه الفئة ١٦ دولة.

## ٢- السكان:

يتوزع المسلمون بين ثلاث وخمسين دولة إسلامية تتمثل فى الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى بالإضافة إلى أقليات ضخمة فى دول مثل الهند وروسيا وغيرها من الدول الآسيوية والأفريقية غير الإسلامية إضافة إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية ويشكل المسلمون ربع سكان العالم

(١) نادية محمود مصطفى: الأقليات المسلمة: إطار عام مقارن للدراسة، و حسن حمدان العلكيم، قضايا إسلامية معاصرة، (القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧)، ص ص ٢٣٥ - ٢٤١.

تقريباً إذ يبلغ عددهم ١,٢ مليار نسمة وهم بذلك يشكلون ثانى مجموعة بشرية من حيث ضخامة العدد بعد سكان الصين (٩).

وإذا كان العالم الإسلامى يتسع لأقطار فى كل من آسيا وأفريقيا وأوروبا فإنه يتسم كذلك بتنوع فى عدد السكان بين دول تتميز بكثافة سكانية (إندونيسيا ١٩٥,٢ مليون نسمة)، ودول تتصف بالخفة السكانية (المالديف ٠,١٨٢ مليون نسمة) (١).

ويشكل عامل السكان فى العالم الإسلامى أهمية كبيرة بالنسبة للقوى الكبرى المهيمنة على العالم قبل الولايات المتحدة وأوروبا الموحدة لاسيما فرنسا التى يتواجد بها أكبر أقلية مسلمة فى أوروبا وهو ما دفع الباحث الفرنسى (جان بورجوا بيشا) إلى تتبع زيادة عدد المسلمين فى القرن القادم فيبعد حوالى ٢٠ سنة أى حوالى ٢٠٢٠ سيحتل الإسلام المرتبة العالمية الأولى بمعدل سكانى سيقدّر بحوالى ٢,٥٠٣ مليون نسمة من مجموع ٧,١١٧ مليون نسمة وهو ما يعادل ٣٠,٦% من سكان العالم بينما ستراجع المسيحية إلى الصف الثانى بمعدل سكانى سيصل ٢,٠٦١ أى حوالى ٢٥,٢% أما الصين فتستعرف ارتفاعاً بسيطاً من ١,٤٦٠ عام ٢٠٠٠ إلى ١,٤٨١ مليون نسمة عام ٢٠٢٠، وهو ما يعادل ١٧,٩% من سكان العالم المتوقعين.

(\*) عدد دول منظمة المؤتمر الإسلامى الآن ٥٧ دولة بانضمام: كوت ديفوار، جويانا، سورينام، توجو إلى المنظمة فضلاً عن ثلاثة مراقبين هم: البوسنة، تايلاند، أفريقيا الوسطى كما يظهر فى الموقع الجديد للمنظمة على الإنترنت، ولكن المؤلف اعتمد فى دراسته على إحصاءات دراسة النشاط لعام ١٩٩٤.

(١) عبد المنعم المشاط: قضية التجزئة والتخلف فى العالم الإسلامى، فى حسن حمدان العلوكيم، مرجع سابق، ص ٢٥٧، ٢٥٨. وانظر أيضاً: عبد المنعم المشاط: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، السياسة الدولية، عدد (٩٩)، يناير ١٩٩٠، ص ٦٢ - ٧٧.

وستستمر وتيرة تطور التيارات الروحية والثقافية على هذا المنوال لتصل عام ٢١٠٠ إلى التركيبة التالية:

— سيصل عدد المسلمين إلى ٤,٤١٢ مليون نسمة من مجموع ١١,٠١١ مليون نسمة من سكان العالم أى ما يعادل تقريباً مسلماً من ضمن شخصين من سكان العالم أى أن الإسلام سيغطي بهذا المعنى ٤٠,١% من مجموع سكان العالم.

— ستظل المسيحية تحتل المرتبة الثانية لكن مع فاصل بعيد عن الصف الأول أى أنها لن تغطي سوى ٢٠,٢% من مجموع سكان العالم.

— أما الصين فستمثل حوالى ١٣,١% من مجموع سكان العالم أما بقية الأديان والتيارات الروحية المتعددة فسيكون مجموعها ٢٦,٢% من مجموع سكان العالم (١).

فالدول الإسلامية تشهد ظاهرة ارتفاع معدل تزايد السكان إذ يبلغ متوسط الزيادة السكانية حوالى ٣,٥% من السكان سنوياً وقد يصل هذا المعدل إلى مستويات مرتفعة كما هو الحال فى معظم دول الخليج العربى إذ يصل المعدل فى الإمارات العربية إلى ١٠,٧%، وفى قطر ٦,٤% وقد ينخفض فى بعض الدول الإسلامية الأخرى ليصل إلى ٠,٣% كما هو الحال فى لبنان وارتفاع معدل تزايد

(١) المصطفى الرزازى المصطفى: "أطروحة الاصطدام بين الحضارات والترايط الإسلامى - الكونفوشيوس"، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧، ص ٢٥.

السكان يمثل مشكلة لبعض الدول الإسلامية مثل مصر وباكستان وبنجلاديش ولا يمثل نفس المشكلة بالنسبة للعراق والسعودية<sup>(١)</sup>.

ويذكر ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكى الأسبق فى كتابه (الفرصة السانحة) ضرورة الاهتمام الأمريكى بدول الأغلبية الإسلامية تركيا وباكستان ومصر وإندونيسيا<sup>(٢)</sup>، وهى نفس التوجه الذى أشار إليه روبرت تشاز وزملائه فى دراسته عن (الدول المحورية فى العالم والاستراتيجية الأمريكية) الذين أضافوا للدول السابقة الجزائر، وتعتمد فكرة الدولة المحورية على الدولة التى تحفظ الاستقرار بالنسبة للمصالح الأمريكية فى دائرتها الإقليمية<sup>(٣)</sup>.

ونستطيع أن نقسم الدول الإسلامية تبعاً لعدد السكان إلى:

أ - دول عالية الكثافة: وهى التى يتراوح عدد سكانها ما بين ٥٠ مليون - ٢٠٠ مليون نسمة وتضم ٧ دول هى: إندونيسيا، بنجلاديش، نيجيريا، باكستان، إيران، مصر، تركيا.

ب - دول متوسطة الكثافة: وهى التى يتراوح عدد سكانها ما بين ٥ مليون - ٥٠ مليون نسمة وتضم ٢٣ دولة مثل: الجزائر، السودان، المغرب، ماليزيا، أوغندا، سوريا، الكامبيرون، اليمن.

---

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) عمر الفاروق: تذييل فى جمال حمدان، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(3) Robert S. Chase, *Pivotal States and U. S. Strategy*, Foreign Affairs, Vol. 75, No. 1. Jan./ Feb. 1996. pp. 33 - 51.

ج - دول منخفضة الكثافة: وهي التي يقل عدد سكانها عن ٥ مليون نسمة وتضم هذه الفئة ٢٢ دولة مثل: السنغال، النيجر، الأردن، بنين، الكويت، البحرين، الإمارات، أذربيجان.

وجاء تقسيم الفئات على هذا النحو نظراً للفارق الكبير في عدد السكان بين آخر دولة في أول فئة (مصر: ٥٧ مليون تبعاً لتعداد عام ١٩٩٤)، وأول دولة في الفئة الثانية (السودان: ٢٨,٧٠٠ مليون تبعاً لنفس التعداد) لذا فقد رأى المؤلف أن تضم فئة الدول عالية الكثافة ٧ دول فقط، وهي الدول التي يؤثر العدد الكبير للسكان على أوضاعها الاقتصادية والسياسية.

### ٣- العوامل الاقتصادية:

تقع الدول الإسلامية في عداد الدول النامية إذا أخذنا مؤشر مدى مساهمة الأنشطة الاقتصادية المختلفة في الناتج القومي الإجمالي للدول الإسلامية فإننا نجد أن انقطاع الأولى (الزراعة والصيد والرعي والأنشطة الاستخراجية) تسهم بحوالي ٣٤,٧% من هذا الناتج بينما تمثل الصناعات التحويلية ١١,٧% من هذا الناتج وتمثل الأنشطة المرتبطة بالخدمات والتوزيع والبناء والتشييد والكهرباء والماء والغاز ٥٣,٦% من هذا الناتج.

فمساهمة الصناعات التحويلية والتي تعد المؤشر الحقيقي للتطور الاقتصادي في اقتصاديات ضئيلة إلى حد كبير وتعتبر الأردن والجزائر أعلى الدول الإسلامية من حيث مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج القومي (٣٨%، ٣٧%)





على التوالى) بينما تعتبر عُمان وبنين أقلهم فى هذا المقام (٢,٣% ، ٠,٣%) على التوالى (١).

وهناك تفاوت واضح فى المستويات الاقتصادية بين الدول الإسلامية، فبينما تزيد فى بعض الدول الفوائض تعاني أخرى من عجز مزمن فى موازين مدفوعاتها وبوجود عبء ثقيل من الديون الخارجية وعلى سبيل المثال بينما يصل متوسط الدخل الفردى فى برونائى إلى حوالى ١٧,٥٩٠ دولار فى العام لا يزيد فى تشاد عن ٧٣ دولاراً فى العام ولا يزيد عدد الدول الذى يناهز متوسط الدخل الفردى فيها ١٠٠٠ دولار عن ١٥ دولة (حوالى ٣٠% فقط من إجمالى الدول الإسلامية) (٢).

ويرتبط بذلك زيادة حجم الديون الخارجية لبعض تلك البلدان مثل العراق وإندونيسيا ومصر وأفغانستان وتركيا إذ وصل حجم الدين الخارجى لتلك الدول فى عام ١٩٩٥ إلى ١٠٠، ١٠٤، ٣٤، ٧٣، ٣٤ مليار دولار على التوالى، وتصل قيمة خدمة الدين الخارجى سنوياً فى بعض البلدان الإسلامية مبلغاً قد يصبح من العسير على هذه الدول الوفاء به مثل تركيا والجزائر ومصر والمغرب وتونس إذ تصل تلك القيمة حوالى ٦,٩، ٣، ٢، ١ مليار دولار سنوياً وهذا عبء تنوء به كواهل تلك الدول.

كما أصبحت الدول العربية الخليجية الأعضاء فى منظمة الدول المنتجة والمصدرة للنفط صارت تعاني - كغيرها من الدول الإسلامية - من عبء الدين الخارجى هذه ظاهرة حديثة أعقبت حرب تحرير الكويت ويبلغ الدين الخارجى فى

(١) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) عبد المنعم المنشا: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٧٧.



عام ١٩٩٥ لكل من السعودية والكويت والإمارات ١٧، ١٠، ٥ مليارات دولار على التوالي<sup>(١)</sup>.

وهناك عدد من المؤشرات التي تبين التخلف الاقتصادي في الدول الإسلامية:

أ - الدول الإسلامية تعتمد إما على الإنتاج الأولي (الاستخراج) أو الزراعة كمصادر رئيسية للدخل القومي ويظهر ذلك من توزيع القوى العاملة بين مختلف الأنشطة الاقتصادية فبينما تقل نسبة العاملين في الصناعة إلى إجمالي العاملين تزيد هذه النسبة بدرجة ملحوظة في الزراعة، حيث تصل الأخيرة في النيجر وأوغندا وتشاد والسنغال وبوركينا فاسو إلى حوالي ٩١%، ٨٦%، ٨٣%، ٨١%، ٨٧% على التوالي بينما تصل نسبة العاملين في الصناعة في الدول ذاتها ٢%، ٤%، ٥%، ٦%، ٤% على التوالي وهذه الظاهرة مرتبطة بتدني مستوى التكنولوجيا من ناحية والتركيز على قطاع واحد تقليدي من ناحية أخرى.

ب - على الرغم من تركيز العمالة في الدول الإسلامية في قطاع الزراعة فإن مساهمة هذا القطاع في الدخل القومي لهذه الدول هي مساهمة محدودة إذ تتجاوز ٣% في المملكة العربية السعودية، ٢٥% في باكستان، ٢٠% في مصر، ٤% في ليبيا، ١٥% في الجابون وربما يعود ذلك إلى تخلف أساليب الإنتاج أو أنها موسمية أو ترتبط بهطول الأمطار أو نظراً لتدني الانتاج لظروف الطقس أو التسميد على الرغم من حصول هذه الدول على فروع ضخمة من المؤسسات الدولية لإصلاح الزراعة.

---

(١) عبد المنعم المشاط: قضية التجزئة والتخلف في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

ج - يلاحظ أن العديد من الدول الإسلامية تعاني من معدلات عالية من التضخم السنوى تصل فى بعضها إلى أكثر من ٥٠% فى دول مثل تركيا، العراق، وإيران (٥٩%، ٥٠%، ٥٠%) على التوالى والتضخم ينجم عن زيادة الطلب بمعدلات أعلى من قدرة المجتمع على إنتاج ما يكفى من السلع والخدمات للوفاء بهذا الطلب (١).

وقد حاول بعض المنظرين طرح المسببات التاريخية للتخلف الاقتصادى للعالم الإسلامى فىرى محمد السيد سليم أن "الاستعمار حاول إدماج المجتمعات الإسلامية بالمجتمعات الغربية على نحو ما حدث للمستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا، كذلك ربطت الدول الاستعمارية اقتصاديات الدول الإسلامية المستعمرة باقتصاداتها ربطاً رأسياً محكماً بحيث أصبحت الاقتصادات الإسلامية مجرد توابع تخدم اقتصاديات الدول الاستعمارية سواء فى الإنتاج أو الاستهلاك، وقد أدى ذلك إلى ضعف العلاقات التجارية الأفقية بين الدول الإسلامية بعد الاستقلال (٢).

وإذا أردنا تطبيق فكرة المركز والأطراف فى النظام الرأسمالى العالمى التى طرحها سمير أمين على العالم الإسلامى فقد أدى التوسع الاستعمارى إلى تحويل جزء كبير من فائض القيمة (أى تلك النصيب من ناتج العمل الذى يزيد عما هو ضرورة لإعادة تكوين قوة العمل) من المجتمعات المسيطر عليها إلى المجتمعات المسيطرة، واتخذ هذا التحويل أشكالاً عينية مختلفة حسب الظروف المحلية، وفى كثير من الأحيان لم يأخذ هذا الاستغلال طريق إحلال علاقات إنتاج رأسمالية محل

(١) عبد الله المشاط: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٧٧.

(٢) السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٥.

العلاقات القديمة أى إنشاء مشروعات رأسمالية تستغل أيدى عاملة مأجورة يملكها راس مال الاحتكارات الأجنبية .. بل أخذ طريقاً آخر وهو حفظ العلاقات القديمة وإخضاعها لاحتياجات سياسة رأس المال من خلال إدماجها فى نظام التقسيم الدولى للعمل غير المتكافئ.

وتكيفت هذه الأشكال طبقاً لنوع التحالف الطبقي بين راس مال الاحتكارات المسيطرة والطبقات الحاكمة محلياً .. فمثلاً تكونت ملكيات زراعية كبيرة تنتج من أجل السوق العالمية مواد خام.

والنتيجة الأساسية لهذا التقسيم الدولى هى أن التحويل المذكور لفائض القيمة خفض شدة الاستغلال الرأسمالى المباشر فى الدول المتقدمة بينما زاد فى الاستغلال الرأسمالى المباشر وغير المباشر (أى هذا الاستغلال الذى يمتد من خلال حفظ علاقات إنتاج قديمة وإدماجها فى النظام الرأسمالى العالمى) للعمال والفلاحين فى البلدان المسيطر عليها.

والتميز بين مراكز النظام وأطرافه ظاهرة جوهرية لطبيعة النظام الرأسمالى من أوله الذى يميل لإدماج مجتمعات العالم كلها على أسس غير متكافئة بعضها يمكن مسيرة النظام وبعضها يخضع لاحتياجات حكم الأولى، وقد لعبت الثروة النفطية دوراً هاماً فى تعميق اندماج العالم العربى والإسلامى فى النظام الرأسمالى العالمى واندماجه لا كمشارك متساو بل كطرف تابع<sup>(١)</sup>.

وإذا حاولنا تقسيم الدول الإسلامية اقتصادياً فإن التقييم الشائع فى دراسات التدفق هو نصيب الفرد السنوى من الدخل القومى وبالنسبة للدول الإسلامية تنقسم إلى:

---

(١) سمير أمين: مرجع سابق، ص ١٢ - ١٤.

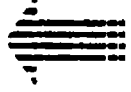
أ - الدول التى تعيش تحت خط الفقر وهو ٢٠٠ دولار سنوياً وتضم بنجلاديش ومالى وبوركينا فاسو وتشاد وغينيا وبيساو .

ب - الدول ذات الدخل المنخفض أى اقل من ٤٠٠ دولار سنوياً وتضم كل من باكستان والسودان والسنغال والنيجر وغينيا والصومال وبنين وسيراليون وجامبيا وجزر القمر والمالديف .

ج - دول ذات دخول متوسطة تتراوح ما بين ٤٠٠ - ٦٠٠ دولار سنوياً وتضم معظم الأقطار الإسلامية مثل مصر والجزائر والأردن وسوريا .

الدول ذات الدخل المرتفع والذى يزيد متوسط الدخل الفردى السنوى عن ٦٠٠٠ دولار سنوياً وتضم الإمارات وبرونائى وقطر والكويت والبحرين والسعودية وليبيا وعمان .

وتتميز العديد من الدول الإسلامية بدرجة واضحة من عدم العدالة فى توزيع الدخل القومى على المواطنين، وهى سمة تشترك فيها معظم دول العالم الثالث فبينما لا يزيد نصيب الفقراء فى معظم الدول التى توافرت بها بيانات عن ٧ % من إجمالى الدخل القومى (رغم أن نسبة الفقراء لا تقل عن ٢٠% من السكان) فإن نصيب أغنى ٢٠% من السكان يناهز ٥٠% من الدخل القومى ويقل نصيب الفئات المتوسطة (والتي تصل لحوالى ٦٠% من إجمالى السكان) عن ٥٠% من الدخل القومى .. وبمقارنة تلك الأرقام بتمثيلاتها فى الدول المتقدمة نجد صورة عكسية إذ يزيد نصيب الفئات المتوسطة عن ٥٠% مما يوحى بأن الطبقة المتوسطة فى الدول المتقدمة - عكس الدول الإسلامية تتسم بالاتساع.



ويلاحظ نتيجة لكل ما سبق ونظراً لاعتماد تلك الأقطار على السوق الدولى فى سد احتياجات مواطنيها المتزايدة، وعلى الاقتراض إما من المؤسسات المالية الدولية أو من الدول الكبرى، تصاعدت مشكلة الديون الخارجية والتي بلغت لدول العالم الثالث حوالى ١٣٢٠ مليار عام ١٩٨٨ كان نصيب الدول الإسلامية منها حوالى ٣٩٣ مليار دولار أى حوالى ٣٠% من إجمالى حجم الدين الخارجى لدول العالم الثالث، وهذا فى الوقت الذى تصل فيه الاستثمارات العربية فى الدول الكبرى والمؤسسات التابعة لها حوالى ٦٢٠ مليار دولار عام ١٩٨٨ هذا فضلاً عن أموال بقية الدول الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وانفارق بين أغنى الدول الإسلامية (بروناي وسيراليون) وأفقرها من حيث فئات الدخل يبلغ ١٥٠ : ١ فإنه لا يتعدى فى حالة الدول الغربية ٨ : ١ (سويسرا والبرتغال).

كما أن الدول الإسلامية تتميز بظاهرة عدم التوازن بين مقومات مكانة الدولة وذلك إذا قورنت كل دولة إسلامية بغيرها من الدول الإسلامية فمكانة الدولة فى المجتمع الدولى تتحدد بناء على مجموعة من الأبعاد (متوسط الدخل الفردى، ودرجة التصنيع، نسبة التحضر، القوة العسكرية، ومستوى التطور الحضارى والتقنى وغيرها).

وتكون الدولة فى حالة توازن إذا كانت تلك الأبعاد متسقة مع بعضها البعض الآخر سواء من حيث الارتفاع أو الانخفاض أما إذا كانت الدولة متقدمة فى بعض تلك الأبعاد وغير متقدمة فى الأبعاد الأخرى فإنها تشهد حالة من عدم توازن

---

(١) عبد المنعم المشاط: قضية الجزنة والتخلف فى العالم الإسلامى، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

المكانة وتؤدي حالة عدم التوازن في مقومات مكانة الدول الإسلامية إلى توتر العلاقات بين تلك الدول وبالذات بين الدول التي تنتهي إلى الشرائح العليا من أبعاد المكانة.

وحالة عدم التوازن تؤدي إلى ظاهرة (تنازع القيادة) بين الدول الإسلامية وعدم اتفاق الدول الإسلامية على تصور عام منظم لعلاقاتها المتبادلة ويحدد علاقاتها المشتركة مع القوى الكبرى، ولذلك فإننا غالباً ما نشهد توترات دورية في العلاقات بين الدول الإسلامية التي تنتمي إلى الشرائح العليا من أبعاد المكانة كما أن المؤلف في العلاقات بين الدول الإسلامية هو (تنازع الأدوار) وليس (توزيع الأدوار) <sup>(١)</sup>.

وقد رأى المؤلف في تقسيمه للعالم الإسلامي اقتصادياً أن يعتمد على أحدث تقرير للتنمية البشرية للأمم المتحدة صدر خلال فترة إجراءه للدراسة وهو تقرير عام ١٩٩٩ الذي قسم دول العالم إلى دول ذات تنمية بشرية عالية، ودول ذات تنمية بشرية متوسطة، ودول ذات تنمية بشرية منخفضة مقدراً بثلاث مؤشرات هي متوسط العمر، ونسبة التعليم، والناتج المحلي الإجمالي <sup>(٢)</sup> وهو مؤشر جديد يحاول المؤلف اختباره في هذه الدراسة. وعلى ضوء التقرير قام المؤلف باستحداث الجدول التالي الذي يقسم دول العالم الإسلامي تبعاً للمعايير السابقة وهو الجدول الذي سيعتمد عليه في الدراسة التحليلية.

(١) محمد عبد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢ - ٤٥.

(2) Human Development Report 1999 @ <http://www.unesco.org/humandevlop/html>.

## تقسيم الدول الإسلامية اقتصادياً حسب تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩

م	الدولة	الترتيب حسب تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤	العمر المتوقع عند الميلاد	نسبة التعليم للكبار	الفايز المحلي الإجمالي ملايين الدولارات
١	بروناي	٢٥	٧٥,٥	٩٠,٠١	٢٩,٧٧٣
٢	الكويت	٣٥	٧٥,٩	٨٠,٤	٢٥,٣١٤
٣	البحرين	٣٧	٧٢,٩	٨٦,٢	١٦,٥٢٧
٤	قطر <small>منتدى بور الأزمكية</small>	٤١	٧١,٨	٨٠,٠	٢٠,٩٨٧
٥	الإمارات	٤٣	٧٤,٨	٧٤,٨	١٩,١١٥
٦	ماليزيا	٥٦	٧٢,٠	٨٥,٧	٨,١٤٠
٧	ليبيا	٦٥	٧٠,٠	٧٦,٥	٦,٦٩٦
٨	لبنان	٦٩	٦٩,٩	٨٤,٤	٥,٩٤٠
٩	كازاخستان	٧٦	٦٧,٦	٩٩,٠	٣,٥٦٠
١٠	الفلبين	٧٧	٦٨,٣	٩٤,٦	٣,٥٢٠
١١	السعودية	٧٨	٧١,٤	٧٣,٤	١٠,١٢٠
١٢	تركيا	٨٦	٦٩,٠	٨٣,٢	٦,٣٥٠



١٣	عمان	٨٩	٧٠,٩	٦٧,١	٩,٩٦٠
١٤	أوزبكستان	٩٢	٦٧,٥	٩٩,٠	٢,٥٢٩
١٥	المالديف	٩٣	٦٤,٥	٩٥,٧	٣,٦٩٠
١٦	الأردن	٩٤	٧٠,١	٨٧,٢	٣,٤٥٠
١٧	إيران	٩٥	٦٩,٢	٧٣,٣	٥,٨١٧
١٨	تركمنستان	٩٦	٦٥,٤	٩٨,٠	٢,١٠٩
١٩	قرغيزستان	٩٧	٦٧,٦	٩٧,٠	٢,٢٥٠
٢٠	ألبانيا	١٠٠	٧٢,٨	٨٥,٠	٢,١٢٠
٢١	تونس	١٠٢	٦٩,٥	٦٧,٠	٥,٣٠٠
٢٢	أذربيجان	١٠٣	٦٩,٩	٩٦,٣	١,٥٥٠
٢٣	إندونيسيا	١٠٥	٦٥,١	٨٥,٠	٣,٤٩٠
٢٤	طاجيكستان	١٠٨	٦٧,٢	٩٨,٩	١,١٢٦
٢٥	الجزائر	١٠٩	٦٨,٩	٦٠,٣	٤,٤٦٠
٢٦	سوريا	١١١	٦٨,٩	٧١,٦	٣,٢٥٠
٢٧	مصر	١٢٠	٦٦,٣	٥٢,٧	٣,٠٥٠

تغطية بشرية متوسطة

٢٨	الجابون	١٢٤	٥٢,٤	٦٦,٢	٧,٥٥٠
٢٩	العراق	١٢٥	٦٢,٤	٥٨,٠	٣,١٩٧
٣٠	المغرب	١٢٦	٦٦,٦	٤٥,٩	٣,٣١٠
٣١	الكاميرون	١٣٤	٥٤,٧	٧١,٧	١,٨٩٠
٣٢	باكستان	١٣٨	٦٤,٠	٤٠,٩	١,٥٦٠
٣٣	جزر القمر	١٣٩	٥٨,٨	٥٥,٤	١,٥٣٠
٣٤	السودان	١٤٢	٥٥,٠	٥٣,٣	١,٥٦٠
٣٥	نيجيريا	١٤٦	٥٠,١	٥٩,٥	٩٢٠
٣٦	اليمن	١٤٨	٥٨,٠	٤٢,٥	٨١٠
٣٧	موريتانيا	١٤٩	٥٣,٥	٣٨,٤	١,٧٣٠
٣٨	بنجلاديش	١٥٠	٥٨,١	٣٨,٩	١,٠٥٠
٣٩	السنغال	١٥٣	٥٢,٣	٣٤,٦	١,٧٣٠
٤٠	بنين	١٥٥	٥٣,٤	٣٣,٩	١,٢٧٠
٤١	تنزانيا	١٥٦	٤٧,٩	٧١,٦	٥٨٠
٤٢	جيبوتي	١٥٧	٥٠,٤	٤٨,٣	١,٢٦٦
٤٣	أوغندا	١٥٨	٣٩,٦	٦٤,٠	١,١٦٠

تغطية بشرية منخفضة

٤٤	غينيا	١٦١	٤٦,٥	٣٧,٩	١,٨٨٠
٤٥	نيجاد	١٦٢	٤٧,٢	٥٠,٣	٩٧٠
٤٦	جامبيا	١٦٣	٤٧,٠	٣٣,١	١,٤٧٠
٤٧	مالى	١٦٦	٥٣,٣	٣٥,٥	٧٤٠
٤٨	إريتريا	١٦٧	٥٠,٨	٢٥,٠	٨٢٠
٤٩	غينيا - سار	١٦٨	٤٥,٠	٣٣,٦	٨٦١
٥٠	بور كينا فاسو	١٧١	٤٤,٤	٢٠,٧	١,٠١٠
٥١	النيجر	١٧٣	٤٨,٥	١٤,٣	٨٥٠
٥٢	سيراليون	١٧٤	٣٧,٣	٣٣,٢	٤١٠
٥٣	أفغانستان	ليس هناك بيانات نتيجة للحرب الأهلية			

#### ٤- الاستقرار السياسى:

يجمع معظم منظرى العلوم السياسية على أن تحديد الحكومة أو الدولة المستقرة شىء صعب. فالمواطنون فى الأغلب لا يوافقون على السياسات العامة، وعدم الموافقة هذه هى سبب رئيسى لوجود العملية الديمقراطية، ولذا فإن المواطنون يختلفون - فى الأغلب - عما إذا كانت تحكمهم حكومة جيدة، والأمر

يزداد صعوبة إذا خرج الباحثون السياسيون عن حصر عدم الاستقرار فى كم العنف أو القهر الذى تحظى به الحياة السياسية.

فالمراقبون السياسيون يميلون إلى اعتبار حكومات إيطاليا أو فنلندا قصيرة العمر علامة على عدم الاستقرار السياسى، وحتى الحكومات التى تعتمد على نظام رئاسى مثل الولايات المتحدة أو فنزويلا والتى تجد صعوبات فى البرلمان أو من النظام القضائى لتطبيق سياستها يعتبرها المراقبون السياسيون غير مستقرة<sup>(١)</sup>. وبهذا المعيار يمكن اعتبار معظم حكومات أو دول العالم غير مستقرة وهو ما لا يفيد فى تحويل المفاهيم النظرية إلى مفاهيم يمكن قياسها فيما يطلق عليه علماء المنهج Operationalization.

وبعض المنظرين يربط الاستقرار بالإقناع الذى تمارسه الحكومة لكسب ولاء جماهيرها، ولذا فهم يرونها خصيصة للدول الليبرالية خلافاً لتحقيق الاستقرار بالإجبار الذى هو خصيصة للدول الشمولية. ويرتبط مفهوماً العدل والمساواة بمفهوم الاستقرار فى النظم الليبرالية، فالشعب الذى يعيش فى ظل مؤسسات قوية يتكون لديه حس قوى بمعنى العدالة، وولاء للمؤسسات التى تحقق لهم الاستقرار، وكذا يتكون لديهم اتجاه قوى لمواجهة عدم العدالة، والاستقرار يعتمد بشكل رئيسى على هذه الدوافع الإنسانية القوية الكافية لمواجهة المؤسسات إن حادت عن الطريق السليم القويم، والطريق الليبرالى يسمح للمجتمع - كوحدة عضوية متكاملة بمحاربة كل أشكال الخروج عن العدالة والنزاهة دون عنف، فالشرعية تتأسس على الإقناع والعقلانية<sup>(٢)</sup>.

(1) Bingham Powell, Jr., *Contemporary Democracies: Participation, Stability, and Violence*, (Cambridge: MA. Harvard University Press. 1992), pp. 17 - 20.

(1) John Rawls, *Political Liberalism* (New York: Columbia University Press, 1995), pp. 142 - 144.

وهناك فارق كبير بين الدول غير المستقرة والدول المنهارة، فانهيار الدولة يعنى أن الوظائف الأساسية لم تعد تؤديها الدولة، فليست قادرة على إدارة شئ، لا تصدر القوانين ولا تحفظها وينحل رباط التماسك الاجتماعى، ولا يرتبط بها مواطنيها كرمز للهوية ومعنى للفعل الاجتماعى وكذا لا يتحقق الأمن لحدودها، وكتتظيم سياسى واجتماعى يتم تدمير التوازن الوظيفى بين المدخلات والمخرجات ولا يطالبها أحد بشئ لأن شعبها يدرك أنها لا تستطيع أن تؤدي شيئاً وهو ما يشبه ما حدث فى دول أفريقية مثل تشاد والصومال وليبيريا<sup>(1)</sup>.

ولكن هناك فريق من علماء السياسة حاول أن يقنن مفهوم عدم الاستقرار أو الاضطراب السياسى حتى يمكن أن يتم التفرقة بين دولة مستقرة أو غير مستقرة سياسياً. والمشكلة فى تأسيس مؤشر منضبط للاضطراب السياسى متنوعة بتعدد أحداث العنف نفسها. أول مشكلة تعريفية هى أن المادة المتوفرة عن العنف تحتوى على عدد من المتغيرات الظاهرة للعنف السياسى. وبمجرد أن يحاول الباحث استخدام الإحصاء للأحداث، يجد نفسه مركزاً فقط على مؤشر معين بدلاً من المفهوم أى الاستقرار السياسى للأمة. وهذا الطرح مضاهى للسؤال عما إذا كان (مقياس الذكاء) Intelligence Quotient يقيس الذكاء حقاً، أو أن الناتج الإجمالى يقيس التنمية. وللقياس الجيد، ينبغى على المرء إيجاد علاقة مباشرة بين المفهوم والمؤشر لأننا إذا أخذنا مثلاً اغتيال رئيس الدولة كمؤشر لعدم الاستقرار السياسى فسوف نفسر الظروف التى عندها يكون فيها للاغتيال تأثيراً على الاقتصاد أو السياسة على الإجمال ولكننا لن نفسر المتغير المقصود وهو عدم الاستقرار السياسى .

(1) William Zartman (ed.). *Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority* (London: Lyme Rienner Publishers, 1995). pp. 5 – 7.



المشكلة التعريفية الثانية ترتبط ببناء مؤشر منضبط متعدد للعنف السياسى أن هناك اختلافات كيفية بين أنواع العنف. فالبيئة التى يعمل فيها العنف السياسى فى دولة يمكن أن تنقسم إلى فئات عامة: عنف ضد النظام السياسى، عنف داخل النظام، ويمثل النوع الأول بمدى تعدد الأحداث الجماعية. والفئة الثانية تحتوى على محاولات الانقلاب الناجحة والفاشلة ويمكن أن تعبر الاعدامات السياسية وتكرارها عن عنف النظام وهو النوع الثالث. وحتى بالنسبة لفئة العنف الجماعى، فهناك اختلافات كيفية داخلها مثل العنف الفوضوى Anomic Violence والذى يدخل فيه أحداث الشغب والعنف الاجتماعى الذى تقع داخله المظاهرات والنوع الأول هو الأخطر ويمكن أن يطلق عليها الحرب الداخلية Internal War والذى يمكن أن تنتج داخله حرب العصابات والاعتيالات السياسية.

والاستقرار السياسى فى أمة لا يعتمد فقط على سلوك الجماهير ولكن أيضاً سلوك النخب والجماعات المنظمة التى غالباً ما تكون جزءاً من النظام فى الأغلب مثل القوات المسلحة التى تعبر عن نفسها فى شكل انقلابات ومحاولات انقلاب، فضلاً عن أن عنف النظام يغيب فيه فى أحيان كثيرة الحد الفاصل بين حفظ القانون واعتباره نوعاً من عدم الاستقرار<sup>(1)</sup>.

وقد رأى المؤلف أن يعتبر الدولة الإسلامية غير مستقرة سياسياً إذا كانت تشهد خلال فترة الدراسة حرب أهلية (حالة أفغانستان) أو حرب داخلية بين النظام وجماعات مسلحة (حالة الجزائر)، أو لم يستقر وضعها بعد احتلال خارجى (فلسطين).

● ● ●

(1) Dipak K. Gupta, *The Economics of Political Violence: The Effect of Political Instability on Economic Growth*, (New York: Praeger Inc., 1990), pp. 191 – 201.

## تأثير الإعلام في وضع أطر شئون العالم الإسلامي

يعالج هذا الجزء من الفصل: نموذج تأثير الإطار واستخداماته في المجال الإعلامي بعدها يفصل هذا الجزء العلاقة بين الخطاب والإطار، بعدها يعرض المؤلف للخطاب الاستشراقي والاستعماري ودوره في وضع أطر شئون العالم الإسلامي، وهي الخطابات السابقة على العولمة التي شكلت في عقد التسعينيات العدسات الجديدة التي يرى بها الغرب العالم الإسلامي.

• • •

### أولاً: نموذج تأثير الأطر

#### ١- تعريف الإطار:

يقصد بالإطار Frame أو التأطير Framing اصطلاحاً الاختيار والتركيز واستخدام عناصر بعينها في النص الإعلامي لبناء حجة أو برهان على المشكلات ومسبباتها وتقييمها وحلولها.

ولكي توظف موضوعاً لا بد أن تختار بعض أوجه الحقيقة المدركة وتبرزها عبر آليات الاختيار - السكوت أو الحضور - الغياب لكلمات أو عبارات أو صور نمطية، أو مصادر للمعلومات لتقديم مجموعة من الحقائق أو الأحكام عن موضوع يتم تناوله.

ويقدم مفهوم الإطار اقتراباً بحثياً يجمع الفروض المبعثرة لعدد من المداخل البحثية لدراسة النصوص الإعلامية مثل تحليل الإدراك، ودراسة الصورة بتنظيم نتائج

هذه الدراسات وتقديم إطار جدلي جديد (مركب مفاهيمي) أو Synthesize لبناء نموذج معرفي أو Paradigm يقود عملية البحث في النصوص الإعلامية - بتقديم إطار شامل ينير الطريق لمعرفة كيف يتم التأثير على الوعي الإنساني عبر الإعلام من خلال القصص الخبرية والتحقيقات والأحاديث وأعمدة ومقالات الرأي<sup>(١)</sup>.

وكلمات إطار وتأطير Frame, Framing, Framework شائعة الاستخدام خارج سياق الخطاب العلمي ودلالاتها تقارب دلالة الاستخدام الأكاديمي ألا وهو تحديد راصد للاتجاهات المختلفة لاستخدام اللغة (الكلمات، الجمل) واقتراح فهم شامل ودقيق لها. ويرى إنتمان Entman أنه لتحقيق هدف جمع الفروض المبعثرة للمداخل البحثية المختلفة يلزم وعي ذاتي من باحثي الإعلام يجمع نتائج مجموعات الأبحاث وهو الوعي الذي لابد من أن يتم تنظيمه مؤسسياً على مستوى مراكز البحوث والجامعات والباحثين الأفراد أيضاً.

وربما كانت دراسة جامسون Gamson عام ١٩٩٢ من أوائل الدراسات التي أسست لاقترب التأطير بتطبيقه على تغطية الحرب الباردة التي سادت أخبار الولايات المتحدة الخارجية إذ أعلى الإعلام الأمريكي من شأن بعض الأحداث كالحروب الأهلية التي كانت تعرف على أنها (اضطرابات) وينسب سببها لـ (المتمردين الشيوعيين) وتقدم أحكام أخلاقية لوصف القوى الفاعلة فيها (العدوان الملحد) ويقترح حلول منها (تدخل الولايات المتحدة في صالح الجانب الخير)<sup>(٢)</sup>.

ويمكن استخلاص أن الأطر هي:

- 
- (1) Robert m. Entman, **Framing: towards Clarification of a Fractured Paradigm**, *Journal of Communication*, Vol. 43, No. 4, Autumn 1993, pp. 51 - 58.  
(2) W. Gamson, **Talking Politics** (New York: Cambridge University Press, 1992), p. 41



أ- تعريف للمشكلات: والتي عادة يتم تشكيلها تبعاً للمصالح السياسية والاقتصادية والقيم الثقافية السائدة.

ب- تشخيص للمشكلات: وتشمل تحديد القوى التي تخلق المشكلة والتقييم الأخلاقي لأدوارها وكذا تقييم العوامل المسببة وآثارها.

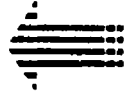
ج- اقتراح الحلول: تقديم وتبرير حلول المشكلات والتنبؤ بتأثيراتها المتوقعة<sup>(1)</sup>.

والنصوص الإعلامية قد تحتوى على جملة أو جمل تقوم بهذه الوظائف مجتمعة وقد تتضمن جملة أو جملاً لا تقوم بأى من هذه الوظائف .. وهناك أربعة عناصر يركز عليها مدخل الإطار فى عملية الاتصال:

أ- القائمون بالاتصال (الصحفيون): وهم يضعون أطر حكمية بوعى أو بدون وعى فى تحديد ماذا يقال وهم محكومون بدورهم بالأطر التي تنظم أنساقهم المعرفية والضغط المهنية التي يعملون فى ظلها كضغوط نمط السيطرة والملكية والتمويل والتي تحدد السياسة التحريرية وكذا ضغوط المساحة وسرعة العمل الإعلامى.

ب- النص: الذى يحتوى على أطر تظهر فى غياب وحضور كلمات معينة وعبارات معتادة وصور نمطية ومصادر للمعلومات وعبارات تقدم مجموعة من الحقائق أو الأحكام عن موضوع يتم تناوله .. ويرتبط بمفهوم الإطار فى النص مفهوم آخر وهو الإبراز Salience والذى يقصد به جعل جزء من المعلومات بارزاً يمكن ملاحظته وإضفاء المعنى عليه كى يسهل تذكره لجمهور القراء أو المستمعين أو المشاهدين .. بما يترتب على ذلك من

(1) Robert M. Entman, Op. Cit., pp. 51 - 58.



عمليات تخزين واسترجاع وتنظيم إدراك هؤلاء للنص.

ج- المتلقى: وهو المتعرض للأطر التى تقود إدراكه وحكمه .. وقد تعكس أطر إدراكه بعد ذلك (الصورة الذهنية بتعبير دراسات الصورة) أطر النص ونوايا أطر القائم بالاتصال أو لا تعكس.

د- الثقافة: وهى مصدر الأطر التى يتم الاستناد إليها Invoked Frames، والثقافة يمكن أن تعرف فى هذا السياق بشكل إمبيريقى على أنها نظام من الأطر المعبر عنها، والتى تظهر فى خطاب وتفكير معظم الناس فى تجمع اجتماعى معين فى ظرف تاريخى محدد.

والنصوص المُشكّلة للخطاب (كمفهوم تحليلى واسع للنصوص) ترتبط عادة برموز ثقافية شائعة لها مدلولها فى النظم الاعتقادية لكل من القائم بالاتصال والمتلقى التى هى عبارة عن عناقيد أو سلاسل من الأفكار التى تنظم تعريف المشكلات وأسبابها وتقييمها واقتراح حلول لها.

## ٢- استخدام التأطير فى المجال الإعلامى:

يساعد اقتراب تأثير الإطار أو التأطير Framing على إيضاح المفاهيم الإعلامية سواء المعيارية Normative أو الفكرية Conceptual أو الإجرائية الإمبريقية Empirical لأن له أهمية كبيرة فى لفت الانتباه للتفاصيل التى تشكل قوة الخطاب الإعلامى<sup>(١)</sup>.

ولهذا الاقتراب أهمية تطبيقية حيوية فى المجالات الإعلامية المختلفة كان من أهمها بحوث التسويق حيث أن التأطير يمكن أن يؤثر على أحكام المشتريين

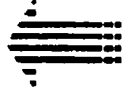
(1) Ibid., pp. 51 – 58.

محددًا ما إذا كانت البدائل المطروحة في أطر تعبر عن مكاسب أو خسائر، وقد اختبر هؤلاء الباحثون العوامل البيئية في مجال التسويق مثل اتجاهات التسعير ومميزات السلع والخدمات واتجاهات العرض المتاح لها كنقاط مؤثرة على النظم المرجعية والاعتقادية للمستهلكين، فعلى سبيل المثال: يستخدم المعلنون اللغة في أطر متباينة لتشجيع المستهلكين على المخاطرة أو منعهم منها .. أى بشكل إيجابي أو سلبي مثل (فرصة هائلة للباحثين عن الجديد في مجال المنتجات السياحية) معبرة عن سياق إيجابي للمخاطرة أو (لا داع لإهدار أموالك في منتجات بعيدة لم تشيد بعد) كعبارة دالة عن السياق السلبي للمخاطرة<sup>(1)</sup>.

وكذلك فإن اقتراب التأطير يمكن أن يطبق بفاعلية في دراسات الرأي العام والسلوك الانتخابي، والدراسات الإدراكية في علم النفس الاجتماعي وفي الدراسات الثقافية المتعلقة بالطبقات والأجناس. وكذا فإن لهذا الاقتراب فائدته في دراسات التعرض، والموضوعية الصحفية لدراسة التوازن في عرض أكثر من إطار داخل المادة الصحفية.

ولكن من أهم المجالات المستخدمة لاقتراب الإطار الدراسات المعنية بالإعلام السياسي والتغطيات الخارجية فالسياسيون الباحثون عن الدعم والمؤازرة يتنافسون مع بعضهم البعض في سياق صحفي، والتأطير في هذا السياق يلعب الدور الرئيسي في ممارسة القوة السياسية فالأخبار قوة مطبوعة على حد تعبير (روبرت إنتمان) تحدد هوية الفاعلين وتهدد مصالحهم السائدة في النص / النصوص التي تشكل الخطاب.

(1) G. Smith and L. Wortzel. **Prior Knowledge and the Effect of Suggested Frames of Reference in Advertising**, *Psychology and Marketing*. Vol. 14. No. 2: March 1997. pp. 121 - 143.



وفيما تعكس تمثيل القوة في الخطاب، فإن كثيراً من النصوص الخبرية على سبيل المثال قد تعبر عن أطر متجانسة في حالة، وعن أطر متصارعة في حالة أخرى .. ففي حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) دار النقاش قبل الحرب حول سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق وكان هناك إجماع ضمني بين حلفاء الولايات المتحدة بعدم طرح بدائل أخرى بخلاف الحل العسكري حيث استبعدت تماماً المباحثات المباشرة بين العراق والكويت، وكذلك فإن تعريفات المشكلات، وتحليلات الأسباب والتقييمات الأخلاقية كانت كلها متجانسة<sup>(١)</sup>.

وبالطبع فإن إعلام الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة كان يسودها الأطر التي تردها وسائل الإعلام الأمريكية (الإعلام الرسمي في الدول العربية في التحالف بالإضافة لمعظم وسائل الإعلام التجارية في دول أوروبا الغربية)، بينما كان الإعلام الشعبي والرسمي للدول العربية المناهضة للتدخل الأمريكي في المنطقة تسودها أطر متجانسة ولكن معاكسة لأطر المجموعة الأولى.

وكذلك يرى فريدلاند Friedland أن معالجة الإعلام الأمريكي لانتفاضة ميدان السلام السماوى في بكين ربيع عام ١٩٨٩ كانت أطرها متجانسة ولم تف السطور التاريخية للحريات في الصين حقه من التحليل وعرض وجهات النظر المتباينة وقدمت الصين على أنها مكان لوأد الحريات والقهر والديكتاتورية دون إشارة متوازنة للنمو الذي حققته الصين على أصعدة أخرى<sup>(٢)</sup>.

ويرى جامسون أن الإطار يمكن أن تكون له قوة اجتماعية مؤثرة عندما

(1) W. Gamson. Op. Cit., pp. 61 - 68.

(1) Leonard Frieland et al. **International Coverage of Beijing Spring 1989: A Comparative Approach** (Columbia. Sc: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1996), p. 60

يوضع فى صيغة عمل إيجابى Affirmative Action إذ بمجرد أن يتقبل القارئ أو المستمع أو المشاهد هذا الإطار يصبح من المتعذر على الوسيلة الإعلامية استخدام إطاراً آخر وإلا سيفقد القائم بالاتصال مصداقيته أمام المتلقى، فيما يتضح أن للإطار قوة اللغة ذاتها<sup>(١)</sup>.

### ٣- محددات تشكيل الإطار:

تختلف دراسات تأثير الإطار عن دراسات الصورة الإعلامية فى اتساع التحليل الذى يقدمه اقتراب التأطير متجاوزاً وصف القوى الفاعلة وأدوارها والبرهنة على هذه الصفات وتتبع الأطر المرجعية المستقاة منها إلى تعريف المشكلات وأسبابها وحلولها والأحكام الأخلاقية التقييمية للقوى الفاعلة المتضمنة فى الإطار.

رغم ذلك فإن الأسس المعرفية المحددة للإطار تتشابه مع الأسس المعرفية المحددة للصورة إلى حد كبير بداية من تكون الصور / الأطر فى ذهن القائم بالاتصال نهاية للصور / الأطر المدركة عن طريق المتلقى مروراً بمرحلة وضع الصورة / الإطار فى نصوص إعلامية تشكل خطاباً متماسكاً مقنعاً.

فالأسس المعرفية لوضع الإطار فى ذهن القائم بالاتصال أو الجمهور تشمل العامل الإدراكى Cognitive وهى مجموعة المعارف التى يستطيع الفرد عن طريقها أن يفهم موضوع أو شأن ما بشكل منطقى وهى بنية الإطار من حيث التعريف والأسباب والحلول وكذا الصفات المتضمنة داخله.

والعامل الوجدانى Affective وهو الميل لحب أو كراهية موضوع معين

(1) W. Gamson, Op. Cit., p. 70.

بناءً على الأطر المدركة عنه، وكذا العامل الإجرائي Action ويقصد به رد الفعل الذي يراه الفرد ملائماً لما أدركه عن موضوع ما بأطر معينة محفزة أو مثبطة<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نرى إفادة من سكوت وسيلزكوك أن المجتمع الذي يعيش فيه الفرد يهيئ له أساليب وضع الإطار ومنها:

الاتصال بالدول أو الجماعات أو الأفراد موضوع الإطار عبر الخبرة الشخصية، المعايير الاجتماعية المتصلة بموضوع الإطار وما إذا كانت قيمة المجتمعية متسقة أو متنافرة مع واضع الإطار وكذا العلاقة بين موضوع الإطار وواضعه سياسية كانت أم اقتصادية وهو ما يقع داخل تخصص العلاقات الدولية أو ثقافية وهو ما يقع داخل تخصص التاريخ بشكل عام، وكذلك دور المؤسسات الاجتماعية المختلفة كالأسرة والمدرسة والحزب السياسي والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام التي تشكل أطراً مسبقة تحكم وضع الإطار الجديد في صورة خطاب يتم تداوله<sup>(٢)</sup>.

وقد توسع فنسنت موسكو Mosco في فهم الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام في الدول الغربية في عصر العولمة ودوره في عمليات وضع الإطار الذي رأى أنها تتم من خلال آليات ثلاثة أساسية هي: التسليع Commodification، مجاوزة الزمان والمكان Spatialization، والتركيب البنوي Structuration<sup>(٣)</sup>.

(١) إيناس أبو يوسف، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨ - ٤٢.

(3) Christopher Martin & Hayg Oshagan. **Disciplining the Workforce: The News Media Frame of General Motors Plant Closing.** Communication Research. Vol. 24, No. 6. December 1997, pp. 669 - 697.



ويقصد بالتساييع: عملية تحويل القيم الاستعمالية Use Values إلى قيم تبادلية Exchange Values وهى آلية تتعلق بمدى مساهمة الإعلام فى هذه العملية ويرى (موسكو) أن الإعلان هو الشكل المباشر لذلك ولكن الإعلام تجاوزه ليحول الخبرات والقيم إلى "سلع" يجرى تداولها فى السوق فيما يُعرف بالتسويق الاجتماعى والسياسى.

ويقصد بمجاوزة الزمان والمكان: العملية التى تعبر عن الامتداد المؤسسى لقوة صناعة الإعلام التى تدير مؤسسات تقدر بمئات الملايين تم تأثيرها خارج الحدود القومية.

أما التركيب: فإنه أقرب لتعبير لوسيان جولدمان الناقد والمفكر الاجتماعى الفرنسى - رومانى الأصل - (رؤية العالم) حيث تعتبر وسائل الإعلام امتداداً لحواس الإنسان التى تدرك العالم وتفهمه عبر إعطاء منظور سائد يقدم الحقائق المتضمنة فى المادة الإعلامية على أنها الأكثر بديهية والأصدق والأكثر عقلانية والأرجح والأكثر حياداً .. وهى رؤية تتعمق فى الأخبار التى يفترض فيها الحيادة والموضوعية.. وعبر العمليات الفعالة للهيمنة Hegemony يحفظ من يملكون المؤسسات السائدة فى المجتمع القوة بكسب القبول وتحقيق الموافقة واحتواء المعارضة.

وقد أوضح مارتن وأوشجان Martin & Oshgan أن وسائل الإعلام الغربية عامة والأمريكية خاصة عبر تأطيرها الروتينى المتواصل للحياة الاجتماعية تخدم فى التحليل النهائى القيم المهيمنة الأصلية للنظام الرأسمالى فعلى سبيل المثال عالجت وسائل الإعلام الأمريكية أحداث إغلاق المجمع الصناعى لشركة جنرال

موتورز في ميتشجان وتقليل حجم العمالة في المجمع الصناعي بولاية تكساس ببيان أن أمر تخفيض العمالة قسري وهي وإن تعاطفت مع العمال فقد همشت المعارضة الجماعية.. وروجت لقيم التحكم والرشد الاقتصادي كقيم عليا للمجتمع، ولعبت انتشار وسائل الإعلام على المستوى القومي الأمريكي وخارج الولايات المتحدة دوراً في إقناع المتلقين بذلك.

فعلى حد تعبير ماك شيزني McChesney كانت هناك أوجه تشابه كثيرة بين شركة جنرال موتورز وبين المؤسسات الإعلامية الأربع والعشرين المتحكمة في الإعلام الأمريكي إذ أن تخفيض العمالة قد طال أيضاً العاملين في الإعلام خاصة الصحافة بينما بقيت النجوم الإعلامية مثل لاري كنج في CNN، أوبرا وينفري في CBS لا تمس لأنها هي التي تجذب الإعلانات للشبكات الكبرى.

أما التركيبات البنيوية للخطاب في القضية فقد تشابهت في أسبابها وحلولها والأحكام القيمية الأخلاقية التي أطلقتها على الفاعلين في الأحداث.

وهذه العوامل / الآليات الثلاثة مجتمعة قللت من مساحة الأخذ والرد والحوار في الأخبار وأفرغت عبارة (جو ديمقراطي حقيقي) الشائعة في الحديث عن الإعلام الأمريكي من مضمونها.

فيما قرر مارتن وأوشجان استدراكاً أن طيفاً من الآراء الفردية المتحفظة على الإغلاق ظهر في الأطر المكونة لخطاب الإعلام الأمريكي، فرغم محافظة وسائل الإعلام على مصالح الطبقة السائدة فإنها مثلت بدرجة ما مصالح الطبقة الهامشية حتى لا تفقد مصداقيتها الجماهيرية.. تماماً كما تقدم السينما الأمريكية نقداً للواقع الأمريكي دون أن تطرح بديلاً لتجاوز النظام الرأسمالي.





وهو نموذج للتحليل يمكن أن يطبق على تغطية شئون العالم الإسلامى فى الإعلام الغربى الذى يمكن أن تظهر فيه أصوات هنا وهناك تقدم رؤية منصفة لما يجرى فى بلدان الإسلام ولكن دون الاستعداد عن مصالح الطبقة المهيمنة والمجموعات المتضامنة معها التى يهملها أن يظهر الإسلام كعدو.

● ● ●

### ثانياً : العلاقة بين الخطاب والإطار

أصبحت الخبرة الاجتماعية والثقافية للفرد فى عالمنا المعاصر Mediated أى من صنع وسائل الإعلام، فلم تعد الحياة الاجتماعية مقتصرة على أحاديث المنزل والعمل والجيران من خلال الاتصال المواجهى بل عن طريق وسائل الإعلام التى يقضى فى صحبتها المرء فترة كبيرة من حياته إذ لم تعد الثقافة متمحورة حول خبرات الأفراد المحيطين بنا ولكنها متمحورة حول ثقافة الوسيط الإعلامى أو Culture of Mediation. فالعالم داخلنا يتشابك ويتعايش مع العالم خارجنا ويتفاعل معه.. وقد كان عالم الاتصال الكندى مارشال ماكلوهان هو أول من نبه فى حدس مدهش للقرية العالمية Global Village وعناصر الخطاب الإعلامى هى التى تشكل وعينا بهذه "القرية" التى نعيش فيها بل ووعينا بأنفسنا<sup>(١)</sup>. هذا رغم نقد المؤلف لفكرة القرية العالمية أو الكوكبية لكونه تعبيراً إنشائياً أكثر من كونه حقيقة واقعة.

ولذلك أصبح من الحيوى الاهتمام بنصوص وسائل الإعلام بوصفها حاملة المعانى للقراء. ورغم أن القراء قد يكون لهم تفسيراتهم وتأويلاتهم المختلفة لهذه

(1) Andrew Tyolson, *Mediations: Text and Discourse in Media Studies* (London: Arndd Inc., 1996). p. x.

النصوص فإن هذه المعانى أيضاً تكون مستقاة من نصوص أخرى لوسائل إعلامية أخرى متقاطعة معها فيما يعرف بظاهرة التناص أو Intertextuality .. أى بتعبيرات التأطير فإن الأطر المشكلة لوعى القائم بالاتصال تدفعه لتأطير الحياة الاجتماعية فى شكل خطاب ينظم نصوصاً إعلامية بشأن الموضوعات المختلفة وهذا الخطاب بدوره يوظف وعى المتلقى .. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن خطابات وسائل الإعلام تتقاطع بدورها مع بعضها أى عبارة عن "أطر متقاطعة".

ولكن ما الأساس الفلسفى الذى يمكن أن يفسر العلاقة بين الإطار والخطاب والمجتمع؟

يمكن أن نقرر أن النموذج الأساسى Basic Paradigm الذى اقترحه الفيلسوف والناقد الأدبى الفرنسى الجنسية الرومانى الأصل لوسيان جولدمان (١٩١٣ - ١٩٧٠) تحت عنوان (رؤية العالم) يمكن أن يصلح نموذجاً معرفياً لتفسير هذه العلاقة المتشابكة.

ورؤية العالم هو مفهوم تاريخى يصف الاتجاه الذى تأخذه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية فى فهم واقعها الاجتماعى ككل بحيث يصل هذا المفهوم ما بين قيم هذه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية وأفعالها فى وحدة تصورية من ناحية، ويميز فيما بينها وبين غيرها من ناحية أخرى.

وهذا المفهوم / النموذج نابع من المنهج الذى صاغه نفس الفيلسوف بعنوان البنيوية التوليدية Structuralism Conetique الذى نشأ أساساً فى حقل الدراسات الأدبية متناولاً النص الأدبى بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية وذلك من

منطلق التسليم بأن كل أنواع الإبداع الثقافى تجسيد لرؤى عالم متولدة عن وضع اجتماعى محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية بعينها<sup>(١)</sup>.

وكان الهجوم اليسارى على البنيوية اللغوية مسئولاً بأكثر من معنى عن توجيه الأنظار إلى البنيوية التوليدية بوصفها بديلاً يسارياً عن قرينتها التى شاع وصفها بصفة الشككية فى الكتابات اليسارية بوجه عام وفى كتابات لوسيان جولدمان بشكل خاص، وكانت أعمال جولدمان امتداداً لإسهامات جورجى لوكاس وإرنست فيشر وهربرت ماركيز وفردريك جيمسون فى التأثير بالنزعة الهيغيلية المثالية والانطواء على تقارب مع التيارات الليبرالية المخالفة للنزعات الاقتصادية الحدية التى انطوى عليها الفكر الماركسى وإن كان أقرب إلى مدرسة فرانكفورت الألمانية وبخاصة تيودور أدورنو وفالتر بنيامين وهى الدائرة التى عارضت بين لوكاس وممثلى فرانكفورت الذين انحازوا إلى أفق جديد من الواقعية.

والفكرة المحورية التى ستساعدنا على تحقيق فهم جيد لعلاقة الخطاب بالمجتمع فى لحظة تاريخية ما، هى ما عبر عنه جولدمان من فتح مفهوم البنية على التاريخ والذى لم يكن متواجداً فى بنيوية شتراوس التى عادت التاريخ فأصبحت سجنًا لحضورها وكياناً ميتافيزيقياً مفارقاً لا علاقة له بالزمان والمكان، حيث قرر جولدمان أن لأفراد الطبقة أو المجموعة الاجتماعية وعى ضمنى اجتماعى محدد يتمثل فى نسق من التصورات المتلاحمة تجمع بين أفراد الطبقة أو المجموعة فتجعلهم يشعرون ويفكرون ويسلكون بطريقة معينة فى لحظة تاريخية محددة وليس فى مطلق الزمان وتبعاً لعلاقات اجتماعية محددة وليس تبعاً لنماذج عليا ذات طبيعة

(١) حابر عصمور: نظريات معاصرة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨)، ص ٩٢ - ٩٤.

مطلقة .. ومن ثم يتقرر لهم خطاب متعين فى لحظة تاريخية ما ولكنه مفتوح على أزمنة التاريخ الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل<sup>(١)</sup> وهو ما نراه واضحاً فى الخطاب الإعلامى الغربى المتناول لشئون العالم الإسلامى كما سيتم شرحه فى تشكيل الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وخطابها.

وهو ما يرتبط بما أورده عبد العليم محمد نقلاً عن كارل مانهايم من أن "لكل جماعة سياسة أو اقتصادية محتوى أيديولوجى معين فى لحظة تاريخية ما يتطور بتطور الهيكل الاجتماعى والاقتصادى السياسى، هذا المحتوى ينعكس فى الخطاب المعبر عن هذه الجماعة، وهو ما يتناقض مع التعريف الآخر للأيديولوجيا الخاص بتشككنا فى صحة أفكار ووجهة النظر التى يقدمها الخصم فى اللحظة التى يتشكل لدينا انطباع بتناقضها مع مصالحنا"<sup>(٢)</sup>.

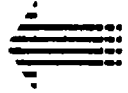
وكذلك فإن أعمال لوسيان جولدمان بانفتاحها المعرفى على أعمال ميشيل فوكو عالم النفس الفرنسى تفارق انعكاس البنية الاجتماعية فى الخطاب وهى الفكرة الماركسية التقليدية ولكنها تعتقد أن المجتمع كامن فى الخطاب ولا يعتبر الخطاب انعكاساً مباشراً له<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الإنسان نتاج شروطه الاجتماعية والاقتصادية فإنه كذلك ليس مجرد معطى مباشر وكفى لبيئته وإنما هو قادر بوعيه وعقله على تغييرها والتأثير

(١) المرجع السابق، ص ١١٤.

(٢) عبد العليم محمد: الخطاب المادائى (القاهرة: سلسلة كتاب الأهالى، أغسطس ١٩٩٠)، ص ٢٤.

(٣) سيد البحرأوى: محتوى الشكل فى الرواية العربية (القاهرة: أخية المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦)، ص ١٦. انظر فى ذلك أيضاً: نيرى أنجلتون: مقدمة فى نظرية الأدب، ترجمة محمد حسان (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية، سبتمبر ١٩٩١)، ص ١٦٢.



فيها وقد ذهب جرامشي إلى القول بأن العلاقة بين البنيتين الفوقية (الفكر)، والتحتية (علاقات وقوى الإنتاج) ليست علاقة تبعية ولكنها علاقة تشابك وتداخل وأن موقع المتقف يقع في المنطقة التي تتشابك فيها علاقات البنية الاقتصادية والاجتماعية والبيئة الثقافية والفكرية<sup>(١)</sup>.

#### ١ - مستويات تحليل الخطاب:

الخطاب مجموعة متماسكة من المقترحات النظرية المجردة تتضمن منطقاً ونظاماً خاصاً وتتضمن إمكانية التواجد وإعادة الإنتاج والتطور طبقاً لقوانينها الداخلية وهي مقترحات مجردة لأنه يتشكل من مفاهيم أولية عقلية ينتجها الإنسان بهدف التعرف على الظواهر المحيطة به وتتوحد هذه الخطابات بتنوع الظواهر الاجتماعية فهناك الخطاب الديني والفلسفي والاقتصادي والسياسي والقانوني والأدبي والأخلاقي وجميعها تتداخل وتتشابك وقد تتناقض وهو ما يجعل دراسة أى منها على انفراد مهمة ليست سهلة<sup>(٢)</sup>.

وأصبح لمصطلح (تحليل الخطاب) استعمالات عديدة تشمل مجالات واسعة من الأنشطة فهو يستعمل للحديث عن أنشطة تقع على خط التماس بين دراسات مختلفة كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات الفلسفية واللسانيات الإحصائية وهؤلاء يركزون على جوانب شتى من تحليل الخطاب<sup>(٣)</sup>. والخطاب يتسع ليشمل كل كلام يتخذ الثقافة موضوعاً، وكل كلام يتحدث عن أى مضمون

(١) عبد العليم محمد: مرجع سابق، ص ٩٩.

(٢) عبد العليم محمد: الخطاب الساداتي، مرجع سابق، ص ١٤، ١٥.

(٣) ج. براون، ج. بول: تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفي الزليطى، منير التريكي (الرياض: النشر العلمي والطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧)، ص ط.

حديثاً يؤثر فى مفهوم الثقافة وحيثياتها، وكل كلام تأوله الناس على أنه مندرج ضمن أحد تلك الأصناف سواء قصد صاحبه إلى ما تأوله الناس أو لم يقصد.

وعن موقع محلل الخطاب وسط المهتمين بالمعرفة يقرر عبد السلام المسدى أن المحللين أصناف ثلاثة:

أولهم الذى هاجسه اللغة، والمحلل اللغوى يبحث فى دلالة الأقوال وهمه الأول العلاقة المستوية بين الدوال والمدلولات وخلفيته المرجعية مقامة على سؤال افتراضى يحدد منهجه: ماذا قيل، وكيف قيل الذى قيل، وقد يتوسل فى ذلك بالتساؤل عن قال وبلاستفسار أين ومتى ولمن وبحضرة من؟

وثانيهم الذى ينطلق من العمران ويعود إليه، فالمحلل الاجتماعى ينكب على دلالة الأفعال فهو لذلك يتوسل بضلعين من أضلاع المثلث الدلالى وهما الدال والمدلول كى يبحث فى الضلع الثالث الذى هو المرجع. إن مقاصده لنلا الإحداث والوقائع لذلك كانت مرجعيته قائمة على السؤال الافتراضى المحدد لمنهج عمله وهو: ماذا حصل، وكيف وقع الذى حصل، ممن ولأى علة وصوب أى غاية أما أداة التعبير فوظيفتها عند المحلل الاجتماعى أنها معينة على كشف مضامين الأفعال وإجلاء محتويات الوقائع والأحداث ولذلك تراه يخترقها اختراقاً ولا يقف عندها إلا بقدر ما تثيره من انفصام بين ما يأتية صاحب الفعل وما يقوله أو يروى عنه.

والثالث من المحللين هو الذى ينعطف على الثقافة، فالباحث الثقافى ينقب عن تطابق دلالة الأقوال على دلالة الأفعال. إنه يشرئب نحو تحليل السلوك بكل ضروبه، من السلوك الفكرى إلى السلوك اللغوى ثم إلى السلوك العملى وقضيته

الكبرى هى المواءمة أو الانفصال .. فمرجعية المحلل الثقافى تتلخص فى المساءلة: بم يتحدث الإنسان عما يفعل وماذا يصنع بعد أن تحدث عما يعتزم صنعه (١).  
تلك هى المناضد الثلاث: الكلام والوقائع والسلوك القيمون هم اللغوى والاجتماعى والثقافى.

ويأتى دور المحلل العلامى (محلل الخطاب): فلا اللغة غاية له .. ولا الواقعة بمبتغاه ولا السلوك بقائم على مرماه، وإنما همه المقصود هو البحث فى القرائن الرابطة بين المناضد الثلاث، فغايته هى اكتشاف شبكة العلاقات القائمة فى مستوى القرائن وذلك بغية تحويلها هى ذاتها إلى دلالة أخرى تغطى على الدلالات السوالف وربما تتجاوزها فتسكن بها فى مراكز العبور .. فالعبارة اللغوية والحدث الوقائى والسلوك القيمى جميعها إذا تدبرنا أمرها وأمطنا اللثام عن المخفى من الصلات الجامعة بينها تتقلب بكلياتها إلى سمات وإلى إشارات تنهياً لنا كي نقرأها .. وتتصاع أمام نواظرنا كي نبصر بها ما نعجز عن إبصاره إذا عزلنا المناضد عن بعضها البعض.

فالبحث فى قرائن الثقافة يلاحق اللغة والوقائع والسلوك لا بقصد ترتيب سلم القيم ولكن بقصد الكشف عن الدلالات قبل كل شئ، لذلك فإن فضاء الخطاب هو أرحب الفضاءات فى الرصد العلامى لأنه كمحطة الأنفاق فى شبكة من الطرق تمتد تحت الأرض لا يلغى وجودها وجود الشبكات الفوقية وهنا يأتى مفهوم الخطاب بديلاً عن مفاهيم اللغة واللسان والكلام بوصفها متصورات تحكى قصص الظاهرة فى تشكلها الكلى فالنوعى فالفردى.

(١) عبد السلام المسدى: اللغة وآليات الخطاب، مطبوع، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٧٦، ٧٧.

المحلل العلامى يبحث فى آليات الخطاب ويتوسل فى إنجازه لعمله بالأفعال والأحداث والوقائع، أما المؤرخ أو عالم الاجتماع والمحلل السياسى فإنهم يبحثون فى الأفعال والأحداث والوقائع ويتوسلون فى إنجاز عملهم بالخطاب وآلياته<sup>(١)</sup>.

وما فصله عبد السلام المسدى فى روعة من السبك وآية فى الصياغة أجمله ميشيل فوكو بقوله أن أساس الفعل الثقافى بشكل عام هو الخطاب الذى يعد مدخلاً كاشفاً للعمليات الاجتماعية ومكامن القوة المجتمعية فى لحظة تاريخية ما<sup>(٢)</sup>. ويضيف أندرو تولسون Tolson للتحليل السابق قوله بأن الخطاب يقدم طريقة جديدة لإعادة التفكير فى العلاقة بين المعانى والبنى الاجتماعية وفى قلبها القوة الاجتماعية.

فنظرية الأيديولوجيا تتحدث عن وضع الأنظمة الدلالية السائدة وتهتم بالطريقة التى ينضوى الناس تحت هذه الأنظمة السائدة وربما يعارضونها بالقوة التى تؤسس سيادة هذه الأنظمة عبارة عن قوة اجتماعية خارجية هى الطبقة الحاكمة فى التحليل الماركسى، ولكن فى نظرية الخطاب فإن القوة ليست خارجية وإنما داخلية متضمنة فى نظام المعانى لأن نظم المعانى ليست نظم بنيوية كاللغة ولكنها نظم تعبر عن ممارسات<sup>(٣)</sup>.

ويرتبط صعود الاهتمام بالخطاب وتحليله بمسألة تفجر النظرية بأنساقها (ما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار، وما بعد البنيوية) الأمر الذى كان له دلالة بالغة على الدور الذى تؤديه الإنسانيات فى المجتمعات الرأسمالية إذا كانت هذه المداخل

(١) عبد السلام المسدى: مرجع سابق، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) - سون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفى شتراوس إلى دريدا، ترجمة د. محمد عصفور (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٠٦، ١٩٩٦)، ص ١١٣ - ١١٥.

(3) Andrew Tolson. Op. Cit., pp. 191 - 194.



النظرية مرتبطة بصعود خطاب معارض وثقافة ضدية تدفع إلى المراجعة الذاتية  
تأثرة على الثقافة التقليدية.

وكان الاهتمام بالخطاب وتحليله فى أوربا لاحقاً لانطفاء التوهج الثورى  
الذى صاحب حركات الطلبة عام ١٩٦٨ وتعثُر الرأسمالية الأوربية فى الأزمة  
الاقتصادية التى بدأت فى أوربا مع مطلع السبعينيات والتدهور الذى أصاب دولة  
الرفاة<sup>(١)</sup>. بينما كان فى الولايات المتحدة موازياً للاحتجاجات على التحولات  
الرجعية للسياسة الأمريكية وتصاعد النزعة الريحانية (نسبة للرئيس الأمريكى  
الأسبق رونالد ريجان) التى أعادت صياغة مشروع الاستعمار (الكولونىالية) تحت  
أقنعة جديدة والذى كان لها استجابات كثيرة منها أعمال منظرى مدرسة  
فرانكفورت: تيودور أدورنو. وفالتر بنيامين، وأعمال اليسار الأمريكى الجديد ممثلة  
فى إدوارد سعيد الذى ألج على فتح الخطاب على النظريات الما بعدية لمواجهة  
التحول الكبير إلى اليمين المحافظ سياسياً واقتصادياً والذى كان له أبلغ الأثر على  
التمثيلات الثقافية ومنها النزعات العدمية التى صاحبت أفكار التفكيكية بما فيها  
انتحار المعنى وموت المؤلف والتى كانت استجابة وجودية (أنطولوجية)  
وابتسمولوجية (معرفية) لتوحش الرأسمالية العالمية .. وهو ما يمكن رصده أيضاً  
مع تصاعد خطاب العولمة<sup>(٢)</sup>. وكان هذا دافعاً لاهتمام إدوارد سعيد بالذات بالإعلام  
بوصفه واحداً من أهم الأنساق التى تصنع الثقافة فى العالم كاشفاً عن زيف  
الممارسات الخطابية الغربية الأمريكية بالأساس فيما يتعلق بالإسلام.

● ● ●

(١) نيرى إنجلتون: مرجع سابق، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) جابر عصفور: مرجع سابق، ص ٣٢٥ - ٣٢٩.



ثالثاً: الجذور الاستشراقية والاستعمارية لتشكيل أطر العالم الإسلامى:

#### ١ - المرحلة الاستشراقية:

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه فى لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه .. ولكن المعنى الخاص بالاستشراق يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً فى كتابات المستشرقين المعنيين.

وكان الدافع لفهم العالم الإسلامى (البدايات المبكرة للاستشراق) هو ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والنصرانى فى الأندلس وصقلية كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى تاريخ للصراع بين العالم الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيدىولوجى فقد كان الإسلام كما يقول (ساذرنبورن Southern) يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة<sup>(١)</sup>.

ويرصد محمد عمارة تاريخ الصراع بين الإسلام وأوروبا أو الغرب منذ سيطرة الإغريق والبطالمة والبيزنطيين على أقطار الشرق حتى ظهر الإسلام فى

(١) محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، سلسلة كتاب الأمة، رقم ٥، (رئاسة

المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ط ١، ١٩٨٤)، ص ١٨ - ٢٠.



القرن السابع الميلادى فقاد المسلمون عبر نحو قرن من الزمان فتوحات التحرير التى أزاحت هذه الموجة الغربية عن كاهل هذه الأقطار وشعوبها لكن القسطنطينية- عاصمة الدولة البيزنطية - استمرت منذ هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) وحتى فتحها على يد السلطان العثمانى محمد الفاتح (١٤٥٣ م) تجيش الجيوش ضد الحدود والأطراف والولايات الإسلامية وتغذى الدسائس فى أوساط الأقليات.

ثم قادت البابوية من جنوبى فرنسا أمراء الإقطاع الأوروبى فى سلسلة من الحملات الصليبية التى مولتها المدن التجارية الأوروبية والتى شاركت فيها كل الشعوب الأوروبية فأقاموا الدول والإمارات الاستيطانية فى قلب العالم الإسلامى خاصة فلسطين والشام على امتداد قرنين من الزمان (١٠٩٦ - ١٢٩١ م)، ولم يتورع الغرب النصرانى إبان تلك الحروب الصليبية عن التحالف مع النتر الوثنيين ضد الإسلام وأمتة وعالمه فجاءت حملات الدمار التتريّة لتجتاح العراق والشام وفلسطين يقود جيوشها النصارى النساطرة بتخطيط وتنسيق مع الكاثوليكية الغربية ولم يوقف دمارهم الذى هدد الوجود الإسلامى إلا الانتصار الذى أحرزه المسلمون فى عين جالوت.

فما طوت انتصارات الفروسية الإسلامية صفحات قرنى الحروب الصليبية وجذب الإسلام التتار إلى التدين به زاد سعار الغرب وتصاعد عداؤه للإسلام خاصة بعد فتح القسطنطينية ودخول الإسلام إلى أرض البلقان فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى فبدأت مرحلة جديدة فى مسلسل التحديات فى

غزوة القرون الخمسة التى استهدفت الالتفاف حول عالم الإسلام بعد امتداد الإسلام لقلب أوربا تمهيداً لضرب قلبه العربى من جديد<sup>(١)</sup>.

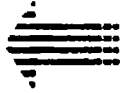
ويمكن القول بصفة عامة بأنه كان هناك فى الفترة المبكرة للاستشراق اتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الإسلام الأول: اتجاه لاهوتى متطرف فى جدله العقيم ناظراً إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير الشعبية أما الاتجاه الثانى فقد كان نسبياً بالمقارنة بالاتجاه الأول أقرب إلى الموضوعية والعلمية ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ولكن الاتجاه الخرافى ظل حياً حتى القرن السابع عشر وما بعده ولا يزال هذا الاتجاه للأسف حياً فى العصر الحاضر<sup>(٢)</sup>. وخطورة ذلك يتمثل فى وصول هذا الصوت إلى وسائل الإعلام الغربية وتداول خطابه من خلالها.

يمكن حصر أهداف الاستشراق فى هذه الفترة كالتالى:

- هدف دينى: كان يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازنة تعمل معاً جنباً إلى جنب وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يلى:
- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية والانتقاص من قيمته والحث على قدر نبيه ... الخ.
- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(١) محمد عسار: الغرب والإسلام، (القاهرة: مكتبة نضرة مصر، ١٩٩٧)، ص ٩ - ١١.

(2) Ibid., P. 59.



■ التبشير وتنصير المسلمين وقد كان قرار مجمع فيينا في ١٣١٢ بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون<sup>(١)</sup>.

- هدف تجارى: وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشرين فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التى كانت فى طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها ودراسة خواصها البيئية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعاتهم بالخير .. لذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك فى بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال كما كانت الحكومات تمنحهم الرعاية والحماية.

## ٢- المرحلة الاستعمارية:

بعد مرحلة التطويق لعالم الإسلام بدأت مرحلة الغزو لقلبه فى وطن العربىة على وجه التحديد فحملة بونايرت على مصر ١٧٩٨ تلتها بعد فشلها الحملة الإنجليزية على رشيد ١٨٠٧ وبعد فشلها نجح الفرنسيون فى غزو الجزائر ١٨٣٠

(١) محمود حمدى زقزوق: مرجع سابق، ص ص ٧٢، ٧٣.

لغزير من التفاصيل انظر:

أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ط ٤، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامى، ١٩٨٥).

ندى الزركلى: أوروبا والقرآن فى العصور الوسطى، سطور، عدد (١)، ديسمبر ١٩٩٦.

وكان الإنجليز قد هيمنوا على الخليج العربى بمعاهدة ١٨٢٠ ثم احتلوا عدن ١٨٣٨ ثم جاء احتلال الفرنسيين لتونس ١٨٨١ واحتلال الإنجليز لمصر ١٨٨٢ م والإيطاليون لليبيا ١٩١١ وفرنسا للمغرب ١٩١٢ ثم كان توزيع القوى الاستعمارية لبقايا العالم العربى بمعاهدة سيكس بيكو ١٩١٦ ثم وعد بلفور ١٩١٧ م ليأتى إلغاء رمز الوحدة الإسلامية بإسقاط الخلافة الإسلامية ١٩٢٤<sup>(١)</sup>.

وكان للخطاب السائد عن العالم الإسلامى فى تلك الفترة عدة أهداف:

أ- أهداف سياسية: ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشرين واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها فى المستعمرات لغات تلك البلاد وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها وقد اتجهوا فى هذه المرحلة إلى العناية بالللهجات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة.

وكانت النظرة الأوروبية فى القرن التاسع عشر نظرة متعالية متغترسة وظهرت نظريات تقسم الشعوب إلى أجناس راقية وأجناس متخلفة فالأولى شعوب آرية والثانية شعوب سامية وانبرى المستشرق رينان ومن سار على نهجه من المستشرقين والمفكرين الأوروبيون لبيان ما يزعمونه من خصائص للأريين صناع الحضارة وحملة الإبداع الخلاق والساميين السطحيين فى تفكيرهم وفلسفاتهم.

وهناك من المستشرقين الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة الاستعمار مثل كارل

(١) محمد عمارة: مرجع سابق، ص ١٢.



هيرنش بيكر Becker مؤسس (مجلة الإسلام) الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في أفريقيا، وبرتولد مؤسس (مجلة عالم الإسلام) الروسية فقد قام بتكليف من الحكومة الروسية بإجراء بحوث تخدم المصالح الروسية في آسيا الوسطى وكذلك فعل ماسينيرو ودي ساس لفرنسا، فالمعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً، فالمعرفة تمنح القوة ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية.

وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار بعد الاستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم حتى يتم للاستعمار في النهاية إخضاع المسلمين إخضاعاً تاماً للحضارة والثقافة الغربية<sup>(١)</sup>.

ب- أهداف علمية: وقد كانت مقصد بعض من ظهوروا في عصر التنوير في أوروبا فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح ولكن هؤلاء كانوا قلة.. وكان ذلك متزامناً مع ظهور العلمانية وسيادة النزعة العقلية في أوروبا والتي كانت في عمومها مخالفة للكنيسة<sup>(٢)</sup>.

(١) عمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

وقد ظهر نتيجة التفاعل بين الإسلام والاستعمار الأوروبي تيارات فكرية في العالم الإسلامي يمكن أن تنقسم للآتي:

التحديث الإسلامي: وهي المدرسة التي أرسى قواعدها المصنح الاجتماعي المصري محمد عبده الذي عاش في نهاية القرن التاسع عشر والتي تدافع عن الأحياء الإسلامي الملهم بسيرة المسلمين الأوائل وهي مدنية لأن مؤسسيها تأثروا بالاتجاهات الثقافية الأوروبية في تلك الأيام.

الأصولية الإسلامية: تشير للاتجاه المحافظ في الإصلاح استناداً لتفسير بيورتاني متشدد وهي متأثرة بالفكر الوهابي.

الأصولية الإسلامية الجديدة: وتتعامل بالتبادل مع العسكرية الإسلامية تشير لحركة معاصرة تبغى تسييس الإسلام وتسعى لإقامة حكومة إسلامية وتطالب بحو معظم أو كل التأثيرات الثقافية والسياسية الغربية في المجتمعات الإسلامية<sup>(1)</sup>.

ويقسم المفكر الباكستاني منذور أحمد التيارات الإسلامية المعاصرة إلى:

أ- المحافظون The Conservatives: وهم ينطلقون من أن الإسلام عبارة عن ميثاق جيد للحياة ويقدم إطاراً شاملاً ومثالاً للنواحي السياسية والاقتصادية والأخلاقية للحياة، ويعتقدون أن الإسلام كعقيدة وممارسة نما وتطور خلال عصر الرسول ﷺ واستقر في ثلث قرن، ويعتقدون أن استخدام المصطلحات المعاصرة مثل الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، النظام الاقتصادي والسياسي موجودة في القرآن .. واثروية المحافظة تفترض أن

(1) Alan Taylor. Islam and the West in the Middle East, Political Thought (New York: Penguin, 1988), P. 5.





النظام الاجتماعى فى العالم الإسلامى لا يعانى من أى مشكلات اجتماعية منذ عصر الرسول وأن البنى الاجتماعية الإسلامية التى تطورت خلال الأيام الأولى من عهد الرسول مازالت صالحة حتى الآن.

ب- الانتقائيون Eclectics: ومن الصعب وجود حدود فاصلة بين الانتقائيين والمحدثين Modernists الذين يبدأون فكرهم بالتأكيد على أن القرآن والسنة هما المبادئ الأساسية لهداية البشر، وهم ينظرون برومانسية إلى الفترة الأولى من عهد الإسلام ويرون أن المشرعين الإسلاميين فى صدر الإسلام هم الذين قدموا فهماً وتفسيراً جيداً للإسلام يناسب عصرهم ويقترحون إدخال تغييرات على الفقه الإسلامى فيما يعرف بالاجتهاد .. ومن بينهم أبو الأعلى المودودى ومحمد عبده.

ج- المحدثون Modernists: الذين يؤكدون على أن التعاليم الجوهرية للقرآن وللرسول ﷺ لا شك فى نفعها بالنسبة لإنسان هذا العصر، وتتعدد إنطلاقات هؤلاء الفلاسفة ولكن العقلانية السائدة بينهم تدفعهم بالوعى بمشكلات عصرهم أكثر من المحافظين والانتقائيين والجميع تأثر بالفكر الغربى مثل محمد إقبال، سيد أحمد خان<sup>(1)</sup>.

وربما لا نوافق الكاتب الباكستانى فى إدخال أبو الأعلى المودودى بين الانتقائيين لقربه من الفكر السلفى التقليدى المتمثل فى أفكار الخروج على الحاكم وتجهيل المجتمع وتكفيره وكذلك إدراج الأستاذ الإمام محمد عبده فى فئة الانتقائيين وهو الأجدر بتصدر فئة المحدثين..

(1) Manzoor Ahmed. Islamic Response to Contemporary Western Thought. (Islamabad. Pide Tidings. 1989). p. 10.

ويقترّب جواد بشارة من الواقع أكثر فيقول أن المرء يرصد مفارقة بين الإسلام الأوروبي (الغربي - العلماني) الذي خلفه المستشرقون وقام بعض من أهل الإسلام بتبنيه ويقدم نفسه على أنه عقلاني ومنطقي، علمي وعلماني، متجرد ومتخلص من الخرافات والأساطير والمحرمات التي لا يستسيغها العقل، يمارس الحد الأدنى من الطقوس والشعائر كنوع من الممارسات الفلكورية التي تسهم في تماسك المجتمع ولم شمله، دين يؤمن بالمثل والقيم الأخلاقية العليا والكونية، يتبنى قيم الخير ضد قيم الشر بمعانيها ومعاييرها المطلقة ويسمح للإيمان والإلحاد بالتعايش جنباً إلى جنب بسلام وحرية وأمان ويرى الكاتب أنه إسلام مدجن فاقد للروح الثورية، مجامل ومتواطئ مع التيار المادي الطاغى في الغرب.

أما في الشرق فما زال الإسلام غارقاً في سبات مكثفياً بالأمجاد يكرر نفسه منذ قرون تنهشه التناقضات التي تعج بها نصوصه المقدسة وغير المقدسة ولا سبيل له للخروج منها إلا بإحداث ثورة إصلاحية ومراجعة جوهرية وجذرية لوجوده وتاريخه وخطابه ولغته<sup>(١)</sup>.

### ٣ - الهيمنة: الاستعمار الجديد (الاستشراق الأمريكي):

شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تصاعد النفوذ الأمريكي في العالم أجمع والذي طال بعض أجزاء العالم الإسلامي، فكان لابد أن يهتم الأمريكيون بدراسة شئون المسلمين فتدخل الاستشراق المعرفي بالعسكري الاستيلائي كما يرى هنري كلود في كتابه (إلى أين يسير الاستعمار الأمريكي) .. فقد اقتصر الاستعمار الأمريكي حسب تحليلاته على المستعمرات التي تملكها دول

(١) جواد بشارة: الإسلام الشرقي والإسلام الغربي وجهها لوجه، القدس، ١٩٩٨/٧/٢٦.

أوربية هرمة كاسبانيا وعلى جزر ذات أهمية استراتيجية لم تستعمر بعد أما الأمم المستقلة ظاهراً والمتخلفة اقتصادياً في آسيا وأفريقيا فقد كانت سياسة الولايات المتحدة نحوها تنحصر في مرحلتين: الأولى تحاول منع إلحاق هذه البلاد بأوروبا والثانية تعنى بتأمين سيادتها هي فيما يقول فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٠ عن الدور الذي سيناط بالولايات المتحدة الطالعة وهو دور البوليس الدولي:

"كل بلد حسنت سيرة أبنائه يستطيع الاعتماد على صداقتنا الودية وليس لأمة أن تخشى أي تدخل أمريكي إذا برهنت على تعقلها ولياقتها في الشئون السياسية والاجتماعية وتمكنت من حفظ النظام في أراضيها ووفت بالتزاماتها غير أن أي اضطراب أو تراخ يمكن أن يستدعي تدخل أمة متقدمة ورغم تقيد أمريكا بمبدأ (مونرو) فقد تضطر إلى ممارسة حكم بوليس عالمي في مثل تلك الأحوال" (١).

وهو ما عبر عنه تيودور روزفلت بقوله عام ١٨٩٨ (قدرنا أمركة العالم) الذي يتولد عنه خطاب مزدوج حامل لخلاص البشرية، وحامل لنظرية لاهوتية توسعية باستراتيجية كونية مقصودة (٢).

وفيما يتعلق بالاستشراق الأمريكي فقد ساد تياران:

الأول: متأثر بالاستشراق الأوروبي القديم ويمثله المستشرق الأمريكي اليهودي

---

(١) - حمري منصور: في الاستشراق الأمريكي .. بدأ تبشيراً وانتهى وريثاً لتركبة بريطانيا الهرمة، القدس العربي، ١٩٩٨/٧/١٧.

(٢) - حمري منصور: في الاستشراق الأمريكي .. العربي، سادى خزون، تاجر رقيق، راكب جمال!، القدس العربي، ١٩٩٨/٧/١٦.

ماكدونالد والذي انتهى لدراسة عبقرية الفلسفة العبرية والأدب العبرى وانساق وراء الفكرة القائلة بأن الفارق بين العقل الشرقى والغربى يكمن فى عجز الشرقى عن بناء نظام للأشياء المشهوددة وليس فقط فى سرعة تصديق هذا العقل للأمور الغيبية<sup>(١)</sup>.

والثانى: حاول فيه المفكر الأمريكى (مارشال هودجسون) أن يعيد قراءة التاريخ الإسلامى مدركاً مخاطر ونواقص أعمال سلفيه السابقين أرنولد توينبى الإنجليزى والألمانى أوزوالد شبنجلر ساعياً إلى التخفيف قدر المستطاع من وطأة التأملات والتصورات الميتافيزيقية والأيدىولوجية، ويقترح هودجسون نوعاً من القطيعة المعرفية المثلثة مع التمثيلات الغربية المتداولة والمألوفة عن سيرورة التاريخ العالمى وعن مكانة الإسلام فيها.

القطيعة الأولى مفهومية: التحرر من مقولات وإرث الاستشراق ومن النزعة المركزية الأوروبية التى تضع أوربا الغربية فى قلب ومركز التاريخ العالمى منذ أقدم الأزمنة، القطيعة الثانية: جغرافية الطابع إذ أن هودجسون يعتبر التقسيمات الجغرافية المعتمدة فى أوربا لخريطة العالم وتوزعه بين شرق غامض وشاسع وبين غرب محدد ومحصور يعتبرها غير دقيقة وغير صحيحة والقطيعة الثالثة تتعلق بالتحقيب التاريخى للأدوار والمراحل التى عرفها التاريخ العالمى والتاريخ الإسلامى خصوصاً<sup>(٢)</sup>.

ورغم أعمال بعض المستشرقين المنصفين فإن الاستشراق فى العصر

(١) صادق جلال العظم: الاستشراق معكوساً، (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١)، ص ١٧.

(٢) حسن الشامى: إعادة نظر فى التصورات الشائعة عن الإسلام والتاريخ والعرب، الحياة، ١٩٩٨/٣/٨.

الحديث لم يستطع أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم وتخدم وسائل الإعلام المتعددة في الغرب هذا الوضع التقليدى الذى لا يزال ينظر إلى الإسلام بمنظار القرون الوسطى، والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو وهى هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية تستكتب المستشرقين بوصفهم متخصصين فى الإسلاميات للكتابة عن الإسلام والمسلمين فى الموسوعة الشاملة التى تصدرها اليونسكو عن تاريخ الجنس البشرى وتطوره الثقافى والعلمى .. وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو لما فيها من مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبي الإسلام وهو عمل كان ينبغى لمؤسسة علمية كبرى ألا تقع فيه (١).

(١) محمود حمدى زقزوق، مرجع سابق، ص ١١٥.

#### ٤ - وجهة النظر السياسية الاستراتيجية : هل هناك صراع بين الإسلام والغرب؟!

تتباين وجهات نظر المفكرين السياسيين والاستراتيجيين بشأن الصراع بين أوروبا والولايات المتحدة من جهة وبلدان العالم الإسلامى من جهة أخرى، بين كاشف عن زيف هذا الصراع باعتباره خرافة وبين مؤكد أن الصراع له كثير من العوامل الموضوعية التى تثبت وجوده.

فريد هاليداي الأستاذ بمدرسة لندن لعلوم الاقتصاد كان من أكثر الناس كشفاً لهذا الزيف قائلاً: قليلة هى قضايا العلاقات الدولية التى ولدت من الخرافات قدر ما ولدت قضية الخطر الإسلامى المزعوم فمنذ أواخر السبعينيات وبشكل أخص منذ الثورة الإيرانية ١٩٧٨ - ١٩٧٩ أصبحت قضية الإسلام وتحديد العدو المفترض للغرب شاغلاً دولياً مستمراً .. وهو شاغل اختار إبرازه ساسة فى الدول الغربية فضلاً عن عدد من القادة الإسلاميين.

غير أن صورة خطر إسلامى هى صورة مضللة بطرق أخرى ففى قلب هذا التحدى أو النزاع ذاته يكمن تشويشان: فقد تم خلط حقيقة وجود شعوب إسلامية بمعنى دينى وحضارى عام بحقيقة اعتناق معتقدات وسياسات توصف بالدقة بأنها إسلامية أو أصولية وبعبارة أخرى فقد ادعى أن معظم المسلمين يسعون إلى فرض برنامج سياسى يفترض أنه مستمد من دينهم على مجتمعاتهم وتطمس حقيقة أن معظم المسلمين ليسوا أنصاراً للحركات الإسلامية وكذلك الظروف التى يتحول فيها الناس إلى هذا الخيار المحدد، وينسب كل شئ ببساطة زائدة إلى تأثير الإسلام العام، وكما هو شأن الخرافات السياسية الأخرى فإن مجرد ترويج هذه الأفكار يعطينا واقعاً ما لدى مَنْ ترمى إلى تعبتهم ولكن أيضاً لدى من توجه ضدهم.

وهذه الأفكار سائدة فى ساحة الهيمنة (أوروبا والولايات المتحدة) بل وفى ساحة الإسلام التى من المفترض أنها مقهورة وخاصة للسيطرة على الجماهير البسيطة ومن ثم فإن أى محاولة لوضع هذه القضية فى منظورها سيشمل عملية مزدوجة لتحدى أفكار ليست سائدة فحسب فى أوروبا الغربية ولكن فى العالم الإسلامى ذاته (١).

يتفق جراهام فولر Foler الخبير بمؤسسة راند الأمريكية (الجناح الأكاديمى للمخابرات المركزية الأمريكية) وأحد كبار المتخصصين فى السياسة الدولية مع فريد هاليداي فى أن الصراع بين الطرفين ليس صراعاً دينياً وإنما هو صراع سياسى واقتصادى وحضارى، فكثير من الصراعات تنشب بين أبناء الدين الواحد وبين الدول المسيحية وبعضها وبين الدول الإسلامية وبعضها بل إن المسيحية الشرقية تعرضت لقهر من المسيحية الغربية، وكذلك فإن العنف ليس سمة لجماعات سياسية ترفع راية الإسلام بمفردها بل هناك جماعات مسيحية وهندوسية تفعل الشيء نفسه، وأن الغرب كان مسئولاً ولا يزال عن إنكاء الصراعات.

كما يتفق الاثنان فى أنه ليس هناك إسلام فى ذاته يمكن أن نتناوله باعتباره كينونة منفردة متماسكة ومندمجة وشاملة وأحادية التكوين، إذ ثمة مصادر متباينة لفقه الإلهيات الإسلامى وللشريعة الإسلامية بما فى ذلك القرآن والسنة (ولكل منهما العديد من المذاهب الفرعية) والعديد من مدارس الفقه وثروة من الطرق الصوفية والأعراف الإقليمية والشخصيات والخبرات التاريخية المتباينة داخل عشرات

(١) فريد هاليداي: الإسلام وخرافة المواجهة، الدين والسياسة فى الشرق الأوسط، ترجمة: عماد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧)، ص ١٣٢.



الأقطار الإسلامية المنتشرة فى ثلاث قارات كبرى .. ومجموعة كاملة متنوعة من الأقاليم المناخية التى تشكل فى جملتها الإسلام<sup>(١)</sup>.

أما المعسكر الآخر الدوجماتى المتوزع ما بين أنصار الحركة الإسلامية فى دار الإسلام وخصومها فى دار الحرب فيرى أن الإسلام نظام كلى غير متغير وأن تعاليمه عملت طيلة قرون فى كل أنواع المجتمعات وحددت مواقف شعوب مختلفة من السياسة والجنس والمجتمع، والجانبان يتقاسمان فكرة إسلام ماهوى (له ماهية محددة) حدد تاريخياً يفترض أنه قادر على تفسير كل ما يقوله المسلم ويفعله .. فالخمينى والترايبى والأخوان المسلمين وغيرهم يصرون على هذه النقطة كآى متعصب معاد للإسلام فى الغرب فصورة إسلام لازمنى ليست مجرد فبركة أذهان غربية محمومة فقط<sup>(٢)</sup>.

ولكن هؤلاء الكتاب والمتخصصين لا ينكرون أن ثمة عناصر ستقضى إلى بروز العالم الإسلامى فى العلاقات بين الإسلام والغرب منها:

أولاً: الأمن والأزمات المرتبطة بالأمن والتى يفرضها العالم الإسلامى على الغرب وأيضاً تلك التى يفرضها الغرب على العالم الإسلامى ستكون مصدراً للاحتكاك.

ثانياً: تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى كثير من الدول الإسلامية سوف يهبط للحركات "الإسلاموية" سيادة وسلطة كبيرين.

(١) جراهام فولر، إيان ليسر: الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، ترجمة: شوقى جلال، (القاهرة: مركز الأهرام

لترجمة والنشر، ١٩٩٦)، ص ٧ ، ٨.

(٢) فريد هاليداي، مرجع سابق، ص ١٣٢.



ثالثاً: نظراً لأن الشرق الأوسط وغيره من المناطق يتعرض لتغيير سياسى واقتصادى متسارع خلال العقد القادم فإن التوترات الناجمة عن التغيير ستؤدى ولو على المدى القصير إلى زيادة جاذبية الجماعات الإسلامية فى دول كثيرة. ونظراً لأن المعايير المستوحاة من الغرب عن الديمقراطية وحقوق الإنسان ورأسمالية السوق الحرة تواجه مقاومة فى المدى القصير والمتوسط على أقل تقدير داخل مناطق الاضطرابات فى العالم فقد تزيد المطالبات بالتضامن المرتكز على رفض القيم الغربية والنظام الدولى القائم تأسيساً عليها .. وهنا على الأرجح سيكون الإسلام المتطرف طرفاً مشاركاً فى هذا النوع من الحركة الشاملة ومستفيداً منها أيضاً<sup>(١)</sup>.

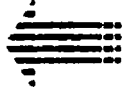
ولذا يقترح هاليداي لحل أو تخفيف ما يصور على أنه نزاع ما بين الغرب والعالم الإسلامى برنامجاً مزدوجاً.

أولاً: فصل الصعوبات الواقعية من تدهور اقتصادى وسياسى وأزمات اجتماعية عن تعبيراتها الدينية المشوشة ثم التصدى لهذه المصاعب ذاتها، باختصار لا بد أن ينظر لهذه المشكلات فى ظل مفهوم كلى للعلمانية والتنمية.

ثانياً: على أوروبا الغربية أن تضع سياسة متوازنة ذات جانبين إزاء القضايا التى يلخصها تعبير الإسلام بتكوين وعى أكبر وعداء للعنصرية والتحيزات العرقية الدينية العامة الموجهة ضد المهاجرين المسلمين وضد البلدان الإسلامية خاصة الشعوب التى تواجه القمع فى فلسطين وكوسوفو<sup>(٢)</sup>.

(١) جراهام فولر وإيان ليسر، مرجع سابق، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) فريد هاليداي، مرجع سابق، ص ١٥٢.



كما يقترح البعض أن يتم دراسة الشرق الأوسط خاصة والعالم الإسلامي عامة لفهم التفاعلات السياسية فيه حتى يحاكمها الغرب بمعايير السياسة العربية الإسلامية أو الشرق أوسطية وليس بالمعايير الغربية<sup>(١)</sup>.

وهناك الفريق الثانى الذى ينظر للعلاقة بين الإسلام والغرب على أنها صدام بين حضارات. وربما سبق حميد مولانا Mowlana الخبير فى مجال الإعلام الدولى ذو الأصل الإيرانى صمويل هنتجتون فى تنبؤه بصراع حضارات فقد كتب يقول عام ١٩٩٢: إذا كانت الخلافات الاقتصادية والسياسية بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامى يمكن رصدها فى التاريخ المعاصر للعلاقات الدولية فإن الخلاف أو الصدام الثقافى له جذور فى نظرة كل منهما للعالم والاتجاهات الحديثة للمسلمين فى نظرتهم للغرب راجعة لأنه الطرف المهيمن عليهم رغم تباين نظرتهم للحياة<sup>(٢)</sup>.

وسيتّم مناقشة نظرية (صدام الحضارات) التى وضعها عالم السياسة الأمريكى صمويل هنتجتون فى الفصل الثانى الخاص بالخطاب السياسى للعولمة.



(1) Alberto Talavero et al. file//D/LATEST/Xoo12-MA.htm.

(2) Hamid Mowlana. **The United States and Islam: A Cultural Clash?**, (Bonn. Zeitschrift für Kulturaustausch. Vol 42, No. 2. 1997). pp. 435 – 439.

## الفصل الثانى

المهولة : منطق التدفق  
ومعنى الإطار





مدخل :  
العولمة ..  
محاولة  
للاقتراب  
والتقنين

يناقش هذا المدخل: خصائص عملية العولمة  
وصلاً لتحديد المؤلف للعولمة وخطابها الأرثوذكسي  
أو الأصولي، وهو في ذلك يضع محاور ثلاثاً لخطاب  
العولمة: اقتصادي وسياسي وثقافي تروجه الطبقة  
الرأسمالية عابرة القومية والمجموعات المتضامنة  
معه.

• • •

إذا كان الغموض والشك والحيرة وعدم اليقين مفاهيم تصلح لتعريف ظاهرة أو  
عملية .. فإنها أصلح ما تكون لتعريف هذه اللفظة التي ستنضم إلى أخواتها الحرية،  
والعدل، والديمقراطية: أعنى العولمة أو الكونية أو الكوكبية.

والغموض والشك وعدم اليقين - في يقيني - يرجع لأسباب عدة منها أنها عملية  
يصعب صياغة تعريف دقيق بشأنها، نظراً لتعدد تعريفاتها وتأثيرها أساساً بانحيازات  
الباحثين الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً وقبولاً، ومنها أنها عملية وبالتالي  
تتطور على صيرورة وتطور فلا يمكن - معرفياً - حصرها في عدة كلمات تحمل منطقاً  
صورياً لا يؤسس الوعي الكامل بها، ومنها أنها عملية متقلبة قد يتأسس بصددتها بعض من  
اليقين المرحلي سرعان ما يتكشف زيفه فاتحاً المجال للتعديل والاختلاف وربما للتناقض،  
ومنها أنها عملية شديدة التنوع في مجال معطيات ظواهرها التي تشمل كل جوانب الحياة،  
اقتصاداً وسياسة، ثقافة وإعلاماً.

ولذا فإن الكلمة بحد ذاتها أثارت في مجمل الخطابات التي كتبت عنها أو تناولتها

تساؤلات أكثر منها إجابات .. وهى نتيجة منطقية بالطبع إذا نظرنا للحجج المقدمة سلفاً .. وإذا أدركنا أن معظم من تناولها كان ينبغي - أظهر أم أضمر - أن يحيط بها علماً ويركزها فى صياغة نظرية بسيطة يفهمها المتخصص والقارئ العادى لكثرة ما كتب عنها فى جرائد ومجلات.

ولكن الهام - فى نظرى - سبباً لهذا الغموض والشك وعدم اليقين - وهو سبب نفسى اجتماعى - هو أن الجماعة أو الطبقة التى وجدت فى مصلحتها فى لحظة تاريخية ما إطلاق هذه اللفظة على الناس (العولمة) .. قد وضعت من يتعرض لها أمام المجهول .. أو اصطنعت مجهولاً إن شئنا الدقة .. والتخبط منطقى أمام شئ تخاله مجهولاً، تحاول استشفاف كنهه .. وسبر أغواره .. لا أقل بالطبع من أهمية التحولات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية العالمية وتسارع إيقاعها فى جعل هذه الظاهرة "مجهولاً" ينبغى بحثه والتعرف على خفاياه .. لكن الاقتراب المعرفى منها كان يحمل شحنات من الخوف وعدم الثقة فى مواجهة الجديد الذى بعد سنوات تكشف أنه ليس جديداً إذ أن العولمة كعملية ربما كانت لها قدم بشرية وتعاضمت فى القرن العشرين فقط.

ولنستقط من بين التعريفات ما يؤيد ما تقدم .. قبل أن ننتقل لتتعرف على المرسى المعرفى وسط بحر العولمة الهائج.

يقول جيمس روزناو أحد أبرز علماء السياسة الأمريكين "وإن كان مبكراً - عام ١٩٩٧ - وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنويع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، فعلى سبيل المثال، يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة"، ويعقب قائلاً "فى ظل هذا كله، فإن مهمة إيجاد صيغة

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه، أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع<sup>(١)</sup>.

وحاول إسماعيل صبرى عبد الله طرق باب اللغة لتحديد المعنى بقوله: "نبدأ بالترجمة الصحيحة للاسم الإنجليزي للظاهرة وهو Globalization وهو مشتق من Globe بمعنى الكرة والمقصود بها هنا الكرة الأرضية، الكوكب الذى نعيش على سطحه، والنسبة إليها توحى بمشاركة الناس جميعاً فى انتشار الظاهرة محل الدراسة. كما يرى أن الكوكبة هى أصلح ترجمة بدلاً من العولمة فأسماء العالم World أو الكون Universe ليس من مفرداته فعل فى اللغة العربية، وقد وجد فى المعاجم فعل (كوكب) بمعنى جمع أحجاراً وضع بعضها مع بعضها الآخر فى غير شكل محدد، وهو يقابل كوم فى تجميع التراب".

ويضيف: "رأيت الاحتذاء بسلفنا القريب حين نقلوا فعل ثقف من صقل السيف إلى صقل العقل وأدخلوا فى لغة العرب (الثقافة) بالمعنى المتداول بيننا حالياً، ومهما يكن من أمر فلا بد من تحديد المسمى فى ما وراء الخلاف حول الاسم، فالمقصود بالكوكبة هو التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية"<sup>(٢)</sup>. وفيما يتعلق بإشارتى لهذه الظاهرة فإننى استخدم لفظ العولمة لشيوعه وحين النسب سائير للثقافة مثلاً بصفاتها كوكبية .

ويذهب جون توملنسون Tomlinson إلى أن "العولمة فى أكثر معانيها عمومية

---

(١) نقلاً عن جيمس روزناو، انسيد يس: فى مفهوم العولمة، المستقبل العربى، السنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨، ص ص ٤ - ١٣.

(٢) إسماعيل صبرى عبد الله: الكوكبة: الرأسمالية العالمية فى مرحلة ما بعد الإمبريالية، المستقبل العربى، عدد (٢٢٢)، أغسطس ١٩٩٧، ص ص ٤ - ٢٥.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وعدم خلافية تشير إلى العملية المتغيرة والسريعة والمعقدة للتقارب بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على مستوى العالم، وهى عملية تتضمن ضغطاً للوقت والمسافة سواء فيزيقياً أو تخيلياً لجعل العالم صغيراً والبشرية أقرب لبعضها البعض، وهى عملية لتطوير العلاقات الاجتماعية التى تحكم حياتنا اليومية من السياقات المحلية إلى السياقات الكوكبية، أو على حد تعبير أنتونى جيدنز (الفعل عبر المسافة)، وبغض النظر عن مدى عمومية أى تعريف يقدم لنا، تبقى العولمة عملية صعبة أن نمسك بها نظرياً أو إمبيريقياً، فيما يعتبرها البعض مركزاً لأى توصيف وتحليل للأحوال الثقافية والسياسية والاجتماعية المعاصرة" (١).

وفيما يتعلق بالغموض وعدم التحديد وصعوبة التنبؤ، يرى روبرت هيلبرونر أن «لا أحد يستطيع أن يتنبأ بمستقبل المجتمع الاقتصادى والسياسى الكونى على نحو دقيق، فلم يستطع أحد فى الغرب أن يتنبأ بالأحداث الكبرى فى السبعينيات مثل ظهور الشركات متعددة الجنسيات، وصعود اليابان كقوة اقتصادية كبرى، وبزوغ التضخم باعتباره مشكلة مزمنة فى كل البلدان الصناعية، وفى فترة أقرب عهداً وقع عدد من الأحداث المماثلة فى الأهمية على النطاق العالمى مثل هبوط الإنتاجية الذى عانت منه كل الدول الغربية فى مطلع السبعينيات، أو خسارة الولايات المتحدة الأمريكية للقيادة الاقتصادية للعالم على نحو لافت للنظر، وكذلك لم يستطع أحد التنبؤ بما يشكل أكبر نقطة تحول فى نهاية القرن العشرين وهى انهيار الاتحاد السوفيتى ولم تتوقع أى منظمة رأسمالية انهيار اقتصاده" (٢).

---

(1) John Tomlinson. **Cultural Globalization and Cultural Imperialism**, in Ali Mohammadi (ed.). **International Communication and Globalization** (London: Sage Publications, 1997).pp. 170 – 181.

(٢) روبرت هيلبرونر: رأسمالية القرن الحادى والعشرين، ترجمة: كمال السيد، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥)، ص ١٣.



وعن عموم وشيوع تأثير عملية العولمة ينقل جميل مطر عن المؤرخ الأمريكي رونالد ستيل قوله "أنه لم يعد بالإمكان أن يحيا الإنسان بعيداً عن الكوكبية أو ينعزل عنها لأنه إذا أغلق أمامها باب غرفته دخلت من النافذة، وإذا أغلق النافذة دخلت من شاشة التليفزيون وإذا قطع أسلاك التليفزيون دخلت عن طريق الإنترنت وإذا رفض التعامل مع الإنترنت وهو الأمر الذي وإن بدا اليوم ممكناً - ١٩٩٧ - فلن يكون كذلك بعد سنوات فإن الكوكبية لن تعد وسيلة لتصل بها ليس فقط داخل غرفته بل إلى داخل معدته فهي في الغذاء والشراب وفي الدواء وفي كل ما يتعامل معه الإنسان" (١).

وعن القلب الذي يمكن أن يعتري جانباً هاماً من جوانب الحياة الإنسانية: الاقتصاد، يدرس مصطفى كامل السيد أزمة الدول الصناعية الجديدة في جنوب شرق آسيا وهو ما تم التعارف على تسميتها بالنمور الآسيوية، ويقرر أن الدرس المأخوذ من أزمتها هو ضرورة الحذر من الاستسلام لأنصار الرؤى الساذجة حول العولمة واقتصاد السوق فليست العولمة خيراً كلها وليس اقتصاد السوق هو دائماً الأداة الأمثل لتخصيص الموارد الاقتصادية وهو يكشف عن خلل عميق في النظام الرأسمالي على الصعيدين الوطني والعالمي" .. ويرى " أن نموذج التنمية بالاعتماد على التصدير يمكن أن ينجح إذا ما اقتصر على عدد محدود من الدول وكان هذا هو الوضع في شرق آسيا في البداية .. أما إذا زادت عدد الدول فلن التنافس بين هذه الدول على التصدير إلى دول الشمال الصناعية لابد وأن ينتهي إلى حرب تجارية تخسر فيها معظمها إن لم يقترن ذلك بتوسع هائل في التجارة الدولية ورفع للقيود على صادرات الجنوب للشمال وليس هذا ما يحدث الآن، ومما يزيد من صعوبة استمرار إتباع هذا النموذج أن الزيادة في صادرات هذه البلدان لا تعكس في كل الحالات نمواً صافياً للتجارة الدولية وإنما تعكس انتقال بعض

(١) جميل مطر: للكونية وجود متعددة، الأهرام، ٢٨/١٢/١٩٩٦.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الأنشطة الإنتاجية التى تديرها الشركات الدولية العملاقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة من دولة إلى دولة أخرى" (١).

وفسيما يتعلق بالتساؤلات التعريفية أو التعريف بالتساؤلات والتى تعكس جانباً من الحيرة تجاه عملية العولمة يتساءل روزناو "ما هى العوامل التى أدت إلى بروز ظاهرة العولمة فى الوقت الراهن، وهل هذا يرجع إلى انهيار نظام الدولة ذات الحدود المستقلة؟ وهل العولمة تتضمن زيادة التجانس أم تعميق الفوارق والاختلافات؟ وهل الهدف هو توحيد العالم أم فصل النظم المجتمعية عن طريق الحدود المصنوعة؟ وهل العولمة تنطلق من عوامل اقتصادية وإبداع تقنى أم من خلال الأزمة الإيكولوجية؟ وهل هى عبارة عن اتحاد لكل هذه العوامل أم أنه لا تزال هناك أبعاد أخرى؟ وهل العولمة تتميز بوجود ثقافات عامة أم مجموعة من الثقافات المحلية المتنوعة؟ وهل العولمة غامضة أم أنها تحولُ بارز على المدى الطويل بين العام والخاص، وبين المحلى والخارجى وبين المغلق والمفتوح؟ وهل هى استمرار لنمو الفجوة بين الفقراء والأغنياء على جميع المستويات؟ وهل العولمة تتطلب وجود حكومة عالمية؟ (٢).

وجميع الإجابات على كل التساؤلات متباينة، ومتضاربة، وملتبسة ويرى توملينسون Tomlinson أن هذا ليس مفاجأة إذا أخذنا فى الاعتبار الإطار التحليلى الواسع للعولمة.. ويركز على الاستدلالات المحطمة للتقاليد فى عملية العولمة قائلاً: "أول التخطيطات للأصنام التقليدية كانت فى الجانب المعرفى، وهذا طبيعى فى أى نظام جديد فى العلوم الاجتماعية والإنسانية، هذا الموقف المعرفى المتعلق بما يمكن تسميته بخطاب ما بعد الحداثة حيث يفارق هذا الخطاب خطابات التنوير والماركسية.. العلم الإمبريقى وحتى

(١) مصطفى كامل السيد: أزمة الدول الصناعية الجديدة فى شرق آسيا وقضية التنمية، الأهرام الاقتصادية، ١٦ مارس ١٩٩٨.

(٢) السيد يس: مرجع سابق، ص ص ٤ - ١٣.

المنزعة الذاتية الإنسانية أو الظاهراتية .. أو مجمل الخطابات الحداثية، ويؤلف لنفسه خطاباً بعدياً Meta-discourse ، بضرب ثوابت الموقف النظرية المؤسسية قبلاً.

وتحطيم العولمة للتقاليد يتجاوز المعرفى إلى السياسى ليحطم فكرة الدولة القومية بفضل عملية إعادة توطين رأس المال عبر شبكات من الدول والشركات والثقافات، وهو ما يمثل تحدياً للعلاقات الدولية ونظرياتها السابقة، ويحطم شكل الدولة القومية عبر أفكار الشرعية، والسلطة، والسيادة بما يؤدي إلى عدم قدرة الدول القومية على إدارة اقتصادياتها الداخلية فى ظل السوق العالمى، وأبلغ مثال على ذلك الأزمات الاقتصادية المترتبة على الهجمات التى تعرضت لها العملات الوطنية فى الأسواق العالمية كما فى حالة النمرور الآسيوية، كما يمتد التحطيم إلى أبنية ثقافات الدول لصالح ثقافة واحدة تقدم نفسها كتقافة عالمية تتدفق فيها القيم الغربية - الأمريكية بالأساس - كما تتدفق السلع والخدمات<sup>(١)</sup>.

ومع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضارى يأتى فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى، إن العولمة عالم من دون دولة، من دون أمة، من دون وطن. إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية، عالم الفاعلين، وهم المسيررون والمديرون، والمفعول بهم وهم المستهلكون للسلع والصور والمعلومات والحركات والسكنات التى تعرض عليهم. أما وطنهم فهو الفضاء المعلوماتى الذى تصنعه شبكات الاتصال، الفضاء الذى يحتوى - يسيطر ويوجه - الاقتصاد والسياسة والثقافة<sup>(٢)</sup>.

(1) John Tomlinson, Op. Cit., pp. 170 - 181.

(٢) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، المستقبل العربى، عدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨، ص ص ١٤ - ٢٢.

### مدخل المؤلف لدراسة العولمة :

لما كانت الخطابات المتداولة حول العولمة، كثيرة، متباينة ومتضاربة مؤيدة ورافضة، فإنه في هذا البحر المعرفي متلاطم الأمواج الذي - في كثير من الأحيان - يختلط فيه الحابل المعرفي بالنابل المنهجي، كان لابد وأن يؤسس المؤلف لنفسه رؤية بصدد العولمة تتواءم ابتداء مع أهداف بحثه، ويتسم طرحها بقدر معقول من الاتساق والتماسك.

ورأى المؤلف - فيما قدر له من قراءة وتحصيل عن هذه العملية الكوكبية - أن هناك خطاباً يمكن أن يطلق عليه الخطاب الأصولي للعولمة .. أو الخطاب الأرثوذكسي للعولمة: خطاب يحمل قدراً من التلاحم العضوي بين مقولاته تؤسسه مجموعات نخبوية في هوامش العالم (دول العالم الثاني سابقاً والدول الصناعية الحديث في آسيا، ودول العالم الثالث) متضامنة مع مجموعة رئيسية في مراكز الدول الصناعية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة، تتوحد بينهم المصالح، ويعتقدون أنساق من القيم الاجتماعية والنفسية المتقاربة ليتغلب مشروع المتحكم القوى المتبّع على المتحكم فيه الضعيف التابع. وهي مجموعات اقتصادية لها عمليات إنتاج محددة في ظل قوانين الرأسمالية العابرة للقومية، تتشابه مصالحها مع مجموعات سياسية تملك صناعة القرار وتنفيذه في المراكز والهومش، وتتحدد لها استجابات نفسية بأقل قدر من التناقض أو على الأقل الاختلاف .. هذه المجموعات كونت ما يمكن الاصطلاح على تسميته بالطبقة الرأسمالية عابرة القومية أو TCC أي Transnational Capitalist Class وكذا الطامحين للانتماء إليها وحدو جزء من كعكة المصالح الاقتصادية والسياسية، والتخلق بخلقها والتزيي بزيتها.

ويتميز الخطاب الأصولي أو الأرثوذكسي للعولمة كإنتاج ثقافي وعقلي عن غيره من الخطابات التي عالجت العولمة وقبلت جزءاً ورفضت آخر بكونه جزءاً لا يتجزأ من أيديولوجية الطبقة الرأسمالية عابرة القومية، وهو يعنى الطريقة أو النظام الفكري الذي يتم

به تسويق - أى إضفاء المشروعية - على مصالحها وتقديمها بطريقة تضمن لها قدرأ من الإقناع لدى المنتمين لها والظامحين للانتماء لها، وكذا الرافضين لها فالخطاب الذى يحمل داخله المصالح السياسية والاقتصادية والقيم النفسية والاجتماعية يقوم بتقديم المصالح الخاصة لهذه المجموعات على أنها المصالح الجمعية للعالم وهو بهذه الصفة يتكفل بمهمة إزالة المتناقضات فى المصالح بين فئات المجتمع الكونى المختلفة والتي تتناقض مصالحها بالضرورة بطبيعة دور كل منها فى عملية الإنتاج الرأسمالى عبر القومى، أو حتى بطبيعة استبعادها كلية من هذه العملية.

فى هذا الإطار يصبح الخطاب الكونى الأصولى موضوعاً لعملية معقدة ومتشابكة تحدد طريقة إخراجها وطبيعة مضمونه الشروط التالية:

١- مصالح المجموعات الكوكبية للطبقة الرأسمالية عابرة القومية فى لحظة تاريخية ما، هذه المصالح تحدد التوجهات السياسية والاقتصادية على الصعيد الداخلى والدولى بهدف تدعيمها وتثبيت سيطرتها، ومن ثم تتحدد السياسة التى يتم تطبيقها، ويتحدد أيضاً معسكر الأصدقاء ومعسكر الأعداء منظوراً لهم من زاوية المصالح.

٢- طبيعة المشكلات الكوكبية المطروحة فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين والناجمة بطبيعتها عن التناقض بين مصالح الأقاية الاقتصادية والسياسية المتحكمة والأغلبية المحرومة فى العالم، ويتفاوت حجم هذه المشاكل من لحظة إلى أخرى وكذا درجة خطورتها. وكان الشأن الإسلامى، أو شئون العالم الإسلامى جزءاً من هذه المشكلات الكوكبية المطروحة والتي حددت استجابة هذه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية تجاهها .. وبالطبع تفاوتت حدة هذه المشكلات من دولة إلى أخرى كل بحسب قدر التناقض مع مصالح هذه الطبقة المهيمنة.

٣- ويرتبط بما سبق، القلق والاضطراب الكونى العام الناتج عن أوضاع اقتصادية وإنتاجية وسياسية عالمية جديدة، والناتج من الخوف من أنواع الخطابات المناوئة لهذه المصالح

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

والتي تمثل خطورة على تسويغ العملية الكوكبية الدائرة، وفي هذه الحالة فإن الخطاب الأصولي للعولمة لا بد وأن يقدم إجابة أو مشروعاً لإزالة هذا القلق وامتصاصه والحيلولة دون تفجره خارج الأطر الشرعية القائمة (نخب المركز المتحالفة مع نخب الهوامش)، بل وضرورة إدماجه في قنوات العولمة الأرثوذكسية لإقناعه بأنها البديل الأنسب لحل مشكلاته.

وتجدر الإشارة إلى أنه في هذا الإطار التاريخي، ينبغي تفسير اختلاف شكل ومضمون الخطاب الكونسي على صعيد اللغة والأسلوب وكذلك أيضاً على صعيد القيم والرموز المتضمنة. إذ أنه - مثلاً - لمواجهة الخطاب الإسلامي المحافظ كان يقتضى استخدام أسلوباً ولغة تختلف عن مواجهة الخطاب الاشتراكي في الصين، أو مواجهة خطاب نقاد العولمة داخل المراكز، ومنهم - إن لم يكن أبرزهم - مجموعة الأكاديميين المنتمين للييسار الجديد في الولايات المتحدة وبريطانيا على سبيل المثال.

٤ - التحديات الكبرى التي تواجه الطبقة الرأسمالية عابرة القومية على الصعيد السياسي والاستراتيجي والعسكري، والتي تقتضى تحديد أولويات المخاطر، وكذا وسائل التنفيذ وتوزيع الأدوار، وهو ما يصدق على مواجهة المشكلات الاقتصادية التي قد تنفجر في المراكز أو الهوامش التي يجرى إدماجها.

٥ - وغنى عن البيان، إذا اعتبرنا النظرة التاريخية لتكوين هذه الطبقة أن نأخذ في الاعتبار تاريخ المجتمع الذي نشأت فيه ومكوناته المادية والاجتماعية، وأنماط الثقافة المرتبطة به، فإذا حللنا خطاب الطبقة الرأسمالية، فيجب النظر لنمط الثقافة الحداثية الذي كان سائداً في فترة ما من تاريخها، وفيه بالطبع نمط الثقافة الشعبية السائد وكذا قوة نزعة التدين والإيمان لدى جماعات هذه الطبقة لاسيما ونحن بصدد

مناقشة الحلول التى طرحتها لمواجهة الخطابات الدينية - ومنها الخطاب أو الخطابات الإسلامية - التى تهدد مصالح هذه الطبقة أو لا تهددها<sup>(١)</sup>.

ويرتبط بما تقدم ويكمّله رؤية لوسيان جولدمان عن رؤية العالم، وهى الرؤية البنيوية النقدية لكيفية تشكل الجماعة أو الطبقة إذ يركز جولدمان "على الذات الجماعية التى تتحقق بينها وبين موضوعها وحدة جدلية من ناحية وتتطوى على علاقة بذوات مماثلة من ناحية ثانية فتتشكل نتيجة لذلك ذات جماعية أعم من الفرد، وهذا كله طبيعى لأن جولدمان يرى أن النشاط الإنسانى يتم بواسطة الـ (نحن) وليس (الأنا)، صحيح أن بنية المجتمع المعاصر تميل إلى إخفاء الـ (نحن) وتحويلها إلى مجموعة من الذوات المنعزلة لكن تظل العلاقة الجماعية قائمة بين الذوات، فتصنع علاقة الـ (نحن) التى تتجلى فيما تمارسه الجماعة فعلاً من الأفعال على مستوى الموضوع.

وعند هذا المستوى يترك جولدمان مفهوم الذات الفردية ليؤكد الذات المجاوزة للفرد Transindividual Subject، ويعنى بهذا المصطلح أن الطبقة أو المجموعة الاجتماعية حاملة رؤية العالم وخالفاتها، وأن البنية المتلاحمة لهذه الرؤية ليست من صنع الفرد المفرد وإن كانت متضمنة فى وعيه بالضرورة"<sup>(٢)</sup>.

ففيما يتعلق بالخطاب الأصولى للعلامة فإنه يتجلى فى الأعمال الفكرية للطبقة الرأسمالية عابرة القومية ويولد مجموعة من التجليات الأخرى التى تتجاوب بنيوياً من حيث تعبيرها عن هذه الرؤية، وفى هذا الصدد تتأكد قيمة خطابات القادة الاقتصاديين والسياسيين والتقنيين والاجتماعيين فى حالتنا وذلك من منطلق أنهم المعبرون عن بنية

---

(١) أفاد المؤلف من البنية المنهجية لباحث عبد العليم محمد فى وضعه لتصوير الطبقة الرأسمالية

عابرة القومية. انظر عبد العليم محمد: الخطاب الساداتى، ص ٣٢ - ٣٦.

(٢) جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص ١١٤ - ١١٥.

رؤية العالم عند الطبقة أو المجموعة الاجتماعية التي ينتمون إليها، ويرجع تميزهم عن غيرهم إلى أنهم يصوغون هذه الرؤية في أقصى درجات تلاحمها البنيوي، وما يميز واحد منهم عن غيره هو مدى تباين صياغة التلاحم البنيوي للرؤية، ودرجة التجانس العلائقي الذي يبين في صياغته لخطابه.

ويطلق لوسيان جولدمان على منهجه النقدي هذا مصطلح (البنيوية التوليدية) الذي يكتشف عن بعدين مهمين غير منفصلين في المنهج، أما البعد الأول فيتمثل في (بنيوية) المنهج: على مستوى النموذج التصوري الذي يحكم إجراءات المنهج وممارساته أو تطبيقاته، وعلى مستوى الواقع التجريبي للمادة سواء من حيث النظر إليها في علاقاتها التي تحكم شتاتها الظاهر أو تحول هذا الشتات إلى كلية أو بنية تحقق وحدة شاملة من مقولات متلاحمة، ويعني ذلك أن الواقع التجريبي ليس مجرد ركام من الظواهر أو الأحداث وإنما مجموعة من الأبنية ولا سبيل إلى فهمه لو نظرنا إليه متجاهلين منطق البنيوي.

فضلاً عن ذلك فإن أية محاولة لإلغاء الذات (الباحث) تنتهي إلى نزعة تجريبية إمبيريقية ضارة كما أن أية محاولة لإلغاء الموضوع تنتهي إلى ذاتية ضارة، وإذا سيطر القطب الأول من هذين القطبين سادت الشكلية، وإذا سيطر القطب الثاني ساد الإسقاط، والنتيجة هي ضياع المعنى في الحالين.

والبنيوية التوليدية مفهوم علمي وإيجابي عن الحياة الإنسانية، مفهوم يتصل بمفكره الأساسيون بفرويد على أساس سيكولوجي، ويتصلون بهيجل وماركس وبياجيه على أساس معرفي، مثلما يتصلون بماركس وجرامش ولوكاس على أساس تاريخي اجتماعي<sup>(١)</sup>.

(١) انمرجع السابق، ص ١١٦.

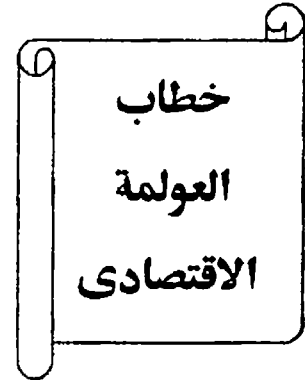


## العلومة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وفى هذا الصدد يمكن تفسير حركة الإحياء الدينى فى العالم الإسلامى وفى غيره من مناطق العالم على أنها رؤية بديلة للعالم تقدم آليات دفاعية ضد العولمة بعد أن تزايدت حدة التناقض بين ما فى يد الإنسان وبين المعروض عليه من سلع وخدمات لا يستطيع إلّيها سبيلاً وتشغيل هذه الرؤية الإدراكية للعالم يتم عبر نصوص مقدسة مريحة ومُثبتة .. نصوص فيها هدى وموعظة وشفاء لما فى الصدور .. بعد أن تعبت الصدور وأثقلها ما تشاهده وتسمعه وتدركه .. ولا تملكه!

● ● ●

يناقش هذا الجزء من الفصل أسباب أزمة الفكر  
التنموى فى عالم التسعينيات تحت ضغوط العولمة،  
يعقبه شرح لخطاب الشركات عابرة القومية  
والبيروقراطيات الاقتصادية المتضامنة معها كالبنك  
الدولى وصندوق النقد الدولى ومنظمة التجارة العالمية.



...

### أولاً : أزمة الفكر التنموى

فى تحليل الخطاب الأصولى أو الأرثوذكسى لخطاب العولمة الاقتصادى ظهر  
نوعان متلاحمان من الخطاب هما: خطاب الشركات متعددة الجنسيات، وخطاب  
البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية المتضامنة معها وقد وجد المؤلف أنه من الأفضل  
منهجياً فصل الخطابين فى شرحه لأساليب الإقناع التى يلجأ إليها كل من الخطابين،  
ومحاور اهتمامهما الرئيسية.

ولعل السبب المحورى فى تدعيم المنطلقات الفكرية والآليات العقلية لخطاب  
العولمة هو الأزمة الخطيرة التى تعرض لها الفكر التنموى مع أواخر الثمانينيات وأوائل  
التسعينيات بتأثير عدة عوامل متداخلة سيتم شرحها بالتفصيل ولذلك سيبدأ المؤلف بشرح  
أزمة الفكر التنموى، يعقبه عرض تفصيلى لخطابى الشركات متعددة الجنسيات،  
والبيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية الكبرى المتضامنة معها ممثلة فى صندوق النقد  
الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية، والتى تخدم مصالح رأس المال عبر  
القومى بسياسات إعادة الهيكلة والخصخصة والاندماج، فى الوقت الذى فيه تتبادل المنافع  
فتخدم القوى عابرة القومية منظمات التمويل العالمية والحكومات التى تسيطر عليها وعلى  
رأسها بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية فى شكل تعيين مستشارين للشركات متعددة

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الجنسيات من خبراء البيروقراطيات الكوكبية، فضلاً عن الجانب السرى لهذه الأنشطة والذي ينشر عنه من حين لآخر عندما يحدث الاختلاف حول تقسيم المغامر فيلجأ أى من طرفى الاستفادة للإعلام فى محاولة للنيل من الطرف الآخر.

لفهم أزمة الفكر التنامى فى بلدان العالم الثالث والعالم الثانى (سابقاً) والتي يعد العالم الإسلامى جزءاً منهما، سبق أن أوضحنا أنه تم تشكيل طبقة كمبرادورية جديدة يمكن أن نطلق عليها الطبقة الرأسمالية عابرة القومية أو (Transnational Capitalist Class) وتتكون هذه الطبقة من هؤلاء الناس الذين يرون مصالحهم أو مصالح أمتهم يمكن أن تتحقق بالتحالف مع النظام الرأسمالى الكونى، وتحديداً مصالح الدول الرأسمالية فى المركز، والشركات متعددة الجنسيات التى تتخذ من هذه الدول مقراً لها، وتقوم هذه الطبقة بأنشطة اقتصادية خارجية أكبر من الأنشطة الداخلية، والحقيقة أن عدم الاستقرار المتضمن أو الذى يعد جزءاً لا يتجزأ من النظام الكونى Built-in Instability راجع - من وجهة نظر المستفيدين من العولمة وغير المستفيدين منها - إلى أن الأيديولوجية المهيمنة للطبقة الرأسمالية عابرة القومية كان يداخلها تحدٍ ثابت خارج العالم الأول ممثلاً فى الفكر التنامى المفارق للطرح الرأسمالى ممثلاً فى الفكر الاشتراكى بدايوفه المتعددة، الذى أنتج كثيراً من النظريات المنبثقة عن الماركسية: مثل الإمبريالية والإمبريالية الجديدة، التبعية، النظام العالمى لتقسيم العمل، ونظرية طرق الإنتاج هذا رغم الاختلافات بينهم.

هذا الطرح النظرى يواجه أزمة شديدة بسبب مجموعة من الأسباب يمكن أن نعدد

منها :

- ١- فقدت معظم أقطار العالم الثالث بانتهاء الحرب الباردة كل أهمية مستقبلية استراتيجية ففى ظل المواجهة العالمية فى حقبة الحرب الباردة كانت أرضنا كقطعة الشطرنج إذا خرجت منها دول الغرب سارع إليها الاتحاد السوفيتى السابق وحلفائه والعكس

صحيح، وكذلك فقدت ملكية الموارد الطبيعية أهميتها وانخفضت أسعارها فى بعض الأحوال إلى مستوياتها إبان الكساد الأعظم (١٩٢٩ - ١٩٣٤) وذلك نتيجة التطورات الاقتصادية والتقانية فى البلدان الصناعية، لم تحقق التنمية فى الخمسين سنة المنصرمة ما كان مأمولاً فيه فى معظم دول الجنوب، بل تراجعت أوضاع عدد من البلدان إلى أقل مما حققته فى الستينيات من معدلات نمو وما زال الفقر والجهل والمرض سمة أغلبية السكان من الجنوب، ووصلت الأمور فى بعض الأقطار إلى انهيار الدولة القومية وبازدياد عدد السكان وزيادة الفقر لم تعد أسواق معظم بلادنا سوقاً كبيرة تغرى الشركات الكوكبية.

٢- معونات التنمية الرسمية فى طريقها إلى الاختفاء فيما عدا ما يمكن أن يقدم كمعونة إنسانية فى ظروف بالغة القسوة ومؤقتة وهذا التخفيض المتوالى حتى الإلغاء الكامل يدخل ضمن إجراءات تخفيض الإنفاق العام وضرورة تصفية عجز الميزانية المزمّن أو تصغيره بصفة عامة، وما قصة الشراكة التى تبشر بها دول من الشمال إلا تعبير عن بديل معونات التنمية يتمثل فى قدر أدنى من المعونة الفنية وترك الإسهام فى تمويل مشروعات التنمية للاستثمارات الأجنبية المباشر، وقد بدأت الشركات الكوكبية تفرض وجهة نظرها فى التعامل مع مختلف الدول النامية على وجهة نظر الحكومات ووزارات الخارجية فالمصالح العليا للدولة بتعبيرها السياسى تتراجع أمام المصالح الاقتصادية للشركات الكوكبية وتختلف معايير التعامل بالتالى.

ففى الأصل كان النفوذ السياسى والاقتصادى لدولة معينة هو المفتاح إلى أسواقها بما يحقق الربح للشركات التى تحمل جنسية تلك الدولة أما الآن فإن الشركات الكوكبية هى التى تقيم أوضاع كل دولة فى الجنوب وتزن احتمالات وحجم الأرباح التى تتحقق للشركات التى تمد نشاطها إليها (١).

(١) إسماعيل صبرى عبد الله: مرجع سابق، ص ٢٤.

ويكمل رؤية إسماعيل صبرى عبد الله ما يراه رزق الله هيلان من ظواهر مرضية هددت التنمية وشوهتها ودفعتها إلى مأزق لا مخرج منه ومنها: المديونية المتراكمة وأزمستها، وهجرة الفائض الاقتصادى إلى البلدان المتقدمة، وتهريب الأموال من قبل الأثرياء، وهدر قسم هام من الدخل النفطى فى نمط استهلاكى سفيه، وعدم تكوين قاعدة وطنية للتراكم، تزايد اللامساواة الاجتماعية، ونشوء بنى سياسية تسلطية - قمعية وتفشى أنواع الفساد والرشوة وسوء الإدارة وضالة فاعليتها بالإضافة لأزمة اجتماعية وأخلاقية<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذان الكاتبان قد تطرقا للأوضاع الداخلية فإن رمزى زكى رصد آليات الفوضى فى الاقتصاد العالمى الراهن ومنها :

#### ١ - اقتصاد من دون قيادة :

فمنذ أن نشأت الرأسمالية وهى تحتاج إلى قيادة مركزية على صعيد العالم أى دولة نواة مهيمنة، تنظم وتوجه وتقود حركة المنظومة الرأسمالية وهى التى تتولى إدارة البيئة الاقتصادية العالمية والبيئة السياسية والاجتماعية المواتية لتراكم رأس المال على الصعيد العالمى .. وبمقدار ما يعتري الضعف قوة هذه الدولة أو تتنازعها فى القيادة دولة أو دول أخرى تتعرض المنظومة للاضطرابات والأزمات وهذا هو الحاصل الآن فقد تعرضت دول النواة وهى الولايات المتحدة لضعف نسبى واضح فى العقود الثلاثة الأخيرة أثر على قدرتها فى قيادة المنظومة بسبب تراجع الوزن النسبى للاقتصاد الأمريكى فى الاقتصاد العالمى نتيجة لبروز وصعود قوة اليابان ودول الاتحاد الأوروبى والنمو الآسيوى، وتحول الولايات المتحدة إلى دولة مدينة ابتداء من ١٩٨٥، وتفاقم الاختلال الداخلى وعجز

---

(١) رزق الله هيلان: نمط تنمية بديلة كمشروع لحوار حضارى، المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، (القاهرة: ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧).

الموازنة الفيدرالية والاختلال الخارجى (عجز ميزان المدفوعات)، وتقلب قيمة الدولار الأمريكى وعدم استقرار سعر صرفه وسقوطه من ثم من على عرش العملات الدولية بعد أن أصبحت عملات أخرى تتنافس معه على دور العملة العالمية وعملة الاحتياط الدولية.

## ٢ - انفلات أحجام السيولة الدولية:

فمن المعلوم أن تشغيل الاقتصاد العالمى يحتاج إلى سيولة نقدية كافية، أى مقادير ملائمة من الأموال السائلة اللازمة لإتمام صفقات التصدير والاستيراد العالمية وتمويل حركة رؤوس الأموال قصيرة الأجل التى تلزم لعلاج مشكلات العجز بموازين المدفوعات. وقد أصبح الاقتصاد العالمى يعوم على أمواج عاتية من السيولة الدولية التى تشكل أيضاً هائلاً من رأس المال المالى. فهناك الآن كتلة من الأموال السائلة التى تتحرك فى العالم عبر مدار العام تقدر فى حدود ١٠٠ تريليون دولار، فى حين أن حجم التجارة الدولية لا يتجاوز حدود ٣,٥ تريليون دولار، أى ما يعادل ٣,٥% من تلك الكتلة. هذه الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قصيرة الأجل أصبحت هى مصدر تمويل حركات المضاربة العالمية، ومصدر قلق شديد لمختلف دول العالم - وبالذات الدول النامية - التى انسأقت وراء العولمة ففتحت أسواقها النقدية والمالية أمام نشاط هذه الصناديق<sup>(١)</sup>.

ويرصد رمزى زكى بعداً آخر من أبعاد أزمة الفكر التنموى فيما يتعلق بالتكنولوجيا وتحديداً تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة لاسيما على الطبقة الوسطى فى العالم التى زلزلت هذه الثورة حياتهم وأحالتها إلى ما يشبه الجحيم نظراً لما جاء فى ركابها من إحلال واسع وسريع للآلات الحديثة المتطورة محل العمل الإنسانى، والذى أدى إلى خلق بطالة واسعة النطاق تتفاقم عاماً بعد آخر وإلى حدوث تغيرات هائلة فى

---

(١) رمزى زكى: آليات الغوص فى الاقتصاد العالمى الراهن، العربى، عدد (٤٨٢)، يناير ١٩٩٩، ص ص ١١٠ - ١١٤.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

أسواق العمل وخفض بليغ في مستوى معيشة العمال والطبقة الوسطى وإلى وجود تفاوت هائل في مستويات الدخل بين الطبقات والشرائح الاجتماعية المختلفة ويمكن القول أنه ما من إنسان من بلدان عالم اليوم في مأمن من تأثير تلك الثورة عليه.

وهناك الآن ما يشبه الرعب الذي يستولى على قطاعات واسعة من العمال وأبناء الطبقة الوسطى من حالفهم الحظ وظلوا - حتى الآن - في وظائفهم وهذا الرعب ناجم عن الخوف من احتمالات تسريحهم من العمل أو لاضطرارهم لقبول ساعات عمل أقل أو خفض أجورهم في الأجل القريب .. فبالإضافة إلى الإحلال الذي تم بين الآلة والإنسان في العقود الثلاثة الماضية من جراء تسارع الثورة العلمية والتكنولوجية وإدخال الرجل الآلى المبرمج (الروبوت Robot) في العمليات الإنتاجية فضلاً عن اتساع نطاق الأتمتة Automation فإن هناك الآن عمليات إعادة هندسة Re-Engineering تجرى على نطاق واسع في مجال العمل الإنسانى وعلى كافة الأصعدة في مختلف الشركات الكبرى في مختلف قطاعات الاقتصاد القومى وقد نجم عن هذه العمليات:

- إدماج كثير من الوظائف في بعضها البعض.
- إلغاء وظائف الإدارة التقليدية.
- تكوين ما يسمى بمجموعات العمل Work Teams ذات الكفاءة العالية التى وفرت كثيراً من الوظائف.
- تبسيط عمليات الرقابة والإدارة.
- تدريب الموظفين على أعمال ذات مهارات متعددة وبحيث يقوم الموظف الواحد بأكثر من عمل واحد.

وقد أدى ذلك إلى خفض نسبة ٤٠% ومن المحتمل أن ترتفع النسبة إلى ٧٥% من الشركات التى قامت بإعادة هندسة أوضاعها وعناصر العمل فيها، وعكس ما حدث فى

## العلمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الثورة الصناعية الأولى والثورة الصناعية الثانية فإن ثمار ومكاسب زيادة الإنتاجية الناجمة عن تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة توزع الآن بشكل استقطابي حاد جداً، فبينما أدت تكنولوجيا الثورة الأولى والثورة الثانية إلى أن يكون للعمال والأعضاء الطبقة الوسطى نصيب في الزيادة التي حدثت في الإنتاجية من خلال زيادة أجورهم الحقيقية وتقصير وقت العمل وزيادة الأجازات السنوية والرعاية الصحية والتأمين ضد البطالة والشيخوخة. فإن النمو الهائل الذي حدث ويحدث الآن في الإنتاجية من جراء الثورة الراهنة في التكنولوجيا قد استأثر بثماره فئة قليلة جداً من الأفراد الذين ينحسرون في رجال (الإدارة العليا) وحملة الأسهم، وعمال المعرفة (التكنولوجيا والمعلومات).

ونتيجة استثمار هؤلاء الأفراد أو الفئات الثلاثة المحظوظة بمعظم ثمار ومكاسب نمو الإنتاجية، فقد زاد عدد البليونيرات زيادة كبيرة في العقدين الماضيين وعلى نحو لم تشهد له الرأسمالية مثيلاً من قبل، وبدأت الفجوة بين أغنى ٥% من السكان وأفقر ٢٠% من السكان في الاتساع المذهل على نحو جعل كثيراً من المفكرين يتحدثون الآن عن ظهور الاقتصاد المزدوج Dual Economy في البلدان الصناعية الذي ينقسم إلى قطاع النخبة المستفيدة من الموجة الثالثة للتكنولوجيا وعددهم قليل جداً، وقطاع بقية المهمشين من العمال وأعضاء الطبقة الوسطى الذين هوى إلى الحضيض.

بل أنه في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعمال والموظفين وأبناء الطبقة الوسطى وما رافق ذلك من آثار (انتشار الجريمة والعنف والعنصرية وحوادث السرقة والاعتصاب وتناول المخدرات والكحول وتفشي الخلافات العائلية وتزايد الأمراض النفسية وحالات الانتحار .. إلى آخره) حذر بعض المفكرين مثل (جيريمي ريفكين) من



## العلمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الثورة الصناعية الأولى والثورة الصناعية الثانية فإن ثمار ومكاسب زيادة الإنتاجية الناجمة عن تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة توزع الآن بشكل استقطابي حاد جداً، فبينما أدت تكنولوجيا الثورة الأولى والثورة الثانية إلى أن يكون للعمال والأعضاء الطبقة الوسطى نصيب في الزيادة التي حدثت في الإنتاجية من خلال زيادة أجورهم الحقيقية وتقصير وقت العمل وزيادة الأجازات السنوية والرعاية الصحية والتأمين ضد البطالة والشيخوخة. فإن النمو الهائل الذي حدث ويحدث الآن في الإنتاجية من جراء الثورة الراهنة في التكنولوجيا قد استأثر بثماره فئة قليلة جداً من الأفراد الذين ينحسرون في رجال (الإدارة العليا) وحملة الأسهم، وعمال المعرفة (التكنولوجيا والمعلومات).

ونتيجة استثمار هؤلاء الأفراد أو الفئات الثلاثة المحظوظة بمعظم ثمار ومكاسب نمو الإنتاجية، فقد زاد عدد البليونيرات زيادة كبيرة في العقدين الماضيين وعلى نحو لم تشهد له الرأسمالية مثيلاً من قبل، وبدأت الفجوة بين أغنى ٥% من السكان وأفقر ٢٠% من السكان في الاتساع المذهل على نحو جعل كثيراً من المفكرين يتحدثون الآن عن ظهور الاقتصاد المزدوج Dual Economy في البلدان الصناعية الذي ينقسم إلى قطاع النخبة المستفيدة من الموجة الثالثة للتكنولوجيا وعددهم قليل جداً، وقطاع بقية المهمشين من العمال وأعضاء الطبقة الوسطى الذين هوى إلى الحضيض.

بل أنه في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعمال والموظفين وأبناء الطبقة الوسطى وما رافق ذلك من آثار (انتشار الجريمة والعنف والعنصرية وحوادث السرقة والاعتصاب وتناول المخدرات والكحول وتفشي الخلافات العائلية وتزايد الأمراض النفسية وحالات الانتحار .. إلى آخره) حذر بعض المفكرين مثل (جيريمي ريفكين) من

وقد ساعد أكثر وأكثر على تعميق أزمة الفكر التنموى تراجع بعض المفكرين البارزين الذين قضوا مرحلة كبيرة من عمرهم فى نقد الطريق الرأسمالى للتنمية عن معظم ما كتبوا، فعلى سبيل المثال دافع البروفيسور الأمريكى ديفيد لاندز فى كتابه (ثروة الأمم وفقرها) عن فكرته الأساسية وهى أن الطريق إلى التقدم إنما يكمن فى متابعة الغرب فى نهضته ونموه وفى الاندماج فى النظام العالمى، ويضرب (لاندز) مثلاً على ذلك بالبرازيل وبأحد مفكرىها القدامى (كاردوزو) الذى كان فى الماضى من كبار كتاب (مدرسة التبعية)، وهى المدرسة التى دافعت دائماً عن فكرة أن تخلف بلدان العالم الثالث إنما يعود إلى تبعيتها للغرب وأن الطريق إلى تقدم هذه البلدان إنما يكمن فى الخروج من هذه التبعية، لكن كاردوزو غير موقفه الفكرى بعد ذلك فعين وزيراً للمالية فى البرازيل عام ١٩٩٣ وبدأ ينادى أنه ليس للبرازيل خيار آخر غير الاندماج فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى إذ أنه بدون ذلك لن يكون لها طريق حقيقى للمنافسة وبعد سنتين انتخب (كاردوزو) رئيساً للبرازيل فأعطى دولته - كما يقول لاندز - عملة قوية لسنوات طويلة وكل ذلك بسبب تخليه عن أفكاره القديمة وبسبب سياسته الواقعية الجديدة. وما زال (كاردوزو) رئيساً للبرازيل، لكن البرازيل تعاني من أزمة اقتصادية عاصفة تهدد أسواق المال فى العالم كله وخصوصاً أسواق الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، وبسبب اندماجها الكامل فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى اندفع المستثمرون الدوليون يهربون بأموالهم إلى خارج البرازيل بمجرد استشعارهم بوادر أول أزمة ثقة فى الاقتصاد البرازيلى حتى أنه فى يوم واحد هرب من البرازيل ١٢٠٠ مليون دولار أمريكى.

واضطر كاردوزو إلى خفض قيمة العملة البرازيلية أولاً ٨% ثم أكثر من ذلك اضطر إلى الذهاب إلى صندوق النقد الدولى يثق أبوابه بعنف طالباً حمايته بقرض يصل إلى ٤٠ مليار دولار وبالطبع فرض الصندوق شروطه وأولها خفض الإنفاق الحكومى على التعليم والصحة ... الخ القصة المعروفة التى طبقت فى إندونيسيا، وتايلاند وكوريا

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الجنوبية من قبل فادت إلى الانهيار الكامل فى الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم وإلى ارتفاع معدلات البطالة إلى أكثر من ٢٠% فى تلك النمر الأسيوية التى تحولت إلى قطط أسيوية فى غمضة عين، ومثل إندونيسيا، بدأ تلاميذ المدارس فى البرازيل يتركون مقاعد الدراسة بحثاً عن عمل وهكذا يتحقق للبرازيل طريق التقدم باتباع نصيحة لانذر بالاندماج الكامل فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى باسم الواقعية الجديدة<sup>(١)</sup>.

ورغم أن هذا المدخل لا يعنى بشرح النظريات النقدية التى تفسر أوضاع النظام الكونى الرأسمالى بالتفصيل، فإنه يجب القول أن معظم النظريات هى محاولات أو اجتهدات للتفسير لا تقدم بديلاً للنظام الكونى السائد. فنظرية الإمبريالية الجديدة لها أساس ماركس أرثوذكسى بالطبع هو أبعد ما يكون عن "إعادة التطبيق" فى المستقبل المنظور على الأقل، ونظرية التبعية التى تركز على مفهوم المركز والأطراف لم تقدم الكثير الذى يمكن تطبيقه بديلاً للعولمة.

وإذا نظرنا للاجتهدات الجديدة مثل نظرية النظام العالمى World System التى قال بها إيمانويل والرشتين Wallerstein كانت المآخذ عليها كثيرة مثل تجاهلها للصراع الطبقي، وتشويه تاريخ الرأسمالية ودورها فى التنمية، فضلاً عن المآخذ التى وصمت مدرسة التبعية وهو صعوبة تعاملها مع مفاهيم التنمية والتصنيع والدول المهيمنة الجديدة، وقد نحتت نظرية والرشتين مفهوم الدول شبه الطرفية أو Semi - Periphery لوصف الدول الصناعية الآسيوية الجديدة NIC's أو New Industrialized Countries، وقد أوضح نقاد النظرية أن مفهوم الدول شبه الطرفية هو مفهوم مصطنع لوصف الحالات التى لا يمكن أن تلاءم ثنائية المركز - الأطراف لمدرسة التبعية، وفى محاولة لدرء المآخذ على هذه النظرية ظهرت نظرية التقسيم الدولى الجديد للعمل (NIDL) New International Division of Labour التى طورها فروبل (Fröbel) وآخرون،

(١) عبد العظيم أنيس: الدفاع المجيد عن التبعية، الجيل، ١٩٩٩/١/٢٤.

ويشارك فروبل والرشتين الفكرة القائلة بأن العمل وتقسيمه بين مراكز وأطراف وشبه أطراف جاء لتعظيم مصلحة الشركات متعددة الجنسيات وحل مشكلات المجتمعات الرأسمالية الكبرى، ولكن نظرية تقسيم العمل فشلت في إدراك العلاقة بين الممارسات الاقتصادية - السياسية - الثقافية عبر القومية.

ولعل النظرية الجديدة التي تم تطويرها لتفسير الأحوال الاقتصادية - السياسية الكوكبية كان وضعها على يد مجموعة من البنيويين الفرنسيين (تاييلور ومجموعته) والتي ركزت على العوامل الداخلية في الدول النامية وأطلقوا عليها Modes of Production أو شكل تنظيمات الإنتاج، حيث يقولون أن التصنيع الرأسمالي هو المجال الوحيد للتنمية، وبعد ذلك تجئ الثورة الاشتراكية في البلدان النامية، وفي هذه النظرية يكون الإنتاج عبر القومى هو المحفز الأساسى للثورة، فعلى حين يؤكد الماركسيون الجدد على أن القوى الثورية فى العالم الثالث لا تحتاج لانتظار رأسمالية على النمط الغربى لأحداث ثورة شيوعية، يبقى البنيويون الفرنسيون على الفكرة الأرثوذكسية الماركسية أنه لا بد لطبقة العاملة من أن تثور لتحطم الطبقة البرجوازية (راجع تبدل مفهوم الطبقة العاملة نفسها كمعوق أساسى للنظرية).

ويتفق هؤلاء مع منظرى التبعية أن أزمة التنمية فى العالم الثالث هى نتيجة معوقات داخلية يجرى وضعها من الخارج للتصنيع الرأسمالى، ويقولون أن التصنيع الرأسمالى يمكن أن ينجح فى بلدان العالم الثالث، وهو يتفقون مع المدافعين على الرأسمالية عابرة القومية والاندماج فى أن هذا هو الطريق الوحيد للتنمية وبالطبع يختلفون حول طبيعة ونتائج العملية برمتها .. وقد ارتأوا مراجعة الفكرة الرئيسية عبر البرجوازية الكمبرادورية لأنها لم تستطع تفسير كل أنماط إنتاج دول العالم الثالث فى السنوات الأخيرة وأطلقوا عليها اسم جديد هو البرجوازية الإدارية أو Managerial Bourgeoisie وهى مختلفة عن مفهوم الطبقة الرأسمالية عابرة القومية TCC لأن البرجوازية الإدارية لها

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

مصالح قوية داخل بلدانها وربما تهادن حكوماتها من الداخل على حين أن الـ TCC هي طبقة لحفظ الهيمنة وإعادة تشكيل الهيمنة الرأسمالية في العالم الثاى والثالث<sup>(١)</sup>

وتشير هذه النظريات كلها مشكلات عدة أهمها عدم قدرة أى من هذه النظريات الجديدة على نسخ القديمة، وكذا عدم قدرتها على رد الانتقادات بما جعل عدد من الكتاب يقولون أن الفكر التتموى النقدى فى أزمة حقيقية بينما يعرف المنتمون للطبقة الرأسمالية الكوكبية عابرة القومية – أو البرجوازية الإدارية أو أيا ما كان – هدفهم جيداً ويسيطرون بالفعل على العالم .. واصفين نقاد العولمة بأنهم Inward – Oriented أو انغلاقيون تجاوز الزمن خطابهم أما من يرون المستقبل للعولمة فهم Outward – Oriented أو منفتحون على العصر ولغته.

---

(1) Leslie Sklair. *Sociology of the Global System*. (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1991). pp. 26 – 44.

## ثانياً : خطاب الشركات متعددة الجنسية :

تعتمد الشركات متعددة الجنسيات فى مرحلتها الكوكبية الراهنة منطلقاً فكرياً يمكن أن نطلق عليه الداروينية الاقتصادية أى للبقاء للأصلح الذى هو الأقوى والأسرع، يحقق هدفها فى ذلك مجموعة آليات هى الاندماج والتشبيك التى تساعد على حل تناقضات المصالح وتقلل من تضاربها بما يعنى أقل قدر من الخسائر للأطراف الأقوياء فى اللعبة الرأسمالية، بينما تستمر الآلية القديمة القائمة على المنافسة لإخراج الأضعف من السوق وتحطيمه لأخذ أسواقه، وتختار كل شركة ما يلائمها تبعاً للموقف الاقتصادى الذى ينطوى على عوامل شديدة التعقيد بدورها، ولكن يمكن أن نلخص الآلية التى تعمل بمقتضاها الشركات متعددة الجنسيات فى مرحلتها الكوكبية "إن لم تستطع إخراج خصمك من السوق، تحالف واندمج معه لتخرجوا آخر من السوق".

ولا نبالغ إذا قلنا أن الرأسمالية الكوكبية أصبحت "ديناً" جديداً قوياً وأعلى درجات الكهنة فيه هم الشركات متعددة الجنسيات.

إذ أنه بما يشهده العالم الآن من اندماجات وتحالفات كبرى تشكل آلية واضحة للشركات متعددة الجنسيات، فقد انتفت مقولة آدم سميث بأن يداً خفية Invisible Hand ستوجه تقدم الحضارة، ويكون كارل ماركس قد صدق فى شيء واحد فقط وهو أنه كان يشك فى طبيعة خيرة للجنس البشرى، وفى كتابه الشهير رأس المال Das Kapital وصف الرأسمالية بأنها عملية متطورة قاسية يصعب السيطرة عليها أو التحكم فيها، وأضاف أن عدداً من الشركات فى العالم سيزيد بقدر ما سيعتري الاقتصاد العالمى الأزمات، ومع كل أزمة ستجبر عدداً من الشركات على إعلان إفلاسها وستباع أصولها لشركات أخرى أكثر قدرة على البقاء، والتوجه نحو الأعمال الكبيرة Big Business بالتالى هو جزء لا يتجزأ من بناء الرأسمالية، وسيقتل رأسمالى واحد جميع الباقين ولدى الرأسماليين كما يقول - لينارد سيلك - قدرة على الاحتفاء بالكفاءة والابتكارية التى تخدم

السوق بينما فى الأغلب يتم تجاهل الصفات الجمالية والثقافية والأخلاقية اللازمة لمجتمع صالح، هناك - مرة أخرى - عدد من الأدلة التى تؤيد نبوءة ماركس بأن العالم سيهيمن عليه عمالقة اقتصاديين كبار (١).

فاقتصاديات الشركات العملاقة أكبر من اقتصاديات أغلب دول العالم فمن بين ٢١٣ دولة فى العالم، توجد ثمانية دول فقط يتعدى الناتج المحلى الإجمالى لها أصول البنوك الكبرى فى العالم، وهى الولايات المتحدة، اليابان، الاتحاد السوفيتى السابق، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، بريطانيا، كندا، وقد خرج الاتحاد السوفيتى بالطبع من الثمانية بعد انهياره، فعلى سبيل المثال فإن أصول بنك (Dai-Ichi Kangyo) فى عام ١٩٨٩ هى ٣٥٨,٢ بليون دولار بينما أصغر دول فى الثمانية وهى كندا الناتج المحلى الإجمالى لها هو ٣٦٣,٦ بليون دولار، وشركة جنرال موتورز على سبيل المثال تتعدى عائداتها (١١٠ بليون دولار) أى أكثر من عائدات ١٩١ دولة أو حوالى ٩٠% من دول العالم.

وقد كان لابد من وضع نوع ما من تنظيم الأعمال بين هذه الدول، فبعد تعاظم نمو الشركات متعددة الجنسيات كانت أول محاولة لوضع معايير لسياسة دولية واحدة تجاهها فى أواخر الأربعينات بإنشاء الغرفة الدولية للتجارة International Chamber of Commerce (ICC). وهى مؤسسة مكونة من عدد من المستثمرين الكبار فى الشركات متعددة الجنسيات الذين توصلوا إلى ميثاق دولى للتعامل النزيه فى مجال التجارة الخارجية تضم توصيات لكل من الشركات متعددة الجنسيات والحكومات التى تتعامل معها "ولم يكن لهذا الميثاق جهة تنفيذ أو محاسبة إذا تم خرقه، ولكن كان خطوة هامة لأنه طور الحوار بين الحكومات والشركات فى مجالات الملكية والإدارة والتمويل والعمالة والتكنولوجيا والسياسات التجارية، وبعد ذلك - فى الثمانينيات - طور الحوار بشأن الإعلان والبحوث

(1) Janet Lowe: *The Secret Empire: How 25 Multi-nationals Rule the World*, (Illinois, Business One Irwin, 1992), pp. 4, 5.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

التسويقية، ترويج المبيعات، حماية البيئة والرشوة واستغلال النفوذ، وكل هذه التوصيات كانت اختيارية وليست إجبارية.

والنوع الثانى من التنظيم الدولى جاء بعد إنشاء ( منظمة التعاون الدولى للتنمية )

OECD كـ تطوير لمنظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى OEEC والتي تم إنشاؤها أساساً لإدارة مشروع مارشال لإعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد ذلك تم دخول كندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا واليابان، وأصبحت منتدى دولى لإدارة شئون العالم الاقتصادية وبمرور الوقت انقسمت إلى الاتحاد الأوروبى ومجموعة السبعة G7 لتكون متداخلة أكثر مع عدد من المنتديات الأخرى مثل الأونكتاد UNCTAD أو مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، ثم اتفاقية الجات التى تلاها إنشاء منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولى لمناقشة القضايا الاقتصادية المختلفة لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق.

ورغم أن محاولة أعضاء منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية (OECD) لوضع مجموعة من القواعد تنظم العلاقة بين الشركات متعددة الجنسيات والحكومات الوطنية سواء بلد المنشأ أو بلاد الفروع كان لها بعض الفوائد، فإن كون القاعدة اختيارية قد صعب من تطبيق بعضها مثل الإفصاح عن المعلومات ودفع الضرائب وذلك لدوافع تنافسية<sup>(1)</sup>.

وفيما يتعلق بالداروينية الاقتصادية، فلننظر لخطاب فيليب كوتلر Kotler فيما يتعلق بالصناعة الكوكبية والاقتصاد الكونى، وهو أحد المراجع العالمية فى مجال التسويق فهو أستاذ التسويق الدولى بكلية كيلوج Kellogg للدراسات العليا بجامعة (نورث

---

(1) Lee E. Preston & Diane Windsor. **The Rules of the Game in the Global Economy: Policy Regimes for International Business** (Boston: Kluwer Academic Publishers. 1992). pp. 76 – 79.



وسيترن) وخريج ومحاضر فى هارفارد، وعمل عميداً لكلية التسويق بمعهد العلوم الإدارية (TIMS) ومدير الجمعية الأمريكية للتسويق ومدير مجموعة (MAC) التجارية، ومستشار IBM، General Electric، Ford، Bank of America، AT & T، Marriott وكاتب فى (هافارد بيزنس ريفيو)، Journal of Marketing و Futurist.

يعرف كوتلر Kotler الصناعة الكوكبية Global Industry على أنها هي الصناعة التى تتأثر فيها أوضاع المنافسين الاستراتيجية فى الأسواق الوطنية أو الإقليمية بأوضاعهم الكوكبية العامة، والشركة الكوكبية A Global Firm هى الشركة التى تعمل فى أكثر من بلد وتستحوذ على ميزات إنتاجية لوجستية وتسويقية ومالية فى تكلفتها وسمعتها التى لا تتحقق للمنافسين المحليين الخالصين.

والشركات الكوكبية تخطط وتعمل وتنسق أنشطتها على نطاق كونى، فعلى سبيل المثال: يتم تصنيع هيكل الشاحنة (فورد) فى أوروبا والشاسية فى أمريكا الشمالية، ويتم تجميعها فى البرازيل تباع فى الولايات المتحدة. وبالنسبة للمصاعد (أوتيس) تصنع الأبواب فى فرنسا والتروس فى أسبانيا والإلكترونيات فى ألمانيا، والموتورات الخاصة من اليابان ويتم استيراد الخبرة الأمريكية لتكامل النظام. ولا تحتاج الشركة لأن تكون كبيرة كى تسيع على نطاق كونى، ولكن الشركات الصغيرة ومتوسطة الحجم يمكن أن تمارس نوعاً من التكامل مثل الشركات الاسكندنافية<sup>(١)</sup>.

### وهناك عوامل تجعل أى شركة تتجه للسوق العالمية :

١- الشركات الكوكبية تقدم منتجات أفضل بسعر أرخص يمكن أن "تهاجم" السوق المحلية لشركة ما. ولكن هذه الشركة ستريد رد الهجوم على منافسيها فى أسواقهم لتقلص حجم عائداتهم.

---

(1) Philip Kotler: Marketing management: Analysis Planning, Implementation and Control (New Jersey, Prentice Hall, 1997). pp. 403 - 405.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

- ٢- يمكن أن تكتشف الشركة أن بعض الأسواق الأجنبية تقدم فوائد أكثر من السوق المحلي.
- ٣- ربما تحتاج الشركة لقاعدة مستهلكين أكبر لتحقيق الحجم الاقتصادي للمشروع.
- ٤- ربما تريد الشركة تقليل حجم اعتمادها على سوق واحد لتقليل المخاطرة.
- ٥- مستهلكو منتجات الشركة ربما سيذهبون للخارج ويطلبون خدمات دولية.

ويجرب هذا الفرز الاقتصادي في إطار الاندماج والتداخل والتشبيك فيرى لوى Lowe على سبيل المثال أن هناك ٣ طرق تنمو بها هذه الشركات :

١ - بالوسائل الداخلية مثل الدخول في سوق جديدة، وتطوير منتجات جديدة من خلال البحوث.

٢ - بحيازة أصول إضافية مثل شركات بأكملها، أجزاء من شركات أو ممتلكات ذات عوائد.

٣ - بالدخول في مشروعات مشتركة وهي مزج بين الطريقتين الأوليين<sup>(١)</sup>.

ويضيف جيلورى Gilory أن ظاهرة الشركات متعددة الجنسيات لم تعد ظاهرة بسيطة كما كانت في السبعينيات والثمانينيات على أنها تركز فروع منها خارج حدود دولة المنشأ بل تعدى ذلك لأنواع جديدة من التنظيم الإداري وتقسيم العمل .. فلم تعد الشركة أصل وفروع .. ولكن شبكة ليس لأى نقطة منها ميزة عن الأخرى سوى بكفاءة أساليب الإنتاج والتوزيع والتسويق.

والأمم التي خاضت حربين عالميتين دامتتين وجدت أنه من الأفضل كما حلت متناقضاتها على المستوى السياسى أن تحل أيضاً متناقضاتها على المستوى الاقتصادى

---

(1) Janet Lowe: Op. Cit., p. 53.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وأن تتعاون بدلاً من أن تتنافس وعلى ذلك يجب ألا تدهشنا البيانات التالية للاندماجات والتشبيكات للشركات متعددة الجنسيات الكبرى :

- جنرال موتورز - تويوتا - هيتاشي - اسوزو - سوزوكي - دايو.
- كرايزلر - ميتسوبيشي.
- فورد - مازدا - نيسان - فولكس فاجن.
- ديملر بنز - كرايزلر.
- فولفو - رينو.
- جنرال إلكتريك - سامسونج - (SNECMA) الفرنسية.
- AT&T، أوليفتي، NEC، ميتسوبيشي.
- كونيغ - سيبا - جايجي.
- فوجي - زيروكس.
- نيوبون - أوتيس.
- هانويل - إريكسون.
- سيمنس - IBM.
- تكساس - هيتاشي.
- كانون - كوداك إيستمان .
- تومسون - JVC - سيمنس.
- موتورولا - توشيبا.

وعلى ذلك فإن شركات عالمنا المعاصر إما شركات مندمجة أو شركات على شكل شبكات، والشبكات هي بنية صناعية - إدارية - استراتيجية مؤسسة على تشكيل علاقات طويلة الأجل بين الشركات Enterprise - Intra، وعلى مستوى الشركات كلها - Inter Enterprise التى تدعم الأصول الثابتة والعائدات المتحولة على حد سواء فى شكل تنافسى عالى المستوى بين الأقطاب الكبرى.

فإذا نجحت شركة ما فى خلق حلفاء استراتيجيين من بين الموردين الأكثر كفاءة للخدمات والسلع الوسيطة حتى نهاية سلسلة الإنتاج، ونجحت أيضاً فى تعيين مدراء أكفاء يحققون لها ميزات تنافسية اقتصادية استراتيجية فإن ذلك يجعل عمل الشركات متعددة الجنسيات مزدهراً، والهدف من نظام التشبيك هذا هو تعظيم الأرباح للجميع.

وإن كانت العولمة تستعامل مع طبقة رأسمالية عابرة للقومية - كما أسميناها - لتجعلها طبقة سائدة، فإن التحقق الفردى المحفز لجهودهم يبقى الدافع الأساسى للمديرين اليابانيين فى شركة (تويوتا) يضعون أمام عاملهم شعار (Beat Benz) وهو ما جعل السيارات اليابانية تغزو الأسواق الأمريكية أكثر من مرسيدس، وكذلك قامت شركة فورد الأمريكية بعرض شريط فيديو لعمالها يوضح عمل خط تجميع مازدا لحفزهم على التفوق عليهم، وكذلك فإن من المؤلف أن يرفع المديرون التنفيذيون شعارات لها دلالة بالغة لوصف تكتيكات تسويقية بعينها مثل شعار Shot - in - the - Dark أو رصاصة فى الظلام، وباغت الشركة المنافسة فى آخر مكان تتوقعك أن تتوسع فيه <sup>(1)</sup>.

ولحماية الذات الجماعية الطبقية فى مواجهة النقاد المثاليين أو الأخلاقيين للرأسمالية، يرى روبرت هيلبرونر أن ما يفرق المجتمع الرأسمالى عن بقية المجتمعات الأخرى هو سيطرة السوق على المجتمع الرأسمالى فى مقابل سيطرة التراث وإصدار

(1) Percy Barnevik. Global Strategies: Insights from the World's Leading thinkers (Boston: A Harvard Business Review Book. 1994). pp. 5 - 10.

الأوامر على المجتمعات الأخرى البدائية أو غير الرأسمالية، فالسمة الأساسية للرأسمالية ليس نزوعها غير العادى للتغيير الذاتى فحسب، بل السعى وراء رأس المال الذى يحقق بعضاً من الأهداف اللاشعورية مثلما فعل المجد العسكرى والجلال الشخصى فى عصور سابقة<sup>(١)</sup>.

● ● ●

### ثالثاً: البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية :

لا يمكن للعملية الكوكبية الاقتصادية أن تتم بدون مجموعة من المنظمات أو الهيئات الدولية التى تقلل أو تحاول أن تقلل من الظروف الاقتصادية المتردية التى يعيشها من هم خارج الطبقة الرأسمالية عابرة القومية TCC والطامحين إلى التعلق بها للفوز بنصيب من كعكة العولمة أو الاستياء الناجم عن إدراكهم مدى فداحة التفاوت بين من يملكون ومن لا يملكون عن طريق تأسيس خطاب يتكامل مع خطاب الشركات متعددة الجنسيات فى إقناع المهمشين خارج العولمة بأن آلياتها ومنطقاتها الفكرية هى الأصوب لتحقيق التنمية وبالتالي كفالة وضع اقتصادى أفضل لفقراء العالم.

فلا يمكن أن تتم هذه العملية الكوكبية إلا فى ظل اتفاقيات بين الدول "لتحرير التجارة"، ذلك لأن المعارضة السياسية الداخلية عادة تمنع الدول من رفع القيود الداخلية من طرف واحد، إذ تكافح القوى غير الكوكبية لحفظ مصالحها لذا فإن الإصلاح التجارى يقتضى تحريك المصالح قبل التجارية Pre-Trade Interest والاقتصاد السياسى لتحرير التجارة لا يمكن أن يتأسس على دول منفردة متناثرة بل يجب أن يواكبه تحرير موازى فى معظم الدول النامية.

والوسيلة الأكبر فاعلية لتحقيق هذا العمل المتوازى هو التأكيد على التبادلية من

---

(١) روبرت هيلبرونر: رأسمالية القرن ٢١، مرجع سابق، ص ٣٥.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

خلال التفاوض حول اتفاقات داخلية للأسواق المتواجدة أو المحتملة والمدخل الكونى أفضل من التجمعات الإقليمية لتعظيم عدد الأسواق الخارجية وأرباحها<sup>(1)</sup>.

وقد استخدمت العملية الاقتصادية الكوكبية بيروقراطيات اقتصادية كونية كبرى تأسست قبل تسارع إيقاع العولمة مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى، كما استحدثت بيروقراطية حديثة هى منظمة التجارة العالمية التى كانت مرحلة تالية للاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات).

ولذلك فإن المؤلف سيحاول أن يرصد خطاب هذه البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية الكبرى كونها أحد أهم الفاعلين فى شئون العالم النامى وداخله الدول الإسلامية من جهة، وكذا كون خطابها جزء لا يتجزأ من خطاب العولمة الاقتصادية الأرثوذكسى.

### ١ - البنك الدولى :

البنك الدولى هو أكبر مصدر لدعم التنمية فى العالم، مقدماً ما يقرب من ٣٠ مليار دولار قروضاً سنوية للدول المتعاملة معه. ويستخدم البنك موارده التمويلية ، وطاقمه عالى التدريب، وقاعدة بياناته لمساعدة كل دولة نامية نحو تأسيس قاعدة تنمية قوية ومستمرة وعادلة. ونقطة تركيزه الرئيسية هى مساعدة الدول الأفقر ولكن البنك يؤكد لكل المتعاملين معه الحاجة إلى :

- الاستثمار فى البشر تحديداً : الصحة الأساسية والتعليم.
- حماية البيئة.
- دعم وتنمية استثمارات القطاع الخاص.
- دعم قدرة الحكومات على تقديم خدمات عالية الجودة بشكل فعال وشفاف (دون فساد).

(1) Fred Bregsten, Globalizing Free Trade, Foreign Affairs, Vol. 75. No. 3, May – June 1996, pp. 105 – 126.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

- تقديم نماذج إصلاحية لإنشاء بيئة اقتصادية كلية قوية، من خلال تخطيط طويل الأجل.
- التركيز على التنمية الاجتماعية، والاستيعاب Inclusion، والسيطرة وبناء المؤسسات كعناصر أساسية لتقليل الفقر.

وإذا حاولنا قراءة خطاب البنك الدولي في التسعينيات نستوقفنا الصفحة الرئيسية لموقع البنك الدولي على الإنترنت، حيث تكشف النصوص الواردة بالصفحة عن الفكرة التي يتمحور حولها خطاب البنك الدولي وهي (العولمة).

تقول أحد الفقرات: "بدخول البنك الدولي القرن الحادى والعشرين، فإنه ليس هناك مجال لليأس أو الرضا عن النفس للدول التي نهضت من كبوتها الاقتصادية، فالجزء الأسوأ من مشكلاتها مضى وما يتوقع منها أكثر وعداً، فالنجاح بالنسبة للعالم النامى يعتمد فى جزء منه على تقدم الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، ومن المهم أن تكون الدول النامية قادرة على وضع السياسات والإصلاحات الهيكلية التي تقدم القاعدة لنمو قوى، وسيكون على هذه الدول تعظيم فرص العولمة فى الوقت الذى يجب فيه إدارة مخاطرها. ومن سيعجز عن اللحاق بقطار العولمة ويعدل من أوضاعه الاقتصادية سيسقط أكثر وأكثر فى الهوة التي ستزداد اتساعاً بين الفقراء والأغنياء.

"وبوعى بالتحديات التي تواجه الدول النامية، فإن البنك الدولي سيساعد هذه الدول على الوصول لمنظور أكثر تكاملاً لمهمتها التنموية وهذا هو هدف ( شبكة التنمية المتكاملة ) أو CDF وتدعو هذه الشبكة إلى خطة تنموية تصنعها الدولة نفسها بالتركيز على النتائج طويلة المدى وتدعم الشبكة أيضاً شراكة بين الحكومات والمجتمع المدني والقطاع الخاص وكل الفاعلين فى مجال التنمية وهذه الخطة له ثلاث محاور :

- هيكلية : متمثل فى الإدارة الجيدة والحكومة النظيفة، نظام قضائى فعال، نظام مالى جيد التنظيم، شبكة أمان اقتصادى، وبرامج اجتماعية.

- مادي : يتمثل في البيئة الأساسية من مياه وصرف صحي، طاقة، طرق جيدة.
- استراتيجي : لتطوير القطاعات الريفية والحضرية والخاصة<sup>(١)</sup>.

وتكشف هذه النصوص عن تقاطعات كبيرة مع النصوص السالفة للشركات

عابرة القومية في التركيز على الأعمال عابرة القومية وضرورة توفير إدارة جيدة وحكومات خالية من الفساد فضلاً عن تكامل بعض نصوص خطاب البنك الدولي في توفير بنية أساسية جيدة خاصة في الاتصالات لخلق بيئة جيدة للأعمال.

وما يعرضه موقع البنك الدولي على الإنترنت من معلومات عنه يتضمن ما أنجزه البنك طوال السنوات الماضية في الدول النامية مثل زيادة متوسط العمر في البلاد النامية من ٥٥ سنة إلى ٦٥ سنة، وتضاعف الدخل الفردي، وزيادة نسبة الأطفال المداومون على الدراسة من ٥٠% إلى أكثر من ٧٥% وتناقص وفيات الأطفال بمقدار ٥٠%، وهي بيانات في غاية التبسيط لا تأخذ في الاعتبار زيادة التضخم الذي جعل من تضاعف الدخل الفردي إنجازاً لا معنى له، وكذا تجاهل جودة الخدمة التعليمية في مقابل التركيز على كم المداومون على المدارس، ولكن البنك لا يغفل التحديات التنموية الكبيرة التي تواجه ٤,٧ مليار نسمة في ١٠٠ دولة تتعامل مع البنك وهي أن ٣ مليار يعيشون على أقل من ٢ دولار يومياً، و ١,٣ مليار يعيشون على أقل من دولار يومياً، وكذا أن ٤٠ ألفاً يموتون سنوياً من جراء أمراض يمكن منعها، فضلاً عن أن هناك ١٣٠ مليوناً ليس لديهم فرصة للذهاب لمدرسة، و ١,٣ مليار ليس لديهم ماء نظيف ليشربونه.

يملك البنك الدولي ١٨٠ دولة يقدم رؤاها ومصالحها مجلس المحافظين ومجلس المديرين ومقرها واشنطن، وبشكل تقليدي فإن رئيس البنك الدولي هو - بحكم العادة -

(1) The World Bank Group @ <http://www.worldbank.org/html/extdr/about>.



## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

ينتمى لأكبر دولة مساهمة وهي الولايات المتحدة، ينتخب لمدة ٥ أعوام قابلة للتجديد، وهو يرأس اجتماعات انمدراء التنفيذيين، ويقرر مسؤولية إدارة البنك الدولي <sup>(١)</sup>.

### وفيما يتعلق بعمليات الاندماج والتشبيك يرى البنك أن :

الأسواق العالمية تتسارع في الاندماج جميعاً في سوق واحدة كونية وبدون استعداد وجدت الدول النامية نفسها تبدأ من نقاط مختلفة ويتحرك بسرعات متفاوتة في الانجذاب إلى هذه العملية. وإذا كانت لديها مؤسسات كافية وسياسات مؤثرة يمكن أن تعبر الطريق بسهولة إلى الاندماج المالي وتتحصل على فوائده. ولكن معظم الدول النامية تفتقر إلى أساسيات هذه المرحلة السهلة. والبعض سيكون فاقد الاستعداد لدرجة أنه سيخسر أكثر مما سيكسب من الاندماج المالي .. والدول النامية لها خيارات قليلة في اتباع هذا الطريق لأن التطورات في مجال الاتصالات وتطورات مجال التنمية جعلت سلوك الطريق حتمى، ولكن يمكنها أن تقرر كيف ستسافر على هذا الطريق باختيار السياسات التي تفيد اقتصادها وتتجنب الصدمات المحتملة.

عملية الاندماج المالي مازالت في طي الغيب / لم تفض مغاليقها. وسيكون طريق التغيير سريعاً بالنسبة للدول النامية ليعطيها أسواق مالية محمية .. وبشكل أساسي حتى فى الاقتصادات الأكثر تنظيماً، فإن التعقيد الاقتصادى سيعنى أن الاندماج المالي سيكون ليس من اختيار الحكومات، الأسواق ستختار بدلاً عنهم. وتحت تأثير هذه العملية سيتدفق رأس المال الخاص بسرعة وازدهار ليس فقط من الدول الصناعية إلى الدول النامية وكيف بشكل متسارع بين دول النامية نفسها ومن الدول النامية للدول الصناعية.

وقواعد تحرير التجارة سيزيد من جاذبية الدولة ومصادقيتها لدى المستثمرين الأجانب، وسيشجع تدفق رؤوس الأموال المستقرة في البلاد بدلاً من العاجلة البسيطة ..

---

(1) The World Bank Group: Op. Cit.

## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وهذه الظروف السابقة على الانتقال ستجعل استعمال رؤوس المال جيداً، وسيحدد ما إذا كان فسي مقدور الدولة الإفادة من الاندماج المالي وتفادى مخاطره، وستزداد قدرتها على استيعاب ما يحدث في سوق رؤوس المال من صدمات وتغيرات سريعة غير متوقعة<sup>(1)</sup>.

ونستطيع أن نحلل أيضاً نصاً آخر دالاً على سياسة البنك الدولي وهو خطاب رئيس مجموعة البنك الدولي في سيائل بولاية واشنطن في ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩ عندما دعاه مايك مور Mike Moore مدير المنظمة العالمية للتجارة WTO، فقد بدأ ولقنسون خطابه قائلاً:

“I share ... that this must be “one family”, where every one has a seat at the table”

« إن البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية هي أسرة واحدة وأريد أن أتكلم بالنيابة عن أعضاء الأسرة الذين لم يكونوا أول من يتكلم ولكن أول من يسمع في هذا المنتدى وهم الدول الفقيرة .»

يُظهر خطاب رئيس البنك الدولي تعاطفاً مع الدول النامية وحققها في فرص تنافسية كبيرة مقارنة بالدول المتقدمة التي قد تعاني من صعوبات ولكن ذلك في صالح الجميع على المدى الطويل وخاصة في مجالات الزراعة والإنشاءات والمنسوجات.

وقال أن أجندة التجارة لا يمكن أن تناقش بمعزل عن بقية القضايا ولكن يجب أن ينظر لها في إطار قضية التنمية والتوازن بين المبادرات القومية والدولية والتجارة على أنها جزء من شراكة تضمن مستقبلاً أفضل لأطفال العالم.

وحدد رئيس البنك الدولي عدة نقاط للتحرك والعمل تؤدي وظيفة الخطاب الذي يعكس سلطة سماح أو منع:

---

(1) The World Bank Group: Private Capital Flows Developing Countries: The Road to Financial Integration, @ <http://www.worldbank.org/html/extpb/pcf/pcfeng.htm>

• يجب أن نسمح باتساع السوق لكل صادرات الدول النامية، لأن المصدرين يواجهون عوائق تمثل أربعة أضعاف ما يلاقيه مصدرين الدول المتقدمة وهذه العوائق أعلى في التجارة البينية بين الدول النامية وهو ما يؤثر سلباً على التجارة من الجنوب للشمال والجنوب - جنوب وأول خطوة هي اتباع الخطوة الأولى التي قالها (مايك مور) رئيس منظمة التجارة العالمية وهي التحرير الكامل لدخول صادرات الـ ٤٨ دولة الأقل في الدول النامية ويدخل في ذلك خاصة الدول الفقيرة المثقلة بالديون Heavily Indebted Poor Countries (HIPC).

• يجب وبسرعة أن نقلل من حماية الزراعة في الدول ذات المدخولات العالية، لأن التوسع التجاري في مجال الزراعة أكثر من مجالات المصنوعات هو ما سبب نقصاً في موارد الدول الفقيرة من الزراعة بمقدار ٢٠ مليار دولار في العام بعد دورة أوجواي .. وهو ما أضر بالمصدرين في الدول النامية وبمستهلكي الدول المتقدمة.

• يجب أن نتعاون لدعم الدول الأفقر للمشاركة في مفاوضات التجارة العالمية .. ليس فقط للجلوس ولكن للتصويت وسماع رأيها. بعض الدول النامية لها من الإمكانيات ما يؤهلها للمشاركة ولكن البعض الآخر لا يملك تلك الإمكانيات .. والبعض الآخر غير موجود في جنيف .. والبعض يفتقد للحبرة المحلية اللازمة للمشاركة الفعالة في المناقشات.

• يجب أن نجعل تحرير التجارة فعالاً للفقراء، ومعرفة ما زالت محدودة بالتأثير العملي للنماذج المختلفة لتحرير التجارة .. يجب أن نركز اهتمامنا لمعرفة الروابط بين الفقر والتجارة .. وهذه منطقة سيكون البنك سعيد بالتعاون مع IMF, WTO فيها<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ الآتي على هذا الخطاب :

(1) James Wolfenson: Global Trade and the "Development Round": Seizing the Day @ <http://www.worldbank.org/html/extpb/global trade>.

## العوامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

١- إنه خطاب سلطوى يعكس قوة جهة تملك السماح أو المنع بعد أن ارتأت أن الطريق الكونى للتنمية هو طريق حتمى لابد من اتباعه ومن هنا تتبع أصولية خطاب العوامة.

٢- يظهر التحالف فى التوجهات النظرية بين البنك الدولى ومنظمة للتجارة العالمية.

وفى كلمة ولفنسون أمام محافظى البنك الدولى فى هونج كونج عام ١٩٩٧ يرتكز فكر التنمية الذى يطرحه رئيس البنك الدولى على أربعة أعمدة:

- يجب أن تكون حكومات وشعوب البلدان النامية فى موقع السيطرة، تمارس حق الاختيار وتحدد أهدافها لأنفسها فالتنمية تتطلب قدراً هائلاً من الإرادة السياسية المستمرة فيما لا يمكن السماح بفرضها من الخارج .. ولذا لا يمكن أن تكون مدفوعة من الجهات والبلدان المانحة.

- يجب أن تكون شركائنا متساندة، أي أن تشترك فيها الهيئات الثنائية والمتعددة الأطراف والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والمنظمات الإقليمية ومنظمة التجارة العالمية والمنظمات العمالية والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات الوقفية والقطاع الخاص، ومع قيام كل منا بدور يتمشى مع قوته النسبية يمكننا زيادة أثر جهود التنمية برمتها.

- يجب أن نعرض مساعدتنا على كافة البلدان التى تحتاج إليها، ولكن يجب أن نتوخى الانتقائية فى كيفية استخدام مواردنا، فلا مفر من مواجهة الحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها: سيتم انتشار عدد أكبر من الناس من براثن الفقر إذا ركزنا مساعدتنا على البلدان التى تتبع سياسات جيدة أكثر منا لو خصصنا هذه المساعدات بغض النظر عن السياسات المتبعة.

واستدرك وقال « أريد أن أكون واضحاً تماماً بشأن هذه النقطة، إننى لا أناصر نظرية داروينية للتنمية بحيث ننبد غير الصالح على جانب الطريق بل العكس تماماً عن

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

هدفنا هو مساعدة الصالح ومساعدة غير الصالح على أن يصبح صالحاً. المسألة كلها تتعلق بالإشراك « (١).

ومن العبارات السابقة لرئيس البنك الدولي نستخلص أن هذا الخطاب :

١- يمثل ذروة الخطاب الأرثوذكسى للعولمة حيث أن هذه الهيئات المذكورة سلفاً هي التى خولت لنفسها تبيان "الصالح" من غير "الصالح" .. وهى تقنع من لا يريد أخذ الروشنة بأن يأخذ الدواء كى يصح ويصبح قادراً على تلقى مساعدات ومعونات أكثر.

٢- والإرادة السياسية التى يتكلم عنها وولفنسون هى الإرادة "التابعة" التى يجب أن تقتنع بوجهة نظر اللاعبين الكبار فى مجال الاندماج مع السوق العولمى "حيث أن معظم شعوب هؤلاء الحكام أمية لا تفرق بين العولمة والاندماج وبين أى خيار آخر.

ويقدم البنك الدولى ما اصطلح على تسميته الروشنة الاقتصادية لمعالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية فى الدول النامية.

فإنطريق إلى تعديل المسار الاقتصادى فى أفريقيا يشمل ٣ خطوات يجب أن تأخذها الحكومات الأفريقية :

- إصلاح سياسات الاقتصاد الكلى :

إصلاح الميزانيات الحكومية وتقليل عجزها يساعد فى التحكم فى التضخم والاحتفاظ بسعر صرف حقيقى يعود بالنفع على قدرة تنافسية دولية عالية وتحويلات العملة.

---

(١) جيمس د. وولفنسون: تحدى الإشراك، كلمة موجهة إلى مجلس محافظى البنك الدولى، هونج كونج، الصين، ٢٣/١١/١٩٩٧.

@ <http://www.worldbank.org/html/extdr/am97.htm>

## - تشجيع المنافسة :

المنافسة تعنى إنتاجية عالية، والشركات التى تجبر على المنافسة، لها فعالية عالية أكثر من الشركات الحكومية التى تحتكر التعامل الخارجى، والمنافسة الأفريقية تعتمد على إعادة الهيكلة المحلية، وتعديل المسار التجارى بالخصخصة.

## - استخدام القدرة المؤسسية المحدودة بحكمة :

لأن معظم الدول الأفريقية لها قدرة محدودة على السيطرة والتنظيم فإن أولوية كبرى هى أن تقلل هذه الحكومة من تدخلها غير الضرورى فى الأسواق، وهينات التسويق لابد أن تلغى، والمؤسسات العامة تخصص وتقييدات الواردات تستبدل بالتعريفات.

وينحو البنك الدولى باللائمة على الدول الأفريقية فى السياسات التى تنتهجها وتسبب الفقر :

١- أسعار الصرف المبالغ فيها : وجود أسواق غير رسمية، وأسواق موازية لتبادل سعر الصرف التى - فى الدول التى تتمتع بأسعار صرف مرنة - ترفع من سعر الصرف الحقيقى.

٢- الإسراف الحكومى العالى : فالسياسة المالية تقتضى عجز صغير فى الميزانية وإسراف حكومى صغير والدول الأفريقية جنوب الصحراء لا تمتلك ذلك.

٣- استخدام التعريفات والجمارك: يمثل أحد مظاهر العجز لدى الدول الأفريقية.

٤- عدم الاستقرار السياسى: فالاستقرار السياسى والاجتماعى مرتبط بمعدلات عالية من النمو.

٥- نقص الاستثمار في البشر: بزيادة الأمية وعدم انتظام الأطفال في المدارس وتدهور الأوضاع التعليمية للمرأة<sup>(١)</sup>.

وهي نفس الأجندة التي سبق أن طرحتها الشركات متعددة الجنسيات في خطابها الناقد للدول النامية للإسراع بفتح أبوابها لعمليات الاندماج والتشبيك الكوكبية.

ولمّا كانت قضية السكان أحد شواغل التنمية الرئيسية للبنك الدولي منذ إنشائه فقد تطور خطابه ليلانم مرحلة العولمة الجديدة ويقدم أجندته الخاصة حيال الزيادة السكانية في البلدان الفقيرة :

• تقليل النمو السكاني مازال أولوية هامة في الدول الأفقر. فمعدلات المواليد العالية، وعدد السكان العالمي الذي مازال أغلبهم في سن صغيرة يجعل من الصعوبة تقليل الفقر، والاستثمار في البشر ومتابعة تنمية اقتصادية متواصلة.

• يجب أن يتم التركيز على صحة الأطفال، تعليم البنات وتحسين أحوال المرأة. وقد أثبتت الخبرات التنموية أن هذه الطريقة هي الأصلح لتقليل عدد المواليد بدلاً من السياسات المعتمدة فقط على تقليل الخصوبة.

• لا بد وأن تركز البرامج السكانية على مد الفقراء بالخدمات عالية الكفاءة والموجهة نحو المستخدم User - Oriented التي توفر مجالاً من الفرص للتحكم في الخصوبة وجميع الاحتياجات الصحية الأخرى.

• الإغلاء من شأن الاستراتيجيات الموجهة للريف يجب أن يأخذ القطاع العام في الاعتبار الاحتياجات في الريف، القيم الثقافية، والعوائق المالية والمؤسسية.

وإذا انتقلنا إلى التعليم تتور تساؤلات حول :

---

(1) The World Bank Group. Adjustment in Africa (New York University Press, 1994), pp. 9-22.

أى نوع من التعليم يقترحه البنك الدولي فى عصر العولمة؟ وما هى جهة التمويل التى يراها أنسب فى عصر الاندماجات الدولية الكبرى؟  
يجيب على ذلك تقرير للبنك الدولي:

« تخلق التكنولوجيا المتغيرة والإصلاحات الاقتصادية تحولات درامية فى بنية الاقتصاد والصناعة وأسواق العمل، والزيادة السريعة فى مجال التعليم التكنولوجى والمعلوماتى تجعل بإمكان الأفراد تغيير عملهم وترك شركاتهم السابقة .. ومن ثم فإن هناك أولويتين للتعليم : دعم الحصول على مهارات جديدة بسرعة، ودعم النمو المتواصل للمعرفة.

يجب أن يضم التعليم الأساسى اللغات والعلوم والرياضيات والاتصال الذى يؤهل بدوره لتعليم وتدريب آخر، أما المهارات الأكاديمية فيمكن تعلمها أثناء العمل On - the job - أو فى خلال التأهيل المرتبط بالعمل Work - related.

ويقترح البنك الدولي - مع عجز الحكومات أن تفى بالطلب على التعليم - بأن يقتصر دور الدولة على التعليم الأساسى وأن يفتح الباب للاستثمارات الخاصة بالدخول فى مجال التعليم<sup>(١)</sup>.

## ٢- صندوق النقد الدولي :

الذى يعد ثاني أكبر بيروقراطية كونية بعد البنك الدولي، وهو يتحكم فى مجال هام للغاية يرتبط بنشاط الشركات متعددة الجنسيات وهو أسعار الصرف والتحويل.  
تأسس الصندوق الدولي رسمياً فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٥ عندما وقعت ٢٩ دولة على ميثاق فى مؤتمر بمدينة (بريتون وودز) بولاية نيوهامشير بالولايات المتحدة من ١ - ٢

(1) The World Bank Group: Priorities and Strategies for Education 1995  
<http://www.worldbank.org/html/extpb/prioritieseducation.htm>



## **العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار**

يوليو ١٩٤٤، وبدأ عملياته المالية في ١ مارس ١٩٤٧. وتبلغ عضويته الحالية ١٨٢ دولة بميزانية حوالى ٣٠٠ بليون دولار بزيادة ٤٥% فى ٢٢ فبراير ١٩٩٩ (زيادة مرتبطة بالعولمة).

ويدير صندوق النقد الدولى: مجلس المحافظين، واللجنة الدولية النقدية والمالية، والمجلس التنفيذى. ويعمل به حوالى ٢٧٠٠ موظف من ١١٠ دولة.

وتأسس الصندوق لتطوير التعاون النقدى الدولى، ولتسهيل التوسع والنمو المتوازن للتجارة العالمية، ولتطوير الاستقرار فى أسعار الصرف، وللمساعدة فى إرساء نظام متعدد الدفعات بضمانات كافية، وتقليل درجة وفترة عدم التوازن فى موازين المدفوعات الدولية لأعضائه.

ويقوم صندوق النقد الدولى بالوظائف التالية:

أ- المراقبة : وهى العملية لا يقوم فيها البنك بالحكم على مدى كفاءة سياسات أسعار الصرف لأعضائه فى إطار تحليل شامل للوضع الاقتصادى العام واستراتيجية كل عضو. ويقوم صندوق النقد الدولى بهذه المسؤوليات من خلال الاستشارات السنوية الثنائية مع كل عضو، ومراقبة كل الأطراف مرتين فى العام فى إطار تقريره عن الوضع الاقتصادى الدولى .. وهو يقوم بذلك لتدعيم الثقة العالمية لسياسات كل عضو.

ب- الدعم المالى : بتقديم قروض وإعانات للدول الأعضاء التى تعاني من اختلالات فى موازين مدفوعاتها لتدعم سياسة إعادة الهيكلة والإصلاح الاقتصادى. وحتى يوليو ١٩٩٩ كان البنك يقدم ما يربو على ٨٧ بليون دولار لعدد ٩٤ دولة.

ج- الدعم الفنى : لتدعيم الخبرة للأعضاء فى مجالات موسعة مثل، تنظيم وتطبيق سياسات نقدية ومالية معينة، بناء المؤسسات مثل تطوير البنوك المركزية ووزارات

الخزائنة، القيام بحسابات التعامل مع البنك الدولي وصندوق النقد، جمع المعلومات الإحصائية وتطويعها، تدريب المسؤولين في معهد صندوق النقد الدولي بالاشتراك مع المؤسسات الدولية المالية الأخرى من خلال معهد فيينا ومعهد سنغافورة، برنامج الشرق الأوسط للتدريب، ومعهد أفريقيا.

ويدخل ضمن المهام المالية للصندوق: سياسات الحفظ والضمانات المالية والدعم في الأزمات وسياسات تخفيض الديون وخدمة الديون<sup>(١)</sup>.

وبتعبيرات الخطاب الإعلامي فإن صندوق النقد الدولي في عصر العولمة يعمل بمثابة حارس بوابة القروض أو Gate Keeper ويقدم استشاراته لكل من البنك الدولي لإعطاء القروض، ومنظمة التجارة العالمية لتحديد الدول المطيعة التي تأخذ « أدوية الروشتة » كاملة غير منقوصة وهو معيار - من وجهة نظره - نجاحها أو فشلها الاقتصادي.

وليس هناك من عجب أن نجد الحكومات قد صممت بعد اختراقها وتحالفها مع الطبقة الرأسمالية عابرة القومية، ليبقى صوت المنظمات غير الحكومية ضد أواليب وسياسات صندوق النقد الدولي فقد شكت منظمات الإغاثة حول العالم إلى وزير الدولة البريطاني لشئون الضرائب من الطريقة غير الديمقراطية والسرية المشبوهة التي تم بها تعيين (جوردون براون) مدير صندوق النقد الدولي الجديد، من قبل الدول الصناعية الكبرى، إذ أنه - على حد قول منظمات الإغاثة - ليس من العدل الاستمرار في نظام يتيح للأقلية الغنية تعيين رئيس مؤسسة تؤثر بقوة قراراتها على الدول النامية دون استشارتها<sup>(٢)</sup>.

(1) The International Monetary Fund: **The IMF at a Glance**

@<http://www.imf.org/external/np/facts/glance.htm>.

(2) The World Bank Group : **Press Review**

@<http://WBLNOOB.worldbank.org/News/Devn/>

### ٣- منظمة التجارة العالمية :

ظهرت منظمة التجارة العالمية إلى الوجود عام ١٩٩٥، كواحدة من أصغر المنظمات الدولية، وقد انبثقت عن الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (GATT) التي ظهرت إلى الوجود في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. وقد احتفل باليوبيل الذهبي لها في جنيف في ١٩ مايو ١٩٩٨ في حضرة قادة العالم.

وأهداف المنظمة هي المساعدة على تدفق التجارة بسهولة وحرية بشكل عادل وقابل للتنبؤ .. وتقوم بهذا الدور من خلال :

- إدارة اتفاقات التجارة.
- العمل كمنتدى للمفاوضات التجارية.
- حل المنازعات التجارية.
- مراجعة السياسات التجارية القطرية.
- مساعدة الدول النامية في قضايا السياسات التجارية من خلال الدعم التكنولوجي وبرامج التدريب.
- التعاون مع المنظمات الدولية الأخرى.

وتتكون منظمة التجارة العالمية من ١٣٥ عضواً (١٣ نوفمبر ١٩٩٩) تسيطر على ٩٠% من تجارة العالم وأكثر من ٣٠ آخرين أعضاء مراقبين والقرارات تتخذ بالإجماع، ويمكن التصويت بالأغلبية ولكن حدث في الـ WTO ما كان نادر الحدوث في أثناء فترة (GATT) وتمت الموافقة على هذه القرارات في برلمانات الدول الأعضاء كلها وتبلغ ميزانية المنظمة ١٢٢ مليون فرنك سويسري.

وأعلى مستوى لاتخاذ القرارات هو (المؤتمر الوزاري) الذي يعقد على الأقل مرة واحدة كل عامين وتحت يمه المجلس العام ويضم بصفة عامة السفراء ورؤساء الوفود المفاوضة فى جنيف ولكن أحياناً يتم إرسال المسؤولين من عواصم الدول الأعضاء ويحمل المجلس العام على عاتقه إقرار الميزانية ويختص بمراجعة السياسات التجارية وحل المنازعات.

وفى المستوى الذى يليه تأتى مجالس البضائع ومجلس الخدمات ومجلس المنتجات الثقافية (TRIPS) التى ترفع تقاريرها إلى المجلس العام.

وتضم منظمة التجارة العالمية عدداً من اللجان المتخصصة، ومجموعات العمل التى تتعامل مع الاتفاقات الفردية وقضايا أخرى كالبينة والتنمية وقبول العضوية والاتفاقيات التجارية الإقليمية.

والمؤتمر الوزاري الأول فى سنغافورة ١٩٩٦ أضاف ٣ مجموعات عمل لبناء المنظمة التى تناقش العلاقة بين التجارة والاستثمار، والتفاعل بين التجارة والسياسات التنافسية والشفافية فى مجال الإجراءات الحكومية وفعاليتها .. وفى المؤتمر الوزاري الثانى فى جنيف ١٩٩٨ قررت منظمة التجارة العالمية دراسة التجارة الإلكترونية.

والسكرتارية تقع فى جنيف وتضم ٥٠٠ عضواً يرأسهم المدير العام Mike Moore وليس لها فروع خارج جنيف للـ WTO ميزة خلوها من البيروقراطية التى يمكن أن توجد فى المنظمات الدولية الأخرى فى مجال اتخاذ القرارات.

وعبر اتفاقيات منظمة التجارة الدولية، يدير الأعضاء نظام تجارى غير مميز Non-Discriminatory الذى يحدد حقوقهم وواجباتهم. وكل دولة تتلقى ضمانات بأن صادراتها سيتم معاملتها بشكل عادل ومنظم ومتساو فى أسواق الدول الأخرى وكذا الوعد

بأن تعامل الواردات من الدول الأخرى بنفس الطريقة، ويعطى النظام الدول النامية بعض المرونة فى تطبيق الالتزامات.

وتتمتع البنوك وشركات التأمين وشركات الاتصالات ومجموعات الفنادق وشركات النقل التى ترغب فى إنشاء أعمال فى الخارج الآن بنفس المعايير الحرة والعادلة التى تطبق فى مجال السلع<sup>(١)</sup>.

#### ٤- نقد عمل البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية :

##### أ- نقد عمل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى :

تصدى عدد من المنظرين الاقتصاديين النقديين لعمل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى على اعتبار أن محاولاتهم الإصلاحية هى محض أسطورة تدعو للاستياء، كما أن وعودهم المكذوبة بالدعم متعدد الأطراف قد عمقت من الفساد السائد فى الدول النامية.

وقد كان للاقتصاديين دوج باندو Bandow، وأيان فاسكويز Vasquez مساهمة نقدية بالغة الأهمية فى هذا الصدد فى كتابهما الهام (حفظ الفقر) أو Perpetuating Poverty.

##### يقول الكاتبان :

« لما كان البنك الدولى وصندوق النقد الدولى يشعران بأن ما ينقص الدول النامية هى القروض فقد أمطروا بها الدول النامية منذ الخمسينيات وحتى الآن، حتى أن البنك الدولى بمفرده قد أعطى الدول النامية حوالى ٣٠٠ بليون دولار، وكذلك صندوق النقد الدولى الذى بعد زيادة موارده بمقدار ٥٠% من الدول الصناعية الكبرى عام ١٩٩٢ لعب دوراً هاماً فى إعادة هيكلة الاقتصاد فى روسيا.

(1) World Trade Organization @ <http://www.wto.org/wto/inbrol.htm>.

المولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

ولكن بعد ٤٠ عاماً من تلقى أمريكا اللاتينية لمعونات وقروض بلغ حجم المديونية ٤٣ بليون دولار، والدخل للفرد بالنسبة للدول الأفريقية جنوب الصحراء فى التسعينيات أقل منه فى السبعينيات والـ ٤٧ دولة الأفقر فى العالم مازالت الأعلى فى تلقى القروض.

وعلى سبيل المثال خلقت القروض الكبيرة التى تلقتها الهند فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بيروقراطية كبيرة فى واحد من أكبر القطاعات العامة غير الفعالة فى العالم، وبقت الهند واحدة من أفقر دول العالم.

وليسست الهند بمفردها، فسياسات صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، لعبت دوراً كبيراً فى استمرار أسطورة سيطرة الدولة فى المكسيك فقروض البنك الدولى زيادة سيطرة الدولة على الصناعات الحكومية ورفعها من ٣٠٠ عام ١٩٠ إلى ١,٢٠٠ عام ١٩٨٢ فيما أعلنت المكسيك عدم قدرتها على دفع الديون الخارجية على الرغم من الإصلاحات الكبيرة فى المكسيك لتحرير التجارة .. وهو ما يمكن أن ينسحب أيضاً على بقية دول أمريكا اللاتينية التى هبطت مستويات معيشتها.

وكذلك فقد قدم البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لدكتاتوريات البلدان الأفريقية قروضاً كبيرة تحت زعم (زيادة التنمية) بينما صرفت هذه الدول المال على التسليح، وبناء مكاتب فخمة، ومطارات بالبالز، وشراء أفيار سوداء جديدة.

**هل تعتقد هذه المنظمات أنها تساعد بالفعل العالم الثالث؟**

تعتقد - للأسف - هذه المنظمات ذلك، ولكن من الصعوبة مراقبة أنشطتها السرية فى الأغلب، فالبنك الدولى لا ينشر تقييمات هذه المشروعات ولا التقارير الوطنية عن كيفية تشغيل هذه الأموال (وهل تملك العديد من دول العالم الثالث مؤسسات للمراقبة؟) . وكذلك تبقى الاتفاقيات التى يتوصل إليها صندوق النقد الدولى مع الدول المقترضة فيما تعرف بخطابات النوليا Letters of Intent كلها سرية.

وتبدأ وسائل الإعلام الغربية فى مناقشة عمل هذه المؤسسات فقط عندما تعود مشروعات البنك الدولى إلى اجتماعات عامة تناقش خرق واضح لحقوق الإنسان أو تدمير كبير فى البيئة فى العالم الثالث، أو عندما تقود برامج صندوق النقد الدولى التى ترفع الضرائب أو تقلل قيمة العملة لاحتجاجات فى الدول المقترضة.

وربما توصف هذه الصورة بأنها متحيزة ولا تقدم أية رؤية إيجابية لما تحققه هذه المشروعات. ولكن هذه المؤسسات هى التى اختارت السرية، وفى عام ١٩٩٢ قام البنك الدولى بمراجعة ١٨٠٠ مشروعاً أقرض فيها الدول النامية ١٤٠ بليون دولار .. فيما يعرف بتقرير Wapenhans وقد حكم على ٣٧,٥% من هذه المشروعات بأنها غير مجدية بما يمثل ضعف المشروعات المخففة خلال عقد مضى.

ومثال آخر : فقد نشر البنك الدولى للإعمار والتنمية والبنك الآسيوى للتنمية تقارير تقطع بأدائهما المعيب. فطبقاً للتقرير السنوى للبنك الآسيوى عام ١٩٩٢ ذكر أن ٦٠% من مشروعاته إما فشلت أو حققت نجاحاً جزئياً وكذلك فإن البنك الدولى للإعمار والتنمية خلص أن البنك فشل فى المساهمة فى التحول الاقتصادى فى أوروبا الشرقية، وأن التأثير كان محدوداً إذا ما قورن بما أدركته على هذه المشروعات.

### هل يمكن لهذه المؤسسات أن تساعد الدول النامية؟

اعترف عدد من المسؤولين بأن المشروعات السابقة لم يتوفر لها النجاح اللازم، ولكن المستقبل سيكون مختلفاً خاصة وأن صندوق النقد الدولى وعدد من مؤسسات البنك الدولى اشترطت تحرير الاقتصاد والتحول للسوق حتى تعطى القروض.

هذه النظرية تبدو جيدة تجديداً، ولكنها حققت نجاحات صغيرة على مستوى التطبيق خاصة وأن صندوق النقد الدولى اشترط رفع الضرائب .. ولكن كيف يتوقع صندوق النقد الدولى من مجتمع أن ينصلح شأنه ويرتقى إذا أجبر حكومته على جباية

## العملة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

جزء من ثروات الشعب؟ وهذه الوصفة لم تنفع في البرازيل التي عجزت موازيين مدفوعات فاضطرت إلى طبع العملة وهو ما تحاهله صندوق النقد الدولي، ويرى المؤلفان أن النجاح الذى أحرزته نسبياً المكسيك وشيلي وكوريا الجنوبية والأرجنتين على سبيل المثال جاء على الرغم من قروض المؤسسات وليس بسببها.

### ولكن لماذا تستمر هذه السياسات؟

تستمر لأن جميع الأطراف - ماعدا مواطنى الدول النامية - مستفيدين منها : بيروقراطيات الدول النامية، وبيروقراطية هذه المؤسسات نفسها .. فرغم تحرير سعر الصرف فى كثير من الدول وهو الهدف الذى عارضه صندوق النقد الدولي لسنوات، فإن البنك توسع فى الاقتراض .. وخلق الصندوق مهمات أخرى لنفسه ... وهذا ما حدث فى البنك الآسيوى للتنمية إذ قال أحد كبار المسؤولين فيه : « إننا لم نقتل مشروعاً، إننا مؤسسة تنموية، ولكننا بنك أيضاً »<sup>(١)</sup>. والحل كما يطرحه الكاتبان يكمن فى فتح أسواق العالم الصناعى لمنتجات العالم الثالث.

وتطبيقاً على برامج حماية البيئة، شرح بروس ريتش Rich كيف فشل البنك الدولي فى حماية البيئة، وفقد مئات المليارات من الدولارات.

« كان البنك الدولي فى حرب مع نفسه، مظهراً أعراضاً فصامية بيروقراطية حادة، فالبنك تحت قيادة (كونابل) عام ١٩٨٧ قام بعدد من الإصلاحات فى برامج البيئة، وقام البنك بتخفيض عدد العاملين بناء على ضغوط من وزارة الخزانة الأمريكية، مما جعل العاملين فى البنك لا يتقون بمستقبلهم والبقاء كان مؤسساً على وجود من يحمى العاملين فى الإدارة العليا وليس بالكفاءة، والتأثير على الروح المعنوية كان مدمراً ».

---

(1) Doug Bandow & Ian Vasquez : **Perpetuating Poverty: The World Bank, the IMF and the Developing World** ( Washington: CATO Institute Publications . 1994 ) . pp. 1 - 12.



وكان هناك ما هو أسوأ، فقد أحدث التأثير الرئيسى لإعادة التنظيم فصلاً سنياً بين مديري المؤسسة الذين يحددون من يأخذ القروض وبين أقسام التخطيط والبحث. كما أن إعادة التنظيم أعطى للدول سلطة أكبر واستقلالاً وهمياً بينما كانت الوظائف البحثية والخارجية مركزة فى مبنى واحد معزول عن عمل كل يوم .. لذا لم يسمع أحد من مقدمى القروض عن الأبحاث فى مجال البيئة ولا كيفية تخطيط هذه القروض. وزاد من الضغوط الستى تعرض لها البنك الدولى عدم إدراكه للآثار السلبية الوخيمة من جراء إعلاءه من شأن الكم على الكيف فى سياسات الإقراض وذلك لأن البنك يراعى الشروط التى يجب توفرها فى الدول التى يتم إقراضها مثل الهند، إندونيسيا، البرازيل .. وخاصة فيما يتعلق بالتعديل الهيكلى الذى لم يتم<sup>(١)</sup>.

#### ب- نقد عمل منظمة التجارة العالمية :

وقد تم توجيه انتقادات كثيرة لعمل منظمة التجارة العالمية ، ثلاثة البيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية الكبرى وأحدثها، بأنها منظمة سلطوية غير ديمقراطية، ترعى مصالح الدول الصناعية الكبرى وتتجاهل مصالح الدول الفقيرة، وكذا كونها تسعى لتحرير التجارة بشكل أعمى وبأى ثمن على حساب التنمية الحقيقية لفقراء العالم، كما أنها أداة للوبي قوى من الشركات متعددة الجنسيات.

وكان لابد للمنظمة أن ترد مدافعة عن نفسها وقد نشرت على الإنترنت تقريراً هاماً بالغ الدلالة على منطلقات خطابها وآلياته، ويعتبر بحد ذاته خطاباً مضاداً أو Counter-Discourse يبغي تهدئة الخواطر وتسكين أصوات الاحتجاج، أكثر مما يبغي مناقشة أسس العملية التى تديرها المنظمة<sup>(٢)</sup>.

(1) Bruce Rich : Mortgaging the Earth: The World Bank, Environmental Improvements, and the Crisis of Development . ( Boston: Beacon Press, 1994 ) . pp. 8 – 10.

(2) World Trade Organization: 10 Common Misunderstandings about the WTO @ <http://WTO.org/10mis/htm>.

• فقد قيل أن المنظمة تتسلط على سياسات الحكومات خاصة حكومات الدول النامية : وقد نفت المنظمة هذه التهمة عنها إذ أنها لا تجبر الحكومات على إتباع سياسات تجارية معينة لأنها منظمة يديرها أعضائها أو Member-Driven Organization، فقواعد منظمة التجارة العالمية عبارة عن اتفاقيات تنتج عن مناقشات بين الدول الأعضاء، يصدق عليها برلمانات الدول وغالباً ما يتم اتخاذ القرارات بإجماع الأعضاء وبعبارات أخرى قرارات منظمة التجارة العالمية ديمقراطية ومسئولة. والحالة الوحيدة التي يمكن أن تتدخل فيها المنظمة في قرارات الحكومات هي عندما ينشأ نزاع يُحتكم فيه إلى المنظمة وتحديدًا جهاز فض المنازعات فيها الذي يتكون من كل الأعضاء، وأقصى ما يفعله هذا الجهاز هو أن يرفع تقرير "يوجب" فيه بالدول التي خرقت القواعد التي وافقت عليها سلفاً بالالتزام بها .. إذ عندما تخرق حكومة ما الالتزامات الاقتصادية والمالية يجب تذكيرها بها.

• وفي رد عن أن منظمة التجارة العالمية تسعى لتحرير التجارة بشكل أعمى وبأى ثمن: رأت المنظمة أن هذا الاتهام غير صحيح لأن هذا الأمر - التجارة - هو قضية تتعلق بمساومة كل حكومة مع أخرى لتحقيق مصالحها، وإن كان أحد مبادئ المنظمة هو تقليل الحواجز التجارية بين الدول، فإن المواقف التفاوضية بين الدول هي التي تحدد إلى أن مدى يتم تقليل هذه العوائق، كما أن تدرجية اتخاذ قرارات التحرير الاقتصادي وتقرير الجمارك بالنسبة للدول النامية يساعد على رعاية مصالحها.

• وعن تجاهل المنظمة لقضية التنمية: قررت هذه البيروقراطية الناشئة أن التجارة الحرة تدعم النمو الاقتصادي وهو أبلغ مؤشر على التنمية، وهو أمر يحمل من المغالطة الكثير فالنمو الاقتصادي غير التنمية إذ أن نتائج النمو وعوائده قد لا تتوزع بشكل عادل بين طبقات المجتمع خاصة مع تقليل الإنفاق الحكومي على التعليم والصحة والإسكان.

## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

• وعما إذا كانت منظمة التجارة الدولية تدمر الوظائف، وتوسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء: رأت المنظمة أن الاتهام غير صحيح وسطحي، فالتجارة قوة دافعة لخلق فرص العمل وتقليل الفقر، والدولة التي تحقق أعلى إفادة من هذه العلاقة هي الدولة التي تقلل عوائقها التجارية فاعاملين في الدول المصدرة يتقاضون رواتب عالية ويتمتعون بتأمين شبه كامل، وهو رد يستبعد تاريخية تكون رؤوس الأموال في الدول الصناعية بفعل الاستعمار، كما انه يتجاهل حقيقة اقتصادية بسيطة قررنا أغلب نقاد العملمة وهي أن وظيفة في دول نامية لابد وأن تؤثر على وظيفة في دول متقدمة.

وتقول المنظمة أن التكنولوجيا ستلعب دوراً في فتح فرص عمل كثيرة، متجاهلة أن من سيستفيد من هذه الفرص هم الملمين بهذه التكنولوجيات وهم قلة في الدول النامية .. وإن كان توسع الدول الصناعية في الخدمات حتى وصل متوسطها إلى ٧% من حجم الأنشطة التجارية سيلعب دوراً في ترك الوظائف الصناعية للدول النامية.

• وعما إذا كانت الدول النامية عاجزة عن تسيير أمور اقتصادها وأنها مجبرة على دخول منظمة التجارة الدولية: ردت المنظمة بأن نظامها يسمح لحكومات الدول الفقيرة في مقاومة ضغوط مجموعات الضغط، ذلك لأن الـ WTO هي منظمة حكومات والقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية يشاركون في فعاليات المنظمة في الندوات فقط وليس في اتخاذ القرارات، وفات المنظمة أن الحكومات قد تم - في الأغلب - اختراقها عن طريق صلات رجال الأعمال الذين هم في أغلب البلاد النامية من بين المسؤولين التنفيذيين الكبار أنفسهم.

ومن ثم يتضح لنا تقاطعات خطاب منظمة التجارة العالمية مع خطاب الشركات متعددة الجنسيات باعتبار أن للتجارة الحرة "يداً خفية" سوف تصلح أحوال فقراء العالم، وكذا التركيز على دور التكنولوجيا في تحسين أحوال العالم الثالث على المدى الطويل.



## الخطاب السياسى للعولمة

يعالج هذا الجزء من الفصل مفهوم علم الفوضى أو التركيب الذى يؤسس لوعى جديد فى العلاقات الدولية، بعدها يتناول بالتفصيل دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية فى تشكيل سياسة العالم المعاصر من خلال القوة العسكرية والتقدم التكنولوجى والمؤسسات الدولية، ثم يتعرض لنظرية صراع الحضارات باعتبارها غطاءً إيديولوجياً للهيمنة الاقتصادية.

• • •

يكشف الراصد لخطاب العولمة السياسى على إجماله أن كم الاضطراب والحيرة وعدم اليقين فيه ربما أكثر من الخطاب الاقتصادى .. وهذه نتيجة طبيعية - فى تصورى - إذ أن الطبقة الرأسمالية العابرة للقومية TCC والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إليها قوضوا بفعل دوافع مصالحهم مفاهيم راسخة فى العلاقات الدولية من جانب، وقرروا انتصار مذهب سياسى واحد يجب أن يسود السياسة الداخلية من جانب آخر.

وبالتبع فإن "الحرس القديم" لنمط العلاقات الدولية والنظم السياسية السابقة على عقد التسعينيات كان لابد وأن يتصدى لطرح هذه الطبقة والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إليها مقررًا خطورة ما سترتب على ذلك من فوضى فى العلاقات الدولية مع سيادة قطب واحد مهيم، وما سيلي ذلك من حركات عنف دولية وداخلية تزعزع استقرار العالم.

ولكن لما كانت هذه الطبقة - بفعل برجماتيتها التى جعلتها تنظر لمصالحها فى المقام الأول - لابد وأن تلجأ لخطاب إقناعى يبشر بانتصار الليبرالية السياسية كما بشر بانتصار الرأسمالية الكوكبية والاندماج والتشبيك وأن تؤسس خطاباً يبرر عنف تدخلها للسيطرة على الفوضى التى أحدثتها أو كانت على الأقل الطرف الأكثر فاعلية فيها تحت

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

شعارات مثل الشرعية الدولية، حماية حقوق الأقليات، مساعدة الشعوب ضد دكتاتوريات حكامها مستخدمة فى ذلك الدولة الأكثر تفوقاً فى المجال العسكرى وهى (الولايات المتحدة) التى تقود حركة العولمة لأنها الدولة الأكثر إفادة منها، ومستخدمة المنظمات الدولية التى تكونت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وهى الأمم المتحدة فى المقام الأول، أو المؤسسات العسكرية (مثل حلف شمال الأطلسى) قصد من إنشائها مواجهة معسكر أصبح فى ذمة التاريخ مثل حلف وارسو أو حتى للتدخل العسكرى والسياسى المباشر لتسكين مناطق التوتر فى العالم.

ومن الجدير بالذكر فى هذا السياق، أن هذا الخطاب كان ولا بد أن يطال الحركات الإسلامية الاحتجاجية فى العالم الإسلامى التى تنشُد مقاومة سيطرة هذه الطبقة وقيمها. والدول التى تساندها عبر منطوقات: مقاومة التطرف الإسلامى، مكافحة الأصولية المسلحة، احتواء ومقاومة الدول الراحية للإرهاب إلى آخر هذه المنطوقات التى يرددها الجناح الإعلامى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية بفعل قوته الكوكبية التى تسمح لمنطوقاته بالانتشار والتردد وتشكيل العقول على مستوى العالم .. ولذلك كما ذكرنا سلفاً كانت (العولمة) ونقصد بها هذا النوع من الخطاب الذى تردده الطبقة الرأسمالية عابرة القومية هى العدسات الجديدة التى ترى بها شئون العالم الإسلامى امتداداً للعدسات الاستشراقية والاستعمارية السابقة تركز على انتصار قطب واحد مهيم .. فهذه الطبقة الكوكبية لا تعادى الدول الإسلامية أو الحركات الإسلامية إلا بقدر ما تعادى هذه الحركات مصالحها وقيمها.

ولعل هذا ما انعكس على الخطاب الأكاديمى الذى يحاول أن يفهم هذه "الفوضى" السائدة فى عقد التسعينيات من القرن الماضى للألفية الفاتنة، ولعل عالم السياسة الأمريكى (جيمس روزناو) يعد الرائد الذى اقتحم علم العلاقات الدولية لكى يعيد صياغته فى ضوء علم الفوضى أو التركيب، وقد نشر نتائج أبحاثه فى كتاب هام عنوانه

(الاضطراب فى السياسة الدولية: نظرية فى التغير والاستمرار)، يعبر روزناو فيه عن فكرة رئيسية مفادها أن نظريات العلاقات الدولية التقليدية قد سقطت وأنها فى حاجة إلى إطار نظرى جديد، ولا يتردد الكاتب فى صك مصطلح جديد هو (السياسات ما بعد الدولية)، ودوافعه فى ذلك أننا نعيش عصر (الما بعد)، ما بعد الصناعى، وما بعد الحداثة، فما الذى يمنع أن نصوغ مصطلح السياسات ما بعد الدولية خصوصاً أن فى هذه السياسات لم تعد الدولة القومية هى الفاعل الرئيسى كما كان من قبل، وإنما دخل فاعلون آخرون لا يقلون أهمية من أبرزها الشركات دولية النشاط والجماعات التطوعية والجماعات السلافية واللغوية والدينية والتي ينزع بعضها للثورة على الدولة القومية ذاتها أو يتجه إلى الإرهاب لتفويض مؤسساتها<sup>(١)</sup>.

وليسبت المسألة فى نظر روزناو مسألة تغيير مصطلح بأخر قدر ما هى محاولة منهجية للإحاطة بجوهر النموذج المعرفى الجديد الذى يقترح تأسيسه والذى يقوم على فكرة التغير، وهذه الفكرة تقوم على أساس مفهوم آخر هو القطيعة التاريخية مع الماضى، ويعنى بذلك أن الظواهر الجديدة التى أصبحت تتحدى الحكومات والنظم السياسية مثل الإرهاب وعصابات المافيا الدولية، وشبكات الفساد، وعصابات المخدرات الدولية، وبيع الأعضاء وتحدى السلطة السياسية بوسائل مبتدعة، أصبحت ظواهر غير مسبقة تمثل فى الواقع درجة مغايرة وتحتاج بالتالى إلى إطار نظرى جديد لفهمها، وهناك أهداف محددة تهدف النظرية الجديدة إلى تحقيقها من أهمها:

- محاولة صياغة نظرية شاملة للسياسة الكوكبية.

- محاولة استخلاص معنى متماسك فى غمار الفوضى والاضطراب الذى يكمن وراء الأحداث المعاصرة.

---

(١) السيد يس: نظام الفوضى فى العلاقات الدولية، الأهرام، ١٦/١٠/١٩٩٧.

- تحاول النظرية تحديد الطرق والوسائل التي تبرز التغيرات العميقة التي أصابت السياسة الدولية.

وتحاول هذه النظرية أن تقاطع طرق التحليل التقليدية والاقتراب من السياسة والتغير على مستوى كوني من خلال مفاهيم جديدة، ويرى (روزناو) أن مظاهر هذا الاضطراب متعددة سياسياً واجتماعياً وأبرزها أزمة السلطة السياسية في عديد من الأقطار وانهايار الإجماع في مجتمعات كثيرة وتواتر الانقلابات الثورية واحتدام الصراعات الجيلية، وإذا بحثنا عن سمة أساسية تميز هذا الاضطراب الكوني لقلنا أنها عدم اليقين والذي ينعكس مباشرة على عملية صنع القرار السياسي والاقتصادي والثقافي.

وما يميز المواقف المضطربة: الاستجابات السريعة للأحداث والتي قد لا تكون مدروسة بالقدر الكافي فتؤدي إلى تعقيد المشكلات بدلاً من حلها، والتحالفات المؤقتة بين قوى سياسية سرعان ما تسقط وأخيراً الانقلابات في السياسات من النقيض إلى النقيض مما من شأنه أن يزيد من سرعة الأحداث وتلاحقها، غير أن الاضطراب مهما كانت سماته - وهذه نقطة هامة - لا يمنع من استخدام أداة تحليلية كما هو الحال في نظرية المنظمات خصوصاً حين تتسم البيئة بدرجة عالية من التركيب والديناميكية التي قد يكون من مؤشرات شدة الاعتماد المتبادل بين الفاعلين، وهو يركز على المستوى الجزئي فيدرس اتجاهات الأفراد والجماعات، وعلى المستوى الكلي ليحلل بنية المجتمعات من زاوية توزيع القوة وأخيراً على العلاقات بين المستوى الكلي والجزئي.

ويرصد فيليب لاسير أستاذ العلوم السياسية بجامعة باريس، عرض من أعراض غياب الحدود الفاصلة بين التحالفات فيما يقول "أن القطبية الثلاثية التي تظهر اليوم وتكاد تكون مستقبل القرن الحادي والعشرين أضلاعها الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا .. صحيح أن هناك تداخلاً في التحالفات يصعب معه فرز الأقطاب الثلاثة على نحو دقيق ولكن الصحيح أيضاً أن هناك مصالح اقتصادية وسياسية تكاد توجد هذا الفرز على نحو واضح،

فأسيا اليوم تتكسل بأوضاع اقتصادية وإدارية واجتماعية وسياسية تتحدى الغرب أو الولايات المتحدة على نحو خاص، وأوربا أيضاً تتشكل مصالحها الكوكبية بـصور لا تتفق تمام الاتفاق مع مصالح الولايات المتحدة خاصة مع انهيار الاتحاد السوفيتى السابق<sup>(١)</sup>.

وهذا التنظير للفوضى - فى نظرى - راجع لعدم إدراك أن آلية عمل التحالفات تتم على أساس اقتصادى صرف مكونة ما اصطلحنا على تسميته بالطبقة الرأسمالية عابرة القومية التى تتصارع فيما بينها فيظهر الصراع أحياناً كما لو أنه صراع بين الدول، وفى أى مجتمع تميل الجماعات السائدة إلى إخفاء الطريقة التى يعمل بها المجتمع، ولذا يجب على المحللين الصادقين أن يدقوا جرس النقد، حتى يكون خطابهم بمثابة الأضواء الكاشفة لكيفية توزع القوى داخل المجتمع وديناميكية حركتها.

• • •

### أولاً : دور الطبقة الرأسمالية عابرة القومية فى تشكيل سياسة العالم المعاصر :

يرى بعض منظرى ما يسمى بالموجة الثالثة (موجة العالم ما بعد الصناعى، عالم المعلومات) أن الدساتير والمؤسسات والأطر السياسية والديمقراطية الموجودة الآن فى مجتمعات التكنولوجيا العالية وذات الإطار الليبرالى أصبحت عتيقة ومتهالكة وأنها بحاجة إلى مراجعة وإعادة نظر جذرية، بل أن هناك من يعتقد أن أفكار الديمقراطية وحكم الأغلبية والعدالة الاجتماعية قد باتت أفكاراً بالية لا تتناسب مع هذه الموجة، وفى هذا السياق كتب إلفن توفلر Toffler أن حكم الأغلبية لم يعد كافياً كمبدأ للشرعية فحسب وإنما أيضاً لم يعد بالضرورة مبدأ ديمقراطياً أو مطوراً لإنسانية البلدان التى تلج عصر الموجة الثالثة.

(١) فيليب لاسير: الشرق يتحدى والغرب يعترف بقوة التحدى، الأهرام، ١٩/١١/١٩٩٦.



## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

ويدعو توفلر إلى ما يسميه المبدأ الراديكالي الأول لحكومة الموجة الثالثة وهي سلطة الأقلية Minority Power حيث أصبحت الأقليات هي التي تقود عمليات الإبداع والتطوير والإنتاج، ومن هنا يحق لها أن يكون بيدها الحكم وعملية صناعة القرار، ولهذا فهو يعتقد أن ديمقراطية القرن الحادي والعشرين ستكون هي ديمقراطية الأقلية<sup>(١)</sup> وهو الاتجاه الذي تقوده الولايات المتحدة كأكبر مستفيد من الموجة الثالثة.

وهذا الاتجاه المعادى لديمقراطية الأغلبية والقيم والعدالة الاجتماعية هو ما رصده عالم الاجتماع الأمريكي (جيريمي ريفكن) حينما وصف مجتمع الموجة الثالثة ذى الإطار الليبرالى الحديث بأنه مجتمع الخمس (أى ٢٠% من السكان) الذى يستطيع فيه خمس السكان فقط العمل والإنتاج والاستهلاك والتمتع بمباهج الحياة أما الأغلبية الباقية التى تمثل ٨٠% من السكان فمصيورها التهميش والإهمال التام. وليس يخفى أن هذا النوع من التفكير الذى يدعو إلى حكم الأقلية ربما يمهد الطريق من الآن لانبثاق نازية جديدة من طراز حديث، وديكتاتوريات مودرن على مستوى عصر الموجة الثالثة، وهو الأمر الذى بدأت ترصد مخاطره وتحذر منه أوساط عديدة من المفكرين والكتاب فى البلدان الصناعية<sup>(٢)</sup>.

وإذا حاولنا أن نتقن بالمشهد لخارج حدود الولايات المتحدة، فيرى ويليام روبنسون Robinson أن الولايات المتحدة - وتحت ضغوط الاقتصاد الكونى - تميل إلى تطبيق ما يسمى بالديمقراطية قليلة التركيز Low-Intensity Democracy التى تهدف إلى تقليل حدة التوترات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تحدثها النخب غير الديمقراطية المتحالفة مع مصالح الولايات المتحدة (التي هى مصالح الرأسماليين الكبار بالأساس) وليس تطبيق ديمقراطية شاملة بالطبع.

(١) رمزى زكى: وداعاً للطبقة الوسطى، مرجع سابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

والشعار الذى ترفعه السياسة الأمريكية هو حفظ الاستقرار، ولكن الاستقرار هنا ليس استقرار الدول التى تتدخل فيها الولايات المتحدة بقدر استقرار المصالح الأمريكية الاقتصادية، كما حدث فى التدخل فى جواتيمالا (١٩٥٤)، شيلي (١٩٧٠-١٩٧٣)، جرانادا (١٩٧٩-١٩٨٣)، جامايكا (١٩٧٧-١٩٨٠)، كوبا (١٩٥٩ - حتى الآن)، بنما (١٩٨٨، ١٩٨٩)، نيكارجوا (١٩٧٩-١٩٩٠) والشعارات التى كانت ترفع موازية للاستقرار هى الخوف من الشيوعية (خاصة قبل انهيار الاتحاد السوفيتى السابق)، الحملة ضد المخدرات، رعاية المصالح الجيوسياسية ... الخ.

ولا يخفى أن لهذه السياسة الأمريكية جذوراً فى حقبة الحرب الباردة إذ يرى (بارنجستون مور) Moore أن الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية اكتشفت أنها تملك ٥٠% من ثروة العالم، وبها فقط ٦,٣ من سكانه وأنها لذلك مثار "حسد" دول العالم، ولحماية هذا الوضع رأى واضعو أسس السياسة الخارجية الأمريكية أن عليهم أن يستوقفوا عن الحديث عن رفع مستوى المعيشة، ونشر الديمقراطية قائلين أننا فى الوقت الذى سنكون فيه أقل مثالية ستكون عوائد ذلك أفضل لنا.

ولذلك فإن ما يسمى بالحكومات المتعددة أو Polyarchy هو خصيصة بنوية للمجتمع الكونى الناشئ، والذى تعتمد فيه هذه الخصيصة على جماعات صغيرة متحالفة فى الداخل، أو جماعات متضامنة فى الخارج تجمعهم المصالح الاقتصادية مثلما كانت "الأنظمة السياسية" غير الديمقراطية سندا للولايات المتحدة فى مرحلة الحرب الباردة.

وظهور المجتمع الكونى فى العقود الأخيرة يقدم الأساس العينى لتطبيق المفهوم الجرامشى للهيمنة Hegemony الذى كان صالحاً للتطبيق على مستوى الدولة فى مرحلة سابقة، إذ يمكن أن يُطبق الآن على مستوى أنظمة العالم التى تصنع لرؤوس الأموال ما يعرف بآلية الدخول Accessing حسب الأحوال إما بالديمقراطية أو بوضع أنظمة

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

شمولية ديكتاتورية وهو ما يخدم سياسة اقتصادية موازية للتحكم فى الأطراف وشبه الأطراف وهو نموذج جديد للعلاقات بين الشمال والجنوب فى القرن الحادى والعشرين<sup>(١)</sup>.

ولذلك يقرر ويليام روبنسون أن الاقتصاد الكونى هو المتغير المستقل، وأن الممارسات السياسية الكوكبية هى المتغير التابع، وتطوراً لفكرة جرامشى عن الهيمنة، فالهيمنة يمكن أن تمارس فى العلاقات بين الطبقات والعلاقات على المستوى القومى من خلال آليات الإجماع (الموافقة) أو القهر، والهيمنة (Hegemony) المطبقة فى مجال العلاقات الدولية هى آليات سياسية - عسكرية مباشرة أو اقتصادية غير مباشرة .. ولكن ليست مثل آليات السيادة أو Domination التى كانت تمارسها بريطانيا مثلاً على مستعمراتها فى القرن التاسع عشر، فتغير مفهوم القوة استدعى تغييراً فى مفاهيم تطبيقها<sup>(٢)</sup>.

وحتى ندلل على ما سبق يكفى أن نقول - نقلاً عن توماس داى Dye - أن السياسة الأمريكية يصنعها بضعة آلاف من أصل ٢٧٣ مليون أمريكى (٢٨٠ فى عام ٢٠٠٠)، هؤلاء الآلاف يقررون شئون الحرب والسلام، الأسعار والأجور، الاستهلاك والاستثمار، العمالة والإنتاج، القانون والعدالة، الصحة والرفاهية، التعليم والإعلام.

ولكن ما مستقبل العالم فى ظل عدم التيقن والاضطراب الذى يسوده، والذى تصنعه الرأسمالية الكوكبية على المستوى السياسى؟

يقرر جوزيف ناي Nye نائب وزير الدفاع السابق للشئون الخارجية فى إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون أن هناك ٥ بدائل مطروحة للنظام العالمى:

(1) William I. Robinson (ed.), **Promoting Polyarchy: Globalization, US Intervention and Hegemony** (New York: Cambridge University Press, 1996), pp. 1 - 10.

(2) Ibid., p. 12.

## ١ - الرجوع إلى عالم ثنائى القطبية :

فالنظام الذى أقامه لينين وستالين لم يكن باستطاعته العبور إلى الثورة الصناعية الثالثة التى كان فيها الاستخدام المرن للمعلومات هو المفتاح للنمو الاقتصادى الناجح، ولكن يمكن الرجوع لعالم ثنائى القطبية إذا تمكنت روسيا من إعادة هيكلة اقتصادها بما يسمح بوجودها - مرة أخرى - كقطب آخر.

## ٢ - تعدد القطبية :

وهو البديل الأرجح ولكن ليس على غرار القرن التاسع عشر، فهناك ٥ قوى مرشحة للتنافس فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة فروسيا تعاني من ضعف اقتصادها، والصين مازالت دولة نامية ، وأوروبا مساوية لأمريكا فى عدد السكان ولكن مازالت لا تستطيع التصرف كقوة عالمية موحدة ، واليابان لها قوتها الاقتصادية والتكنولوجية ولكن تفتقد للقوة العسكرية.

## ٣ - ثلاث تكتلات اقتصادية :

الأولى آسيوية تتجمع حول الين، وإسبانية نصف الكرة الغربى التى تتجمع حول الدولار، والثالثة أوروبا التى تتجمع حول اليورو أو المارك الألمانى، وليس هناك أية ضمانات لسيادة الولايات المتحدة فى سياق الحروب التجارية، وليست هناك حدود جامدة لهذه التجمعات التى تنفتح إحداها على الآخرين.

## ٤ - سيادة ثقافة قطب واحد :

فالولايات المتحدة واليابان وأوروبا الموحدة تنتج ثلثى إنتاج العالم والولايات المتحدة بمفردها لا يمكنها ممارسة الهيمنة.

## ٥ - الاعتماد المتبادل متعدد المستويات :

الذى يمكن بمقتضاه أن يتحقق انصهار القوة Diffusion of Power ولذلك فإن المستويات العليا للهيمنة ستكون الاقتصاد المتبادل التى لا تملكه الولايات المتحدة فقط<sup>(١)</sup>.

ولعل البديل الخامس هو الأقرب لفكرة طبقة كونية عابرة للقومية وهو البديل الذى يتحقق رويداً فى السنوات الأولى من الألفية الجديدة.

ولكن بماذا تحكم هذه الطبقة سيطرتها على مقدرات الأمور السياسية نسبياً فى ظل هيمنة قطب واحد هو الولايات المتحدة؟ .. هناك القوة العسكرية، والمنظمات الدولية للسيطرة على الصراعات الإقليمية بعد تدهور الدولة القومية، وكذا خطاب الديمقراطية الموازى الذى يتحقق به غطاء للمصالح الاقتصادية.

## ١ - القوة العسكرية والتفوق التكنولوجى:

لعل أبرز مثال على ذلك ما نشره جوزيف ناي Nye، الرئيس الأسبق لمجلس المخابرات الوطنى ونائب وزير الدفاع للشئون الخارجية فى عهد إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون والادميرال أوينز Owens نائب رئيس الأركان السابق فى إدارة الرئيس كلينتون أيضاً تحت عنوان (ميزة أمريكا المعلوماتية) فى دورية (شئون خارجية).

يتحدث الكاتبان عن الميزة النسبية للولايات المتحدة بجانب القوة العسكرية والإنتاج الاقتصادى الكبير، وهى القدرة على جمع وتشغيل واستخدام وتوزيع المعلومات.. وهى الميزة الموروثة من الحرب الباردة وانفتاح المجتمع الأمريكى، وتكنولوجيا تشغيل المعلومات المتمثلة فى المتابعة الفضائية بالأقمار الصناعية، البث المباشر، والحاسبات فائقة السرعة والتى لها القدرة على تكامل نظم معلوماتية معقدة.

(1) Joseph Nye, *Understanding International Conflicts: An Introduction to theory and History*, (New York: Harper Collins College Publications, 1992), p. 283.

## العلومة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وهذه الميزة المعلوماتية لها القدرة على ردع وهزيمة التهديدات العسكرية بتكلفة قليلة نسبياً. ففي عالم تغيرت فيه معنى كلمات الاحتواء والمظلة النووية والردع التقليدي يمكن للميزة المعلوماتية أن تقوى الرابطة المعرفية بين سياسة الولايات المتحدة الخارجية والقوة العسكرية وتقدم طرقاً جديدة لحفظ القيادة للتحالفات. وقد اسمى الكاتبان هذه القوة (بالقوى الرخوة) Soft power التي يمكن لمصادر المعلومات أن تربط الصين أو روسيا والقوى العسكرية الكبيرة في حوارات امنية لمنعهم من سلك سلوك عدائي أو منع قوى عدائية مثل إيران أو العراق من أن تصبح قوة مهددة.

زيادة على ذلك، يمكنها أيضاً مخاطبة الديمقراطيات الجديدة والشعوب الواقعة تحت حكومات غير ديمقراطية وكذا يمكنها المساعدة على حل الصراعات الإقليمية أو منعها فضلاً عن التعامل مع مخاطر ما بعد الحرب الباردة مثل الجرائم الدولية والإرهاب ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل وتدمير البيئة الكوكبية. ويقدم ناي وأوينز تدليلاً على أهمية القوى الرخوة بقولهما "وإن كانت المقاييس التقليدية لقوة الدولة مثل القوة العسكرية والنتاج القومي الإجمالي، مصادر الطاقة، عدد السكان، مساحة الأرض، ستظل هامة لكنها لم تستطع التنبؤ بسقوط الاتحاد السوفيتي الذي تمتع بكل ما سبق وافتقد للقوة الرخوة.

والتحول الكيفي في قدرة الولايات المتحدة الأمريكية يكمن في التعامل مع بيانات قتالية مختلفة سواء كانت صحراوات أو أحراش أو غابات أو مناطق سكنية عن طريق تطوير نظم التحكم والقيادة وتكنولوجيات الاتصال لنقل صورة عن بيئة القتال يمكن للجيش استخدامها في التو.

ويضيف ناي وأوينز متنبئين أن المناخ السياسي والاقتصادي والتكنولوجي موات لتعظيم دور الولايات المتحدة في استخدام (القوة الرخوة) لإحراز قدراً كبير من القبول للأفكار والثقافة الأمريكية وكذا نماذج مؤسساتها الاقتصادية والسياسية فضلاً عن طرق

بناء شبكات اتصالها .. "ومن ثم إقناع كل ممن لا يرى فى كل أوجه الثقافة الأمريكية مجالاً جذاباً كالأصوليين الإسلاميين" (١).

ولعل النص السابق هو نص دال على "العدو" أو "الأعداء" المحتملين للولايات المتحدة التى يجب أن تسود فى مجال "القوة الرخوة" حتى تقنع أو تقمع من تسول له نفسه عدم الإعجاب بأوجه الثقافة الأمريكية. وذكر "الأصوليين الإسلاميين" من قبل ناى وأوينز يحدد هوية الرافضين لهيمنة الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وقيم ثقافتها.

● ● ●

## ٢ - المنظمات الدولية :

### أ - الأمم المتحدة :

كان للولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتى السابق عظيم التأثير على قرارات الأمم المتحدة طوال عقد التسعينيات، ومارست الولايات المتحدة الكثير من الضغوط على سكرتارية الأمم المتحدة لاسيما فى عهد بطرس غالى، سكرتير عام الأمم المتحدة فى الفترة من (١٩٩١ - ١٩٩٦) وامتدت الضغوط لعدم تمديد فترة ثانية له، فيما فهم الدرس جيداً كوفى عنان السكرتير الحالى للأمم المتحدة الذى اعتبر نفسه منفذاً فقط لصراع القوى الكبرى فيها. ويمكن رصد تأثير الولايات المتحدة فى عدة مجالات :

- مبادرة الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوس عام ١٩٩٠ لتعظيم دور الأمم المتحدة فى تقديم "المساعدات الانتخابية" بقرار الجمعية العامة رقم ٤٦/٣٧ بدعم كفاءة وجود انتخابات حقيقية فى أوقات محددة لا يمكن خرقها، وتشجيع تدخل الأمم المتحدة لتطبيق انتخابات حرة فى البلاد بمراقبة ومشاركة كبرى من الولايات المتحدة.

---

(1) Joseph S. Nye, Jr. & William A. Owens: *America's Information Edge, Foreign Affairs*. Vol. 75, No. 2, March - April 1996, pp. 20 - 36.

## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

● اقتراح الولايات المتحدة كل العقوبات الصادرة ضد العراق، وكذا اقتراحها قراراً بالسماح للعراق ببيع حصة محددة من نفطه مقابل ما يسمى بالسلع الإنسانية من دواء وحليب أطفال.

● الفيتو الأمريكي ضد قرار الجمعية العامة رقم ٤٦/٨٢ الذى يقضى بأنه لن يتحقق سلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط إلا بانسحاب إسرائيل من الأراضي التى احتلت عام ١٩٦٧ بما فيها القدس، وكذا الفيتو الأمريكى الذى يعترض على قرار الجمعية العامة الذى اعتبر ما تفعله إسرائيل فى القدس من ضم وتهويد عملاً باطلاً وغير مشروع، وكذلك معارضة الولايات المتحدة عام ١٩٩١ اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، بسعيها إلى إلغاء قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ الصادر بهذا الشأن عام ١٩٧٥.

● سعى الولايات المتحدة للسيطرة على أسلحة الدمار الشامل بعد انتهاء الحرب الباردة، فقد ساهمت الولايات المتحدة بشكل رئيسى فى تأسيس لجنة ( Objective Information on Military Matters) (OIMM) المنبثقة عن الأمم المتحدة لمراقبة عملية نزع السلاح النووى، وتدعيم الاقتراب الإقليمى لنزع السلاح فى إطار رعاية الأمن الكونى Global Security وربما تكون هذه هى المرة الأولى التى يذكر فيها كلمة (Global) فى سياق شأن سياسى واستراتيجى، وقد دعت الولايات المتحدة إلى عقد عدد من مؤتمرات نزع السلاح النووى، ومنع التجارب النووية، والسيطرة على الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وأسلحة الفضاء الخارجى، وهو ما يناقض توجهاتها العملية نفسها وتوجهات إسرائيل بالطبع.

● اهتمام الولايات المتحدة بالقضايا السكانية، وتركيز خطابها على الاستعمال الواسع المدى لوسائل منع الحمل، مساهمة بأكبر ميزانية فى مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٩٤، بحوالى نصف مليون دولار.



## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

• اهتمام الولايات المتحدة بمحاربة كل أشكال عدم التسامح الديني وقيادتها لـ (٢٥) دولة أخرى للتوصل إلى قرار رقم ١٩٩١/٦٣ الذي يوصى بحماية الحق في حرية الاعتقاد واعتناق الديانات المختلفة باعتباره جزءاً من حقوق الإنسان الأساسية<sup>(١)</sup>.

وبينما أعلنت الولايات المتحدة عقد التسعينيات باعتباره عقد الشرعية الدولية والقانون الدولي لفرض سيطرتها على الأمم المتحدة وتميرير القرارات التي يمكن تنفيذها، فارقست ذلك في بعض الأحداث عندما اكتشفت أن الأمم المتحدة كبيروقراطية دولية يمكن أن تعيقها عن الفعل السريع الحاسم، وهو ما جعلها تستخدم حلف شمال الأطلسي (الناتو) في العديد من المهام العسكرية التأديبية ضد العراق، يوغسلافيا وحتى منفردة دون اشتراك الناتو .. وذلك في مقابل غض النظر عما تفعله القطب الدولي المنهار (روسيا) لحماية مصالحها كما في شأن الشيشان.

### ب- البنك الدولي :

وقد استخدمت الرأسمالية الكوكبية عابرة القومية البنك الدولي (أكبر الجهات المانحة للقروض) استخداماً سياسياً، بالتركيز على انتصار الليبرالية كإطار سياسي، يتمي يجب قبوله وذلك بصك خطاب مثالي يرفعى حقوق الأقليات ويربطهم بعجلة التنمية دون أدنى حرج من القول بأهمية دعم النظم الشمولية في بعض الدول لأنها تحقق مصالح الأمم المتحدة، ولأن التغيير الديمقراطي فيها كفيل بمس مصالح الولايات المتحدة، وهو تعامل برامجتي سبق أن طبقته الولايات المتحدة بنجاح في شيلي والبرازيل<sup>(٢)</sup>.

وفيما يلي نعرض لأهم أطروحات البنك الدولي في هذا المجال :

(1) United States Department of State: **United States Participation in the United Nations**, Annual Report. 1992.

(2) The Stanley Foundation. **Change and Stability in the Middle East: How Do We Get There from Here ?**, Report of a Vantage Conference . September 6 – 8. 1991, pp. 10 – 18.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

يكن رصد الاهتمام بمفهوم المجتمعات المحلية على حساب الدولة في تقرير البنك الدولي عن رؤيته لدخول العالم القرن الحادى والعشرين إذ رأى البنك أنه إذا كانت العلامة تشكل اهتمامات الحكومات الوطنية بالقوى والأفكار والأحداث خارج الحدود، فإن المحلية تولى من شأن أفكار وآمال الجماعات الداخلية فى دولة بعينها من خلال اللامركزية والحضرية.

فيرى البنك أن قدرة الجماهير على المشاركة فى صنع القرار تطور مستوى معيشتهم وبالتالي تحقق لهم تنمية فعالة ولكن هناك عدد من الشروط التى يجب أن تضعها الحكومات فى الاعتبار عند تطبيق سياسة لا مركزية أهمها :

- أن اللامركزية عادة ذات دافع سياسى، وهدفها الرئيسى حفظ الاستقرار السياسى وتقليل النزاعات العنيفة عبر وضع مجموعة من الجماعات معاً فى عملية تفاوض، وطريقة التفاوض هو أساس نجاح المركزية.
- تغيير نظام الإدارة هو أساس نجاح المركزية ليس عن طريق تغيير طريقة الانتخابات المحلية فقط ولكن عن طريق وضع برامج توعية للجماهير المحلية.
- وفيما يتعلق بالحضرية Urbanization، فإن إيقاع تطبيق اقتصاد حديث يتزامن مع زيادة المدن، وعلى الدول ألا تنتظر حتى تصبح غنية لتطوير الخدمات الحضرية، فيمكن أن تصل لذلك عن طريق مراقبة أفضل لأداء القطاعات التالية :
- الإسكان : فى هذه القضية تحتاج لمشاركة القطاع الخاص والمؤسسات التطوعية والمحليات والمنظمات غير الحكومية.
- المياه : المدن الكبيرة تتحول للقطاع الخاص، وبالفعل تم تحويل توريد المياه فى مدن مثل بيونس أيرس، جاكرتا، مانيل للقطاع الخاص، ودور الحكومة هو تنظيمها وتشجيع المنافسة.

-الصرف الصحي : والحكومات غالباً لا تستطيع أن تتحمل التكاليف العالية للاستثمار فى هذا المجال فى المدن الكبيرة ولكن المحليات مع المساعدة التى تقدمها المنظمات غير الحكومية تحاول أن تطبق حلولاً يمكن تحملها مقدمة نموذجاً للجهود المستقبلية.

-النقل: التعليم العام والشراكة المبتكرة يمكن أن تقلل تلوث الهواء، ولكن الخطر الأكبر من المحتمل أن يأتى من تحديات النمو الحضرى وهنا يلزم جهود القطاعين العام والخاص<sup>(١)</sup>.

ويمكن رصد تداخل بين تطبيق بعض دول أوروبا الشرقية "الروشتة" البنك الدولي التى بمقتضاها منحها قروضاً، وبالتالي منحها استثمارات مباشرة من شركات متعددة الجنسيات وبين رعاية هذه الدول لمصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية ودخولها حلف شمال الأطلسى وربما تكون حالة (بولندا) هامة لدارس العلوم السياسية إذ كان هناك تزامن بين طلب الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش من البنك الدولي منح قروضاً سخية لبولندا، وبين بداية المناقشات حول دخول بولندا حلف الناتو<sup>(٢)</sup>.

ورغم مفارقة الخطاب السياسى للمجموعة الأوروبية الخطاب السياسى للولايات المتحدة فى عدد كبير من قضايا التسعينيات مثل الصراع العربى الإسرائيلى، الموقف من إيران، الموقف مما يحدث فى البوسنة وكوسوفو، والتدخل فى بعض مناطق أفريقيا كالصومال والكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً) فإن القوة الأوروبية كانت أعجز عن فعل أى شىء غير ما قرره الولايات المتحدة الأمريكية .. وفى هذا السياق تميز خطاب المملكة المتحدة (بحكم العلاقات التاريخية والعرقية والدينية مع الولايات المتحدة) بموافقة

(1) The World Bank Group: *Entering the 21<sup>st</sup> Century*. Op. Cit., pp. 1 – 17.

(2) Miles Kahler: *The International Political Economy in Charles W. Kegley*, The Global Agenda (New York: McGraw – Hill Inc., 1992), pp. 254 – 259.

الخطاب الأمريكى على عكس خطاب كلا من فرنسا وألمانيا، وهو ما سيوضحه المؤلف بالتفصيل حين مناقشة نتائج دراسة التدفق فى الفصل الثالث.

● ● ●

ثانياً : صراع الحضارات .. غطاء أيديولوجى للهيمنة الاقتصادية :

#### ١- نقد مقولة صراع الحضارات :

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق، تسارع إيقاع الصدمات العرقية والدينية فى العديد من بلدان آسيا وأفريقيا بل وامتد إلى أوروبا .. وقد كان من شأن بعض المنظرين الغربيين أنهم حاولوا أن ينظروا لما يحدث فى العالم من فوضى سياسية بعد إعلان فرنسيس فوكاياما-أمريكى من أصل يابانى- فى كتابه (نهاية التاريخ) عن انتصار الرأسمالية كنظام اقتصادى والليبرالية كنظام سياسى. تلاه مساهمة أستاذ العلوم السياسية (صمويل هنتنجتون) بمقال صراع الحضارات الذى نشر فى مجلة (الشئون الخارجية) Foreign Affairs عام ١٩٩٢ ثم طوره بد ذلك فى كتاب عام ١٩٩٥ تحت نفس العنوان.

وأطروحة هنتنجتون الرئيسية تتأسس على أن منطق الصراعات الإنسانية القادمة ستكون صراع بين حضارات، بين الحضارة الغربية التى تعرف نفسها على أنها يهودية مسيحية، يونانية رومانية من جهة، وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشيوسية من جهة أخرى .. فيما ستتنشأ أيضاً صراعات حضارية جانبية مثل الصراع الإسلامى - الهندوسى.

وهذه التصدعات العرقية هى حقيقة واقعة بالفعل ففى دراسة أجراها روبرت سلاتر Slater أستاذ العلوم السياسية بجامعة كلورادو انتهى إلى أنه :

أ- معظم دول العالم المستقلة (١٧٣) دولة لها تصدعات عرقية وإقليمية خطيرة.

ب- هناك أكثر من خمسة آلاف مجتمع محلي (أقليات ذات حكم ذاتي) تطالب باعتبارها أمة مستقلة أو على الأقل جماعة عرقية لها حقوقها السياسية الخاصة، و ٢٣٠ من هذه المجتمعات المحلية تشكل ١٧% من سكان العالم أى حوالى ٩٠٠ مليون نسمة.

ج- معظم الجماعات العرقية متمركزة فى منطقة أو مناطق إقليمية متضاربة ومتوزعة على أكثر من دولة، ومعظمهم فى أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

د- حوالى ٥٠ من هذه التجمعات الأخيرة (٢٣٠) بها إحياء دينى أو عرقى قوى، ١٤٢ تقوم بأعمال عنف سياسى ضد السلطات، وكذا هناك ١٦٧ تجمعاً به حركة احتجاج غير عنيف فى شكل مطالبات سلمية ومظاهرات.

وقد نقل سلاتر عن (ليس أسبين Aspin) عضو الكونجرس الأمريكى قوله أن هذا يُعد مظهراً من مظاهر عدم وضوح شكل العلاقات الدولية فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة "فنحن فى غابة بها مخاطر عديدة، مصادف خفية، مفاجآت غير سارة، وغموض أخلاقى، ففى عالم الأمس كان هناك الرجال الطيبون Good Guys، والرجال الأشرار Bad Guys، ولكننا الآن فى عالم الرجال الرماديين Grey Guys" (١).

وفى الحقيقة أن التغيرات الدراماتيكية العميقة التى أحدثتها مجموعة مترامنة من المحددات السياسية (سقوط الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية، انفراد الولايات المتحدة كقطب واحد مهيمن)، والمحددات الاقتصادية (تعاظم حجم الشركات متعددة الجنسيات، وتأثير البيروقراطيات الكوكبية الكبرى)، والمحددات التكنولوجية والاتصالية (الموجة الثالثة، ثورة المعلومات) قد أحدثت ازدواجية داخل المواطن الفرد، واتخذ الصراع

(1) Robert Slater, Conflict and Change in the International System in Robert Slater et al (ed.) : Global Transformation and the Third World, (Colorado: Lynne Rienner Publishers. 1993). pp. 311 – 315.

الموصوف بالصراع الطبقي طابعاً آخرأ، وأصبح صراعاً نفسياً ذا طابع ثقافى أو حضارى، ولذلك فإن المؤلف يرى ما يراه محمد سيد أحمد من أنه ليس هناك شىء قدرى فى صدام الحضارات، وما هو فى النهاية إلا شكل من أشكال ممارسة الصراعات الطبقيّة التقليديّة ولكن فى ظل تركيبات دولية ذات سمات متميزة<sup>(١)</sup>، وهو ما يتسق مع تحليلنا بأنها الطبقة الرأسمالية عابرة القومية والمتحالفين معها والطامحين للانتماء إليها.

ولعل هذا النقد هو الأهم بين الانتقادات الكثيرة التى نالتها نظرية صراع الحضارات التى ما هى إلا غطاء للصراعات الاقتصادية، ومن بين الانتقادات التى توضح آليات عمل الخطاب السياسى الأمريكى :

أ- وصف إدوارد سعيد صاحب أطروحة الاصطدام بين الحضارات بأنه غير أصيل فى أطروحته خبير فى علم تدبير الأزمات ومن ثم فإن أطروحته ليست إلا إحدى التداعيات التى تعيشها الإدارة العسكرية الأمريكية، وأضاف إدوارد سعيد بأن هذه النظرية تستمد أصولها من إطارين مرجعيين الأول يدخل فى سياق الاتجاه العام لفرنسيس فوكاياما، بول كيندى، كونور ريكرويز، إيريك هوبسباوم وغيرهم من انشغلوا بالبحث عن أسباب الصراعات المحتملة والمتوقعة فى المستقبل، والثانى يرد فيه إدوارد سعيد (مفهوم الاصطدام بين الحضارات) عند الاستشراق المعاصر وأعلامه شارل كروثمر، سرجى ستانكفنيش وبرنارد لويس.

ويرى إدوارد سعيد أن هنتنجتون قدم فهماً اختزالياً للإسلام ولغيره من الحضارات غير الغربية وهو بجمعه كل هذه الحضارات فى جبهة واحدة مقابل جبهة الغرب يعبر عن هويته من حيث أنه خبير لتدبير الأزمات وليس تلميذاً للحضارات وتاريخها.

(١) محمد سيد أحمد : عصر المراجعات، ظاهرة الانتماء لأكثر من طبقة، الأهرام،

١٩٩٨/١١/٢٤.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

ب- انتقاد ياماوتشى ماسويوكى أستاذ تاريخ الإسلام ورئيس قسم الدراسات الإقليمية بجامعة طوكيو، حيث يكشف عن التناقض بين توقعات هنتجتون بصراع حضارى مبنى على التكتلات الإقليمية الحضارية، وبين إقراره بأن العهد القادم هو عهد الحضارة (المعلوماتية والمعلومات) والتي من أهم خصائصها أنها حضارة عابرة للحدود والأقاليم والقارات وهى حضارة لا تتقيد بالمعنى الأنثروبولوجى للثقافة المبنى على الفواصل الواضحة بين الهويات والسيادات والحدود، كما يكشف ماسايوكى عن تناقض الخطاب الغربى بإدماجه لليابان ضمن الغرب خلال فترة الحرب الباردة فيما بدا يميل هذا الخطاب بعد التحولات العالمية الأخيرة إلى إخراج اليابان من الغرب من جهة والتخوف من إدخاله فى خانة حضارية أخرى بل يتم عزله - كما فى خطاب هنتجتون - ضمن حضارة / خانة مستقلة.

ج- انتقاد المصطفى الرزازى المصطفى بأن هنتجتون بحكم معرفته المتواضعة حول تاريخ الإسلام وحول علم الحضارات لم يستطع أن يتجاوز المفهوم الكلاسيكى للحضارة والذى من سماته أنه مفهوم استاتيكي، فمفهوم الحضارة الإسلامية مفهوم غير دقيق خاصة إذا ما تبيننا التعريف الذى يعطيه مستشرق لامع مثل مارشال هردسون للحضارة باعتبارها تجمعاً واسعاً نسبياً من الثقافات المترابطة التى ترافقت مع تقاليد متراكمة فى شكل ثقافة عالية على المستوى الدينى والحضرى .. فضلاً عن أن هناك تميزاً فى الحضارة العربية الإسلامية بين الفلسفة الإسلامية (المستمدة من البناء العقائدى للإسلام) وفلسفة البلاد الإسلامية أو المسلمة وفيها روافد خارج الإسلام.

وإن كان الرزازى مصطفى يقرر بأن هنتجتون قد أتى بكثير من المعلومات والملاحظات الدقيقة وأن كان هنتجتون كيفها وفق تحليل مسبق معين إذ أنه لم يقصد

التأريخ للوضع العالمى المعاصر بل استعجال رأى العام الدولى - والأكاديمى بالأخص - لدراسة حالة الأزمة التى يعانى منها المجتمع الدولى <sup>(١)</sup>.

د- ما رآه طلعت الشايب من أن كتاب هنتجتون (المطور عن المقالة) هو تواطؤ بين المعرفة والسلطة، وإسهام من مثقف أمريكى لتتوير السياسى الأمريكى كى يدير العالم فى المرحلة القادمة، من منطلق عدم الفصل بين الإسلام كحضارة والإسلام كدين ووصم الإسلام بالعنف وكأن مكونه الأساسى هو العداء للغرب، وحتى دون بيان للمعتدى والمعتدى عليه فى الأحداث التى ساقها <sup>(٢)</sup>.

ويضيف المؤلف أن الاهتمام بالشأن الإسلامى أو شئون العالم الإسلامى هو اهتمام سابق على انهيار الاتحاد السوفيتى السابق كما سيبين لاحقاً، وإن كان يعنينا هنا التأكيد على أن مقولة صراع الحضارات هى غطاء للصراعات والاحتجاجات الطبقيّة ذات الطابع الدينى (إسلامى - هندوسى .. الخ) والتى استشرت فى العالم بفعل العملية الكوكبية الدائرة على المستوى الاقتصادى فى الأساس.

ولكن بماذا تتحقق السيطرة الأمريكية على الفوضى التى أحدثتها محاولة السيطرة على العالم من خلال فعاليات الطبقة الرأسمالية عابرة القومية؟

تستخدم الولايات المتحدة فى ذلك قوتها الرئيسيتين : القوة العسكرية المسلحة بتفوق تكنولوجى تحرص على التميز فيه، ومن خلال المنظمات الدولية سواء كانت الأمم المتحدة أو البنك الدولى كآلية للتفاوض والمساومة لحماية الاستقرار الذى يحفظ الأسواق، فاستراتيجية الولايات المتحدة فى عقد التسعينيات تتجسد فى حصر الصراعات الإقليمية

(١) المصطفى الرزازى المصطفى: مرجع سابق، ص ١ - ١٨.

(٢) طلعت الشايب : هكذا تكلم صمويل هنتجتون ، سطور ، عدد (١٦) ، مارس ١٩٩٨ ،

ص ١٢ - ١٥.



حتى لا تمتد آثارها السلبية على أداء الشركات الأمريكية أو تعوق الوصول لمصادر الطاقة، وفى هذا الصدد يمكن أن تستخدم الولايات المتحدة الإقناع بالقدرة على تقديم عروض مغرية مقبولة لأطراف النزاع. إيجاد مصادر مالية لتمويل أطراف الصراع إن اقتضى الأمر، والقدرة على نقل مركز الثقل العسكرى من طرف لآخر، وهذا ما ظهر بنجاح فى السيطرة على أزمة البوسنة وكوسوفو بتسليح المسلمين، والحرص على التوازن بين تركيا واليونان<sup>(1)</sup>.

وسيعرض المؤلف نماذج للخطابات المعبرة عن ذلك.

## ٢ - الخطاب الأمريكى تجاه بلدان العالم الإسلامى فى التسعينيات :

يمكن رصد أساليب اقتراب الخطاب الأمريكى من تحقيق المصالح الأمريكية. والمؤلف فى هذا السياق يعنى بخطاب السياسيين والاستراتيجيين دون المستشرقين والباحثين فى شئون الإسلام :

فقد قرر معهد الدراسات الإستراتيجية القومية الأمريكى أنه من المحتمل أن تكون السنوات فيما بين ١٩٩٦ - ٢٠٠٥ فترة حاسمة بالنسبة للعديد من البلدان فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فجميع هذه البلدان لديها فائض سكاني كبير ومعدلات للنمو متدنية تهدد بالقضاء على مكاسب النمو الاقتصادى للعديد من الأقطار، وسيكون لمعظمها اقتصادات راكدة مرتبطة بسوق راكد للنفط أو عائدات متقلصة للعاملين فى الخارج.

وسوف تواجه بعض الحكومات مشكلات للخلافة تثير الاضطراب ، وربما سيكون الإسلام الراديكالى أو السياسى - استخدام الدين من قبل المسلمين الساخطين كأيدولوجية لصياغة برنامج للعمل السياسى - هو العامل الأهم الذى ينطوى على إمكانية لتقويض الاستقرار ومن المرجح أن تظل الحركية الإسلامية، سواء فى صيغتها

(1) William Zartman: *Changing Forms of Conflict Mitigation in Robert Slater et al*, Op. Cit., pp. 332 - 337.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

المعتدلة التوفيقية التى تسعى للعمل من خلال النظام أو فى صيغتها الأكثر تطرفاً وتشدداً التى تستخدم التهريب والعنف، الصوت الرئيسى للمعارضة السياسية فى المنطقة خلال هذه الفترة (١).

وفىما يتعلق بقضية الحركات الإسلامية الراديكالية فى العالم الإسلامى فحتى قبل مقال صمويل هنتنجتون الشهير (صراع الحضارات) كان هناك توجس أمريكى من الحركات الإسلامية فى الشرق الأوسط أن تحل محل الاتحاد السوفيتى السابق فى مناوأة المصالح الأمريكية فى منطقة الخليج خاصة.. ففى مؤتمر عقده مؤسسة ستانلى بولاية ميرلاند عام ١٩٨٩ عن مستقبل الشرق الأوسط انتقد معظم الحضور التطبيقات الجامدة للصور الذهنية للإسلام إذ أن هذا المنحى ليس فقط سيمنع تواجد فهم إيجابى عن الإسلام، ولكنه يمكن أن يخلق رضا عن النفس يعود بنتائج غير مرغوبة على المصالح الأمريكية، وهو ما سيجعل هذه الحركات مدركة أيضاً لعداء الولايات المتحدة .. وعندما يتحول الصراع إلى المواجهة فإن الساسة والمتورين سيختفون وسيحل محلهم الهمجيون والمقاتلون .

فالجماعات الإسلامية مختلفة فى تأويلها للدين وتطبيقاته السياسية التى يمكن أن تتبع من معتقداتهم ولذا من المهم أن تدعم النخب الأمريكية معلوماتها عن هؤلاء القادة والتمثلات السياسية لحركاتهم.

ويوصى تقرير المؤتمر أن يتم الاتصال بالإسلاميين وإفهامهم أن الولايات المتحدة غير معادية لهم إلا بقدر معاداتهم لمصالحها وأن الولايات المتحدة تدعم حقهم فى المشاركة السياسية فى أقطارهم، ولعل هذا يفسر حوار الولايات المتحدة مع عباس مدنى

---

(١) معهد دراسات الاستراتيجية القومية بالولايات المتحدة: الراديكالية فى الشرق الأوسط، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية، سلسلة (ترجمات استراتيجية)، عدد (١١)، السنة الثانية، يوليو ١٩٩٧، ص ص ٢٥ - ٢٨.

## العوامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

قيادى جبهة الإنقاذ الإسلامية فى الجزائر وإيواءها للشيخ المصرى عمر عبد الرحمن وكذلك ينطبق ذلك على دعمها للسعودى المنشق أسامة بن لادن قبل انقلابه عليها<sup>(١)</sup>. ويمكن حصر أهم محاور الاهتمام الأمريكى خلال العقد الأول من القرن الحادى والعشرين فيما يلى: <sup>(٢)</sup>

### أ- الوصول إلى النفط وخطوط الاتصال الاستراتيجية :

تحدد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط فى تأمين وصول لا تعترضه عوائق لمصدر طاقة يكون رخيصاً نسبياً ويمكن الاعتماد عليه، وهو النفط أساساً والمحافظة على خطوط الاتصال مفتوحة وأمنة، وتتمثل فى الطرق البحرية الرئيسية كمضيق هرمز ، وقناة السويس. لكن الخطاب الأمريكى يحدد صراحة أن هناك شكوكاً فى أن تكون الليبرالية السياسية والاستقرار متلازمان فى الشرق الأوسط لأنه قد يجلب قوى إسلامية معادية لأمريكا وإسرائيل وبهذا تصبح سياسة غير عملية لأمريكا ولذلك يجب ألا تشجع أمريكا الديمقراطية فى الدول الصديقة ذات الأنظمة المحافظة. وإن كان هناك رأى آخر يشجع العملية الديمقراطية لأنها على المدى الطويل ستحدث تجزئة للقوة الإسلامية وتسلبها قوتها على الحشد العدائى تجاه أمريكا وكذلك فإن العملية الديمقراطية ستجعل بقاء قوة واحدة فى السلطة أمراً مستبعداً .. لأن الاحتفاظ بأنظمة قمعية لها شرعية غير مجد على المدى الطويل.

### ب- توازن القوى الاقتصادى :

إن الولايات المتحدة فى سباق شديد التنافس مع البلدان الأوربية والآسيوية من أجل

---

(1) The Stanley Foundation . **Changing and Stability in the Middle East** , Op . Cit., pp. 10 - 18.

(٢) معهد الدراسات الاستراتيجية القومية بالولايات المتحدة: الراديكالية فى الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ص ٢٥ - ٢٨.

## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الوصول المتزايد للأسواق المحلية المريحة، ومن أجل تجارة وفرص استثمار في مجال الأعمال متوسعة، ومن أجل مبيعات السلاح. وروسيا جزء من هذه المعادلة رغم أنها لا تتمتع بالقوة التنافسية ولا الأيديولوجية التي استطاع الاتحاد السوفيتي تعبئتها خلال الحرب الباردة.

### ج- عملية السلام :

إن تأييد إنهاء حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل من أجل الإنهاء الناجح لمفاوضات السلام، يأتي في مقدمة أولويات جداول أعمال رؤساء الولايات المتحدة طيلة العقود الماضية ويستمر في العقد الأول من القرن الحالي.

### د- عزل الدول المنبوذة أو المارقة :

إن للولايات المتحدة مصلحة في عزل الحكومات الإقليمية التي تدعم الإرهاب الدولي وتهدد الاستقرار الإقليمي وتسعى وراء أسلحة الدمار الشامل المقبوضة للاستقرار وهدف الولايات المتحدة هو إرغام هذه الحكومات على تعديل سلوكها غير المقبول، وإضعاف قدرتها على إحداث أضرار بالمصالح الأمريكية.

ربما يقرر منظرو العلوم السياسية أن بداية الاحتواء المزدوج للعراق وإيران قد بدأ حتى قبل غزو العراق للكويت (وربما بسبب هذه السياسة حرصت الولايات المتحدة العراق لغزو الكويت). حيث أن الاستراتيجية الأمريكية عام ١٩٨٩ أنبنت على إدراك أن العراق خرج من حربه مع إيران وهو قوة عسكرية كبيرة، وكذلك كانت هناك شكوك من تكوين مجلس التعاون العربي مع مصر والأردن واليمن الشمالي في ذلك الوقت وكذا كان من الملاحظ أن العراق يمد بصره إلى جزيرة بوبيان الكويتية التي ربما تكون إضافة للميناء الوحيد على الخليج في (أم قصر). ومنذ وقت مبكر اقترح المنظرون الأمريكيون تحت عوامل ضعف كثيرة اعترت الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه توجه القوة الأمريكية

العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

للحذر من القوى الإقليمية في الخليج وحل مشكلة شط العرب، وإعادة تقييم التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة، واحتواء انتشار أسلحة الدمار الشامل في منطقة الخليج وكذا الأسلحة التقليدية المتقدمة<sup>(١)</sup>.

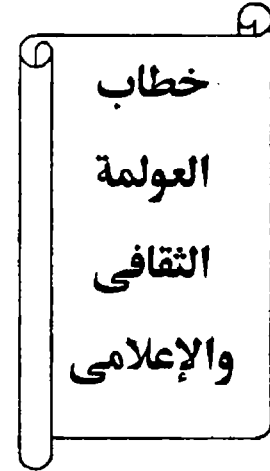
والنصوص السابقة تكشف عن دور الخطاب السياسي في كسح الألغام السياسية التي يمكن أن تعوق مركبات الطبقة الرأسمالية عابرة القومية إلى أسواق العالم الإسلامي من خلال تحديد أية أنظمة أو جماعات تتناقض مصالحها مع مصالح هذه الطبقة.

• • •

---

(1) The Stanley Foundation: US Policy in the Persian Gulf: New Beginnings, Vontage Conference, Queenstown, Maryland, April 13 – 15 1989, pp. 1 – 5.

يعالج هذا الجزء من الفصل العوامل التى ساعدت على أفول المناخ الدولى المطالب بنظام إعلامى دولى متوازن بعدها يناقش أهم آليات العولمة الإعلامية المتمثلة فى تركيز ملكية المؤسسات الإعلامية الكبرى فى العالم واندماجها مع شركات الاتصالات والبرمجيات، وكذلك شبكة الإنترنت وتجلياتها الثقافية والحضارية، ويناقش بعدها فى نهاية هذا الجزء أهم مظاهر العولمة الثقافية والإعلامية المتمثلة فى سيادة ثقافة ما بعد الحداثة.



• • •

من بين الأشياء الهامة التى تنبأ بها هربرت شيلر تعاظم الصراع حول الاتصالات الإعلامية والثقافية على الصعيدين الوطنى والدولى بين أولئك الذين ينشدون وضع حد للهيمنة (وكان يقصد بها هيمنة رأسمالية الثمانينيات) وبين أولئك الذين يسعون للإبقاء عليها<sup>(١)</sup>.

وكما قدمنا سلفاً فإن الرأسمالية الكوكبية فى عقد التسعينيات، تقدمت خطوات واسعة تجاه تحقيق هذه الهيمنة التى تضمن بها سهولة عمليات الاندماج والتشبيك وحفظ نسق القيم -الاستهلاكية بالأساس- التى تضمن أن تتم هذه العمليات بأقل قدر من المعارضة ولذا كان الجناح الإعلامى والمعلوماتى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية شديد الفعالية فى حفظ الهيمنة من خلال تكوين شركات إعلامية عملاقة عابرة للقومية أو متعددة الجنسيات، ومن خلال السيطرة على محتوى هذه التجمعات العملاقة وضمان تدوير هذه المحتويات

(١) هربرت شيلر: الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة: وجيه سمعان، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣)، ص ١٣.

عبر الفضاء الكونى لا من خلال الحكومات التى كانت تتحكم إلى حد ما فى المحتوى القديم ولكن رأساً إلى مستهلكها فى العالم الثالث وما كان يعرف سابقاً بالعالم الثانى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق، ولما كانت اللغة من أهم عوائق تحقيق هذه الهيمنة فقد تكفل التركيز على الصورة ذاتها كوسيط فى تغيير آليات تحقيق السيطرة من آليات الإقناع إلى آليات الحقن والتأثير المباشر.

وقد زادت هذه الهيمنة بفضل السيطرة على خطاب المؤسسات الدولية التى كانت تسعى لتأسيس نظام إعلامى عالمى جديد مثل اليونسكو، بفضل فشل دول الجنوب فى تحقيق أى تجمع قوى مؤسس من الحكومات أو رجال الأعمال لمعادلة أو على الأقل تقليل هيمنة الشمال، وحتى هذه التعبيرات أصبحت قديمة، إذ تم "عولمة" الدول، وإدماج رجال الأعمال المحليين فى العالم الثانى والثالث الأمر الذى لا يسمح عملياً بتجمعهم حول أمر لايحقق لهم أى مصلحة.

فعلى حد تعبير مجيد تهرانيان وكاترين تهرانيان، تحولت القرية الكوكبية التى بشر بها مارشال ماكلوهان إلى إقطاعية حديثة، بها قلعة غنية ومحصنة (مراكز العالم الصناعية والمالية والإعلامية) محاطة بمزرعة واسعة يعيش فيها الفلاحون المعدمون الذين يصرخون طلباً للحياة والاعتبار (هوامش العالم)<sup>(1)</sup>.

أما اليونسكو فى عصر العولمة فقد نسي "أجندته" السابقة أو تناساها، نسي أو تناسى الحق فى الاتصال، السيطرة عبر القومية على وسائل الإعلام فى العالم، حقوق ومسئوليات الإعلاميين، سياسات الاتصال الوطنية، وأصبح يركز على التدفق الحر للمعلومات وخفض ميزانيات البحوث على حساب ميزانية المؤتمرات والندوات التى تدعو لإفادة العالم الثالث من التقنية الجديدة ودورها فى التنمية وتزامن التوسع فى البث المباشر

(1) Majed Tehranian and Katherine Kia Tehranian, *Taming Modernity: Towards a New paradigm in Ali Mohammadi (ed.): International Communication and Globalization* (London: Sage Publications, 1997), p. 164.

عبر الأعمار الصناعية مع تصريح مدير اليونسكو فردريكو مايور عام ١٩٨٨ بأن اليونسكو يجب أن ينأى بنفسه كمنظمة دولية عما كانت تروجه دول العالم الثالث والكتلة الاشتراكية من نظام جديد للإعلام قائلاً "هذا بيت الحرية، ولا نستطيع أبداً أن نعمل ضد دستورنا .. مهمتنا ضمان تدفق حر للمعلومات" <sup>(١)</sup> وبعد سنوات قليلة - وتحديداً في أعقاب مشروع الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش الذى بشر بنظام عالمى جديد تم صك مصطلح آخر هو NWICO النظام العالمى الجديد للمعلومات والاتصال الذى كانت منطلقاته هى عين منطلقات صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية من حيث الاندماج والتشبيك وتعظيم دور التقنية فى نقل محتويات وسائل الإعلام لدول العالم الثالث.

ومع استدارة منتصف التسعينيات تم نقل مركز الثقل الذى تناقش فيه القضايا الإعلامية والمعلوماتية من اليونسكو إلى هيئات أخرى مثل منتدى دافوس الاقتصادى، ومع تعاظم العملية الكوكبية الاقتصادية لم يعد صاحب الأمر رجال الدولة أو الساسة ولا العلماء والمفكرين، وإنما أصبحت النواة الداخلية الصلبة للفاعلين هم رجال المال والأعمال أصحاب ومدراء الشركات الكوكبية العملاقة حول طليعتهم فى المؤسسات المعنية بالمعلومات.

ولذلك لم يكن مستغرباً أن يكون نجم منتدى دافوس لعام ١٩٩٧ هو (بيل جيتس) مدير شركة مايكروسوفت الذى قدمه المدير التنفيذى لمنتدى دافوس كلود سمدوجا على وزراء الاقتصاد والمالية وأسائدتهم، والذى - أى بيل جيتس - جاء خطابه موائماً لخطاب العولمة الاقتصادى الذى قدمنا شرحه، ولرؤيته هو ذاته فى كتابه ( The World Ahead) أو مستقبل العالم باعتبار "أننا على أعتاب مرحلة جديدة غير مسبقة تغير فيها

(١) مايكل تريبر، كارل نوردنسبرج (محرران): أصوات قليلة وعوالم كثيرة، (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٤)، ص ص ٥ - ١٠.



## العلومة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

التكنولوجيا وجه الاقتصاد والسياسة ومن ثم حياة الناس بشكل ثورى غير مسبوق وعلى العالم أن يجنى ثمار هذه الثورة بقبول أفكارها ونسق قيمها الأدائي، فى الوقت الذى تمثل فيه منظومات القيم الأخلاقية والمعايير الموضوعية العلمية فى إطار مختلف الحضارات والأديان والأنظمة الفلسفية سلفية لا بد من الإطاحة بها لو أراد الإنسان الجديد أن يدخل عالم الجنة الجديد بشرط أن يرضى بدوره تابعاً ومنفذاً وأداة، لا مفكراً وصاحب قرار وفاعلاً فى عملية صياغة العالم الجديد<sup>(١)</sup>.

وفسيما يلى سيعرض المؤلف أهم آيتين إعلاميتين للعلومة وهما الشركات الإعلامية الكبرى وتركيز ملكيتها ، وشبكة الإنترنت ، فيما سيشرح بعد ذلك أهم مظهر ثقافى - إعلامى للعلومة ألا وهو سيادة ثقافة ما بعد الحداثة.

● ● ●

### أولاً : الشركات الإعلامية الكبرى وعصر « الديجيتال » :

كانت شركات صناعة الإعلام والمعلومات على وعى بالتحول الصناعى الذى بدأ عام ١٩٩٣، إذ كانوا فى انتظار ما يسمى بالتحول / الانقلاب التكنولوجى Technological Convergence، والذى يتلخص فى التداخل الراهن بين التلفزيون والتليفون والكمبيوتر والمضمون فى صناعة وتكنولوجيا واحدة. فقد بدأت شركات الإنترنت فى شراء أنظمة التلفزيون الكابلى، واختبرت شركات الكابل طرق لحمل وتوصيل المكالمات التليفونية، فيما كانت شركات الكمبيوتر تفكر فى الطرق التى تضع فيها المنتج الفيديوى على شاشاتها فى الوقت التى فكرت فيه صناعة السينما فى هوليوود فى بيع أفلامها من خلال خطوط التليفون<sup>(٢)</sup>.

ويقرر كيفين مانى Maney أن أول تلك المحاولات الاندماجية كانت بين شركتى

---

(١) أنور عبد الملك: الجبال والرمال، الأهرام، ١٩٩٧/٢/٢٥.

(1) Kevin Maney. Megamedia. (New York: John Wiley & Sons Inc., 1995). pp. 11 - 20.

بيل أتلانتيك (أكبر شركة تليفونات أمريكية بعد AT&T) وشركة TCI أكبر شركة أمريكية لتلفزيون الكابل، وتلى ذلك إعلان شركة Pacific Telesis لخدمات الاتصالات أنها ستمول مشروع يبلغ تكلفته ١٦ مليار دولار لبناء شركة معلومات فيديو في كاليفورنيا، بعد ذلك تنافست شركتا فياكوم، QVC لخدمات تلفزيون الكابل على شراء استوديوهات شركة بارامونت وهي المعركة التي كسبتها فياكوم، وكذا اندمجت شركتا: South Western Bell مع الذراع التلفزيوني لمجموعة Cox للإعلام ومع عام ١٩٩٥ كان السباق محموماً على ما يسمى بالطريق السريع للمعلومات، وبسرعة خرافية.

وقد حدثت هذه الثورة بفعل شيئين أساسيين: التكنولوجيا الرقمية، والشبكات ذات الحيز الواسع Broadband Networks فالتكنولوجيا الرقمية - ببساطة - تقرأ المعلومات على شكل سلاسل من الأحاد والأصفار ١'s - 0's على النقيض مع الطريقة الميكانيكية القديمة Analog التي تقرأ البيانات كموجات مختلفة الطول، وبدأ نجاح تطبيقات التكنولوجيا الرقمية في مجال سماع الموسيقى على الكمبيوتر باستخدام CD's الاسطوانات الممغنطة التي تسجل عليها الموسيقى في مسارات Tracks، وفي مجال مشاهدة الفيديو على أقراص DVD ثم بدأت كل الشركات العاملة في مجال الموسيقى والأفلام والألعاب الفيديو والكتب والمجلات، والتليفونات تلجأ للطريقة الرقمية، تدعم القفزة الهائلة في مجال إنتاج البرمجيات المستخدمة لتشغيل وقراءة كل هذه المنتجات الإعلامية، كما أتاحت التكنولوجيا الرقمية الفرصة لضغط حيز إرسال المحطات التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية ليستوعب حيز صغير عدد كبير جداً من المحطات التلفزيونية (٨ بدلاً من ١ في نظام Analog).

وفي عدة أشهر قليلة كان هناك كثير من التباديل والتوافيق، الفك والارتباط، لهاث وراء أعلى مصلحة وعائد تجارى يحققها مدراء تنفيذيون كرسوا وقتهم وجهدهم وذكائهم لتحقيق أعلى ربحية فيما يسندهم جيش من العاملين في مجال البرمجيات لخدمة هدف

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

واحد: كيف يصل المنتج سواء كانت سلعة أو خدمة عبر الإعلان لأكبر عدد من المستهلكين المحتملين؟!

أما الخطاب المعلن فكان (تغيير وجه العالم ونمط الحياة)، (التجديد) (All - in - one أو جهاز واحد يعمل كل شيء)، البقاء مسترخ في منزلك وكل المعلومات تجئ حتى أطراف أصابعك)، وبالطبع شعار (كيف تستطيع أن تكسب من التجارة عبر الإنترنت)، وهي كلها عبارات تعبر عن خطاب صحيح بالفعل ولكن :

- يقدم وجهاً واحداً من الحقيقة وينسى أوجه عدة خاصة تلك المتعلقة بالملايين التي تدخل جيوب المشاركين / المندمجين.

- لا يعنيه نوعية المنتج وقيمه وأخلاقياته .. فعلى سبيل المثال كان المضمون الذي ركز عليه جون سكالي Sculley رئيس شركة (أبل) للكمبيوتر في مشروعات اندماجها المحتملة هو: الطرق التي يمكن أن تغير موديل السيارات، كيف يتواعد الشبان والشابات، أين يسكن الناس؟<sup>(١)</sup>.

وقبل موجة الاندماج الكوني الحالية لو، ائلل الإعلام التي بدأت باندماج شركتي أمريكا أون لاين، تايم وارنر، كانت هناك موجة سابقة في أواخر عام ١٩٩٦ وبداية عام ١٩٩٧ ربح فيها بعض من عمالقة الإعلام مثل ديزني، وتايم وارنر بعد الاستعانة ببعض شركات التليفون مثل AT&T وشركات الكابل مثل TCI فيما بقيت شركات مثل NBC، CBS بعيدة عن هذا المضمار في الوقت الذي صعدت فيه شركة كبرى في التسعينيات هي Viacom والتي اعتبرت لاعباً أساسياً في مجال عولمة وسائل الإعلام<sup>(٢)</sup>.

(1) Ibid, pp. 339 - 341.

(2) Edward S. Herman & Robert W. McChesney. *The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism* (London: Cassell Inc., 1997), p. 68.

ويرى كيفين مانى Maney - بناء على استقصاء أجراه مع عدد من المديرين التنفيذيين، والمحليين الاقتصاديين، والمستهلكين والمنظمين ومطوري التقنية - أن هناك رابحون وخاسرون فى هذا السباق الإعلامى الكونى المؤسس على الاندماج، وجاءت النتائج أن الرابحون هم شركات: AT&T، والت ديزنى، موتورولا، هيوليت باكارد، TCI، والخاسرون هم: Pacific Telesis، Sprint، Direct TV، Apple، QVS، وذلك لعجزها عن الوصول "لاندماجات مبتكرة" وقد لخص الخطاب الذى تعمل تحته هذه الشركات فى: (١)

- الاندماج الرأسى لن يحقق شيئاً، ولابد من الاندماج الأفقى مع شركات عاملة فى مجال تكنولوجيا التليفون والكمبيوتر الجديدة.
- مازالت الأسماء الكبرى مجال حرب مستعرة، وهو ما يخرج الشركات الصغيرة من المنافسة.
- استمرار جنون الاتفاقات.
- استمرار النقاش حول إشكالية تنظيم هذه الكيانات العملاقة.
- تجاهل الميديا العملاقة لرأى الجماهير وهو ما حذر منه نقاد الإعلام.
- استمرار سيطرة الولايات المتحدة وشركاتها التى ترفع شعار (Kick Butt) .. [وهو ما يثبت أن ركل المؤخرة ليس تعبيراً يستخدمه فقط العسكريون الأمريكيون .. ولكنه انتقل لمجال البيزنس أيضاً].

ويمكننا تقسيم تجمعات وسائل الإعلام الكوكبية الكبرى إلى فئتين :

---

(1) Kevin Maney. Op. Cit., pp. 339 - 351.

- المستوى الأول : وهم العشرة الكبار فى مجال الإعلام الكونى، وأكثر قدرة على الاندماج الابتكارى.
- المستوى الثانى : وهى الشركات الأقل حجماً .. والأقل فرصة فى التوسع بالاندماج.

#### ١- شركات المستوى الأول :

##### أ ) تايم وارنر - أمريكا أون لاين :

هى أكبر شركة إعلامية فى العالم بمتوسط مبيعات ٢٥ مليار دولار سنوياً، تأسست تايم وارنر عام ١٩٨٩، وقد قويت بعد اندماج محطة CNN معها عام ١٩٩٨ ثم شرائها مسن قبل شركة أمريكا أون لاين عام ٢٠٠٠، وتملك بعض الشركات اليابانية مثل توشيبا، أوتشن ٥,٦ من مجمل أسهمها، وتمتلك هذه الشركة / التجمع الآتى :

- ٢٤ مجلة على رأسها تايم، بيبول، الرياضة المصورة.
- ثانى أكبر مجموعة لنشر الكتب على رأسها Time Life Book.
- مجموعة وارنر الموسيقية التى تعتبر أكبر شركة للإنتاج الموسيقى فى العالم.
- استوديوهات تايم وارنر السينمائية التى تتمتع بنسبة ٢٥% من حجم المشاهدة فى الولايات المتحدة فضلاً عن امتلاكها ١٠٠٠ دار للعرض حول العالم.
- ٥٠% من أسهم شركة DC Comics ناشرة سلاسل باتمان، سوبر مان، فضلاً عن ٦٠ عنوان آخر.
- أكبر محطتى لتلفزيون الكابل فى أمريكا: Cinemax, HBO.
- مجموعة حدائق (وارنر).

- ١٥٠ محلاً لبيع منتجات (تايم وارنر).
- تمتلك أكبر مكتبة أفلام فى الولايات المتحدة والعالم حوالى ٦٠ آلاف فيلم، ٢٥ ألف برنامج تليفزيونى.
- محطات TNT, CNN فضلاً عن محطات N. TV الألمانية Sky Network النيوزلندية، VIVA الأوروبية، Classic V الموسيقية الآسيوية.
- وتمتلك شركة تايم وارنر عدة نوادى رياضية شهيرة فى الولايات المتحدة مثل Atlanta Braves, Atlanta Hawks بولاية جورجيا.
- وتتحالف تايم وارنر مع شركات TCI, Viacom, NBC, Bertelsmann, News Corp., Sony أما حلفائها الخارجيين فهم Kirch الألمانية، COX، Hachette الفرنسيين، وتدعمها شركتا الاتصالات AT&T Oracle.<sup>(١)</sup>

ب) نيوز كورپوريشن News Corporation :

على الرغم من أن ترتيب الشركة كان الخامس من خلال مبيعاتها فى أواخر التسعينيات (حوالى ١٠ مليار دولار) فهي تقدم النموذج الأمثل لشركة الإعلام الكوكبية فى القرن الحادى والعشرين، يرأسها الملياردير الأسترالى روبرت ميردوخ الذى يسعى لهدف أساسى هو امتلاك كل أنواع البرامج من أخبار ورياضة وأفلام وأطفال، وموسيقى وبثها عبر قنوات التليفزيون الفضائية أو الكابلية فى الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

يقوله عنه سوفر رdstون المدير التنفيذى لشركة Viacom "إنه يريد بشكل أساسى غزو العالم" أما مايكل إيزدر المدير التنفيذى لشركة ديزنى فيصفه بأنه أكثر المدراء جدارة بالاحترام والخشية ودراسة قراراته فيما كان جون مالون المدير التنفيذى لشركة

(1) Edward S. Herman & Robert W. McChesney. Op. Cit., pp. 69 – 105.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

TCI يقترح أن يكون الاندماج الرأسي - كالذي حدث بين أمريكا أون لاين وتايم وارنر - هو هدف من يريد اللحاق بميردوخ، أما تيد تيرنر المدير التنفيذي لتايم وارنر، CNN فيشبهه بهتلر الذي يسعى للسيطرة على العالم [وكان تيرنر نفسه ومعه مالون وردستون وايزدر هم فرسان الملك آرثر، وتعليق تيرنر هو تعليق ضاحك بالطبع لأن تايم وارنر هي حليف لميردوخ!].

### أما عما يمتلكه ميردوخ فهو كالاتى :

- ١٣٢ صحيفة أغلبها فى أستراليا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، على رأسها مجموعة Star البريطانية الشهيرة.
- شركة فوكس القرن العشرين للإنتاج السينمائي والتلفزيوني والفيديو والتي تحتوى مكتبتها على ٢٠٠٠ فيلم.
- شبكة فوكس الأمريكية لتلفزيون الكابل.
- ٢٢ محطة تلفزيون أمريكية بمجمل مشاهدة ٤٠%.
- ٢٥ مجلة أشهرها TV Guide.
- شركات نشر كتب أهمها Harper Collins.
- ٥٠% من أسهم شركة TCI أهم شركة كابل أمريكية.
- شبكة فوكس الإخبارية.
- شبكة ستار التلفزيونية الآسيوية.
- ٤٠% من أسهم محطة البث التلفزيونية البريطانية Sky.
- ٥٠% من أسهم Vox الألمانية.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

- ٥٠% من أسهم شركة Sky فى أمريكا اللاتينية.
- ٥٠% من أسهم شركة Sky فى اليابان وأستراليا.
- ٥٠% من أسهم Zee TV الهندية.
- محطة El-Canal الأمريكية الجنوبية الناطقة بالأسبانية.
- ١٥% من أسهم ٧ محطات أسترالية رئيسية.
- ٤٥% من أسهم شركة فوينكس الآسيوية ومقرها فى هونج كونج.

ويتحالف ميردوخ بشكل رئيسى مع تايم وارنر، Universal، TCI، Viacom، Boly Gram، Sony، Bertelsmann، وحلفائه الفرعيين أو الإقليميين هم BBC، MGM، Canal Plus، EML، وتخدم على أنشطة الاتصال فى هذه الشركة العملاقة شركة MCI التى تجنى ٧٠% من أرباحها فى الولايات المتحدة، ١٧% فى بريطانيا، والباقى فى أستراليا وآسيا.

وبحلول عام ٢٠٠٥، يخطط ميردوخ لكسب أرض جديدة فى أوروبا واليابان، وبيض شركة نيوز كوربوريشن سيكون فى سلة التلفزيون الرقمية سواء كابل أو فضائى، وهدفها معلن غير خفى وهو أن تكون شبكة Sky هى الشبكة التى تصل لكل إنسان على ظهر كوكب الأرض، وهو ما تسعاه أيضاً لشبكة Fox، وقد أطلقت هذه الشركة لذلك نظامها الرقمية فى أوروبا BskyB، وتستعد لتدشين النظام المماثل فى اليابان JskyB.

وما ينقص ميردوخ هو شركة للإنتاج الموسيقى أكبر من شركة Venus TV الآسيوية التى يمتلكها لذلك تحالف مع تايم وارنر للتقليل من سطوة شركة ديزنى العملاقة فى مجال البرامج الموجهة للأطفال وللإفادة من شركة وارنر الموسيقية.



## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

وبرع ميردوخ فى استخدام مجال الرياضة الذى يحقق نسبة مشاهدة مرتفعة، فى مجال جذب المعلنين خاصة الشركات العملاقة مثل كوكاكولا، بيبسى، Reebok، مكدونالدز، واشترى ميردوخ عقود طويلة الأجل لرعاية بطولات كأس العالم، الدورى الأوروبى، دورى كرة السلة الأمريكى، هوكى الجليد الأمريكى.

(ج) ديزنى :

ثانى أكبر شركة فى حجم امتلاك الأصول بعد تايم وارنر - أمريكا أون لاين وحجم مبيعاتها ٢٤ مليار دولار، وقد تقدمت لتحل مكانتها الحالية بعد شراء شبكة ABC ولشرائها ٥٠% من أصول مجموعة مكدونالدز للمأكولات السريعة، وتمتلك ديزنى :

- مجموعة استوديوهات ديزنى للإنتاج السينمائى والتلفزيونى.
- مجموعة متنزهات ديزنى فى أمريكا وأوروبا واليابان.
- أكثر من ٥٥٠ محلاً لبيع منتجات ديزنى.
- العلامة التجارية الموسيقية Hollywood Records.
- مجموعات لنشر الكتب منها Hyerion Books.
- شبكة ABC الأمريكية ومحطاتها.
- محطات ديزنى، ESPN، ESPN2 الرياضيتين فضلاً عن محطة History الشهيرة.
- عدد من الجرائد والمجلات الأمريكية.
- مجموعات من المحطات الأوروبية على رأسها مجموعة RTL2 الألمانية.
- عدد من الفرق الرياضية أشهرها فريق Anaheim للبيسبول.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

- ٢٠% من أسهم محطات برازيلية أهمها TVA.

وتتحالف ديزنى مع NBC، TCI بشكل رئيسى، وتتمتع بعدد من الحلفاء الصغار مثل COX, Hearst, Kirch, Dream Works. وتخدم على اتصالاتها شركات GTE, SBC, Ameritech.

د ( فياكوم :

تعتبر مثالا يحتذى للشركة الصغيرة التى صعدت لتصبح ضمن العشرة الكبار فى العالم وتبلغ حجم مبيعاتها ١٣ مليار دولار، وتبلغ حجم مبيعاتها خارج أمريكا ٢٠% وتمتلك :

- محطات ShowTime, M2, MTV.

- شركة Paramount للإنتاج السينمائى.

- أكبر شركة فى أمريكا والعالم لتأجير أفلام الفيديو Block Buster.

- مجموعات نشر كتب أهمها McMillian.

- ٥٠% من اسهم شبكة الكابل USA.

وتتحالف فياكوم مع تايم وارنر، ميردوخ، Universal، Sony، Poly Gram،

وكذلك مع Pearson، Kirch فى بريطانيا ويخدم اتصالاتها شركتى Nynex, Sprint.

هـ) برتلسمان :

أول شركة أوروبية ما بين العشرة الكبار، وتبلغ مبيعاتها ١٥ مليار دولار ، وتأسست فى ألمانيا واعتمدت فى البداية على شركات إنتاج موسيقية، وشركات نشر كتب ثم امتدت نشاطاتها لمحطات تليفزيونية وتمتلك :

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

- استوديوهات RCA, Artista.
- محطات RTL الألمانية ومحطات Vox.
- محطات RTL4, RTL5 الهولندية.
- محطات فرنسية مثل TMC, M6.
- محطات بريطانية مثل Channel 5.
- ١٨ محطة راديو أوروبية.
- ٣٨% من أسهم مجلة Premiere فضلاً عن عدد كبير من المجلات الأوروبية والأمريكية.

وتتحالف برلتسمان مع تايم وارنر، ديزنى، يونيفرسال، Sony, Poly Gram، وميردوخ، وحلفائها فى الخارج هم Pearson البريطانية، Havas الفرنسية .. تخدم اتصالاتها أمريكا أون لاين.

(و) TCI :

وتبلغ مبيعاتها حوالى ٧ مليار دولار وتمتلك شركات Cable Providian التى تُعد أكبر شركة كابل أمريكية، وكذا ٢٠% من أسهم Discovery القناة الوثائقية الشهيرة، وأسهم فى شركة Fox وهو ما يجعلها حليف قوى لميردوخ.

(ز) Universal :

وحجم مبيعاتها هو ٧ مليار دولار أيضاً وتمتلك شركة Seagram للإنتاج الفنى والتلفزيونى والموسيقى وتساهم فى محطات مثل RTL الأوروبية.

(ح) Poly Gram :

وتحقق ٦ مليار دولار سنوياً، وتمتلك ٧٥% من أسهمها شركة فيليبس العالمية فى مجال الإلكترونيات وتركز على الأفلام والموسيقى.

ط) Sony :

وتحقق ٩ مليار سنوياً وتمتلكها شركة سوني للإلكترونيات وقد حققت لنفسها هذه المكانة الرفيعة بشرائها استوديوهات كولومبيا السينمائية.

ي) جنرال إلكتريك :

ومبيعاتها ٨ مليار سنوياً منها ٥ مليار من امتلاكها شبكة NBC الأمريكية العريقة ولها نشاط كبير في القنوات الرياضية ورعاية البطولات الكبرى.

٢- شركات المستوى الثانى :

وشركات المستوى الثانى هى أقل شهرة، ولكنها لا تقل طموحاً عن العشرة الكبار فى سعيها لدخول حلبة الاندماجات الكبرى بين شركة الإعلام والبرمجيات والاتصالات ومنها شركات :

• Dream Works :

وقد تأسست من (بول أن) الرجل الثانى فى شركة مايكروسوفت لصناعة البرمجيات وسينيفن سيلبرج المخرج المعروف، وتركز على مجال الإنتاج السينمائى والكرتون، ولها استوديوهات كبيرة حديثة تنافس الاستوديوهات القديمة لهوليوود.

• Direct TV :

والتي تملكها شركة (Hughes) للإلكترونيات وبلغت مبيعاتها ١٥ مليار عام ١٩٩٥ بعد دخولها مجال الفضائيات وبثها.

• Westinghouse :

وتمتلك شركة CBS بمحطاتها وتبلغ أرباحها ٣,٧ مليار سنوياً.

أما عن شركات المستوى الثانى المتبقية فى أمريكا فهى كالآتى مقدرة بحجم مبيعاتها بمليارات الدولارات.

Gamett	\$ 2.5
Knight – Ridder	\$ 4
The New York Times	\$ 2.9
Times – Mirror	\$ 3.5
Washington Post	\$ 2.2
Reader's Digest	\$ 3
Hearst	\$ 2
McGrow – Hill	\$ 3
Avance Publication.	\$ 4.9
Com Cast	\$ 3.4
Cablevision Systems	\$ 1.1
COX Enterprise	\$ 3.8

وفى أوروبا :

Canal Plus ( فرنسا )	\$ 3
Kirch ( ألمانيا )	\$ 4
(Hachette (Havas ( فرنسا )	\$ 3.5
( إيطاليا ) Mediaset ( بيرلسكونى )	\$ 2

وبقية الشركات فى أوروبا من المستوى الثانى هى :

The German Axel Springer	\$ 3
The German Bauer	\$ 1.7
The Italian RCS Editori spa	\$ 1.6
The French CEP Communication	NA
The Dutch Wolters Kluwer	\$ 1.7
The Dutch WNU	\$ 1.4
The Swedish Kinnevik	\$ 1.8
Spanish Media Prisa Group	NA
Spanish Broadcaster Antena	NA
The British Carlton Communications	\$ 2.5
The British Granada Group	\$ 3.6
The British Pearson PLC	\$ 2.9
The BRC	\$ 3.5
The British Reuters	\$ 4.1
The British United News & Media	\$ 2.9
The British EMI	\$ 5.4
The French Television Francais (TFI)	\$ 1.8

وهناك عدد من اللاعبين الكبار على المستوى المحلى، الصغار على المستوى الدولى مثل : Televesia البرازيلية، CME التشيكية ، ART ، MBC ، أوربت السعودية، PBL الأسترالية، NHK اليابانية، وعدد من التجمعات الكورية المؤسسة على

كونها فروع من شركات كبرى مثل تايم وارنر، Canal Plus، ولكن السوق مستعد لثورة أخرى والذي سوف يتمخض عنها العقد الأول من القرن الحادى والعشرين.

● ● ●

## ثانياً : شبكة الإنترنت :

بسطت شبكة الإنترنت بوصفها نموذجاً متطوراً جداً فى مجال الاندماج المعلوماتى على الإنسان المعاصر تحديات كبرى، وهى الآن - على حد تعبير عبد السلام المسدى - تبسط على الضمير البشرى أسئلة أخلاقية شائكة توحى بمعين تأملى جديد: الكائن بين الهلع والنشوة، وتحول الفضاء الكونى إلى فضاء معلوماتى، ومنظومة الديمقراطية الإلكترونية، وكذلك مصير الفقراء فى عصر الإنترنت والذين يسمونهم تطفلاً وكياسة بمواطنى الجنوب، ثم - على وجه الخصوص - الاتجاه نحو سيطرة سياسية عالمية بأسلوب جديد .. وتسرب وعى آخر إلى النفوس فتحدث بعضهم عن أدباء الإنترنت ودخلت الذهنية البشرية فى آليات جديدة تكاد تكون من تحديات الخيال وذلك منذ أن تم تنظيم ما يسمى الواقع الافتراضى Virtual Reality على الإنترنت والمسمى (فيرتكس) بواسطة تقنيات الأبعاد الثلاثة فى لندن فى سبتمبر ١٩٩٧<sup>(١)</sup>.

ويرى المؤلف أن الإنترنت - بمعنى ما - هى صمام الأمان فى خزان البخار

الكونى لأنها صوت المهمشين والضعفاء غير القادرين على الالتحام والتأثير فى عملية العولمة بالمعنى الذى سبق شرحه أو نقادها الذين يرون فى سيطرة الطبقة الرأسمالية عابرة القومية نوعاً من الإمبريالية الكوكبية الجديدة فى عصر توحشت فيه الرأسمالية وقدمت نفسها على أنها النموذج المنتصر تاريخياً والأحق بالاحتذاء.

(١) عبد السلام المسدى: من مخاطر الاندماج الكونى، سطور، يونيو ١٩٩٨، ص ص ٦٤، ٦٥.

إذ أن اللعبة الكوكبية فى زخم النظام العالمى الجديد - كما تريده القطبية المنفردة - أكثر دقة وأعظم استشرافاً وأبعد إجرافاً للضمير الثقافى الحائر مهما يكن تعاطفه مع قوى التقدم أو تجاوبه مع مقتضيات العلم أو تناغمه مع كل معزوفات العقلانية الديكارتية إذ تنطوى شبكة الإنترنت على ازدواجية كأمثل ما يكون الازدواج: هى بيد الإنسان المطلق مركبة فضائية سلمية تبهر بالعقل البشرى نحو اختزال الزمن للظفر بأسرار العلم فى منتهى أقاصيه، وهى بيد القطب الكونى المنفرد مركبة تسير بسرعة الضوء تحقق له الاختراق العلمى والثقافى والاقتصادى ثم يأتى الاختراق السياسى متوجاً سائر الفضائل، ونيس الأمر موكلأ إلى الصدفة بل هو ثمرة الخطة الاستراتيجية المحكمة.

ففى أواسط التسعينيات ساد الولايات المتحدة فى دوائرها الأكاديمية والثقافية خطاب يقدم الإنترنت على أنها "وسيلة اتصال ثورية ونقطة تحول عميق فى مسار الاتصال الإنسانى، وأكثر أهمية من الصحافة المطبوعة بما تنطوى عليه من أبعاد شخصية تحقق ديمقراطية الاتصال بعد التركيز السريع الذى حدث فى وسائل الإعلام التقليدية خاصة المرئية والفضائية منها على الأخص، وقيل أن الاتصال الرقمى Digital سيذيب الفوارق التقليدية بين مختلف قطاعات الإعلام وأن ذلك سيحقق مدى واسع من المحتويات العلمية والثقافية والترفيهية لمستهلكى وسائل الإعلام"<sup>(1)</sup>.

ولكن حقائق الأمور فى مطلع الألفية والقرن الجديد كانت تأخذ مساراً آخر، فقد استهلت شركة أمريكا أون لاين AOL، كبرى شركات خدمات الإنترنت فى الولايات المتحدة القرن الجديد بالإعلان عن أضخم صفقة اندماج فى تاريخ الشركات على مستوى العالم، وذلك بشرائها شركة تايم وارنر فى صفقة قيمتها ١٩٠ مليار دولار جميعها فى صورة أسهم لتشكيل الشركتين إمبراطورية يمتد نشاطها من المجلات، وأفلام السينما، إلى

(1) Robert McChesney. The Internet and US Communication Policy – Making in Historical and Critical Perspective, Journal of Communication, Vol. 46, No. 1, Winter 1996.pp. 25 – 31.



## العملمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الإنترنت. وقد دفعت أنباء الاندماج التاريخي أسهم قطاع الإعلام إلى الصعود في جميع أنحاء أوروبا، ويصل رأس المال المتداول في السوق للشركتين إلى ٣٦٠ مليار دولار. وتكون الشركة المدمجة عملاقاً إعلامياً - يجمع بين وسائل الإعلام التقليدية والجديدة بشكل غير مسبوق ويسمح بعرض البرامج من إنتاج (تايم وارنر) على شبكة الإنترنت ويتيح لأمريكا أون لاين استخدام شبكة كابلات التلفزيون المدفوع الخاصة بتايم وارنر لتحقيق الاتصال السريع بالإنترنت. وتمتلك الشركة الجديدة أسماء لامعة في عالم الشركات منها نيتكس، ووارنر ميوزيك جروب، وفورتن وكمبيوسرف<sup>(١)</sup>.

وبعد ساعات من إعلان الاندماج اجتاحت الولايات المتحدة وأسواق المال العالمية ما يمكن وصفه بهوس الاندماج بين الشركات الكبرى العاملة في مجالات الإعلام وتكنولوجيا المعلومات وصناعة الترفيه، وذلك لمواجهة العملاق الجديد الذي استقبله العالم إذ أنه في يومين اثنين ارتفعت قيمة الشركة الجديدة من ١٩٠ مليار دولار إلى ٣٥٠ مليار دولار، وتوقعت مصادر اقتصادية أمريكية حدوث المزيد من الاندماجات بين الشركات العاملة في مجال تكنولوجيا المعلومات خاصة خدمات الإنترنت، وفي مقدمة هذه الأسماء شركة ياهو لخدمات الإنترنت وسوني وديزني ونيوزكوب إضافة إلى شركات أخرى في مجالات الكمبيوتر وصناعة الترفيه والاتصالات مثل ليكوس و AT&T وميكروسوفت وفياكوم، وشبكة تلفزيون NBC، وشركة مترو جولدن ماير<sup>(٢)</sup>.

وعن ردود الأفعال حيال هذا الاندماج بين تايم وارنر، وأمريكا أون لاين، قال إيدان وايت الأمين العام للاتحاد الدولي الصحفيين أن الاندماج يشكل تهديداً للديمقراطية وحرية التعبير ولتعددية وسائل الإعلام وتنوعها بعد انخفاض عدد الشركات المالكة للوسائل الإعلام الكوكبية وهو ما يناقض قانون الاتصالات الذي أصدره الكونجرس عام

(١) الأهرام، ١١/١/٢٠٠٠.

(٢) الأهرام، ١٢/١/٢٠٠٠.

١٩٩٦، على حين رأى سكوت ميللر مدير الاتصالات فى تايم وارنر أن الاندماج سوف يقوى ويدعم تدفق المعلومات من خلال إيجاد وسائل جديدة للاتصال ولن يحد منها كما هو متوقع إذ أن الإنترنت تجعل من المستحيل احتكار الأخبار من قبل جماعة واحدة، فى الوقت الذى فكرت فيه بعض الشركات الأوروبية الكبرى فى الاندماج لمواجهة "غول الاندماجات فى الولايات المتحدة" (١).

والحقيقة أن هذه الاندماجات العملاقة ليست مفاجأة للمتتبع لنمو التجارة الإلكترونية على الإنترنت التى قفزت من ٣٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٤ إلى ١٠ مليار عام ١٩٩٦ إلى ٢٠٠ مليار عام ٢٠٠٠ وهذه العائدات الضخمة مصدرها برامج الإنترنت ورسوم الاشتراك والخدمات الفورية On-Line، وبيع أجهزة الكمبيوتر واستشارات الكمبيوتر وبحوث التسويق (٢).

وقد كان هذا النمو مدعماً بالتشريع، ففي عام ١٩٩٣ أصدرت الحكومة الأمريكية قانون (البنية الأساسية للمعلومات والاتصالات القومية) فكان أول تشريع يؤسس للمنافسة العالمية فى مجال المعلوماتية والطرق السريعة أو السيارة، والذى أعقبه قرار الإدارة الأمريكية بتحرير التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت من كل الضرائب، بما تلى ذلك من خطوة ثالثة حاسمة بإعلان الولايات المتحدة عام ١٩٩٦ الإنترنت منطقة تجارة حرة عالمية، وانطلاق حملة عن طريق المبعوثين الدوليين لفرض ذلك على كل الشركاء والحلفاء والأصدقاء ممن يرتضون أو لا يرتضون فيما أعلن الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون أن على منظمة التجارة العالمية أن تجد الصيغ الملائمة لتنفيذ ذلك فى غضون عام واحد (٣).

(١) الأهرام، ١٣/١/٢٠٠٠.

(2) Robert McChesney, Op. Cit., pp. 25 - 31.

(٣) عبد السلام المسدى، مرجع سابق، ص ص ٦٤، ٦٥.

والدليل على أن اللاعبين الكبار فى مجال العولمة يقولون ما يفعلون ويخططون لما ينفذون، تصريح جيمس كلارك المدير التنفيذى الرئيسى CEO لشركة نيتسكيب (فرع من الاندماج الكبير) بأن الإنترنت ستحل محل البريد التقليدى والتليفون بعد ١٠ سنوات فالاتصالات عن طريق الداتا (المعلومات) هى نوع من الاتصال أكثر عمومية من الاتصالات الصوتية ويمكن استخدام كابلات التليفون الكابلى، وبعد فترة وجيزة سوف تصبح الإنترنت نظام الاتصالات الوحيد فى العالم<sup>(١)</sup>.

● ● ●

### ثالثاً: سيادة ثقافة ما بعد الحداثة

ولما كانت أنساق قيم الأفكار التقليدية التى تجمع البشر مثل الدين والوطنية والاشتراكية هى معوقات لعمليات الاندماج والتشبيك التى تعنى بها العولمة لأنها فى جوهرها مخالفة ومعوقة لنسق القيم التى يمكن أن تسهل هذه العمليات، فإن العولمة وجدت ضالتها والبيئة الملائمة لازدهارها فى نسق قيم ثقافة ما بعد الحداثة.

ولا يدعى المؤلف أن هناك "مؤامرة" من نوع ما، تمت أو تتم بين اللاعبين الرئيسيين فى مجال العولمة الاقتصادية والسياسية وبين "منتجى" ثقافة ما بعد الحداثة، بل الأمر أن هؤلاء اللاعبين وجدوا أنه من الأفضل الترويج لمثل هذا النوع من القيم لأنه يسهل عمليات الاندماج والتشبيك ويمررها بأقل قدر من المقاومة، إذ أن العولمة كأهمية استهلاكية - على حد تعبير المفكر المغربى محمد عابد الجابرى - من شأنها "توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة فى الاختراق الثقافى واستعمار العقول بربط المتقنين والتكنوقراطيين خاصة بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة آلية وهى دائرة التسيير التى تصرف العقل عن أى شىء يقع خارجها وتجعل منه عقلاً أداتياً محضاً، وهكذا تسود (النفعية الجديدة) التى قوامها ابتكار الأدوات النظرية الكفيلة بتخفيض التوترات وتطويق

(١) كاثرين سيجال : دنيا محمولة على كاهلات، الأهرام، ١٩/١١/١٩٩٦.

## العولمة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

الصراعات واعتماد الحلول التقنية المعلوماتية دونما اهتمام بالجوانب الإنسانية والأخلاقية<sup>(١)</sup>.

وهذا الفراغ الناشئ عن استبعاد نسق القيم التقليدية ينبغي ملؤه بنسق آخر، ومنذ نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينات بدأت تتشكل ثقافة تفارق في طرحها ثقافة الحداثة، بدأت على استحياء في الأدب بفنونه المختلفة من شعر ورواية وقصة قصيرة وفي التصوير والنحت، وما أن مضى عقد حتى كانت تجليات قيمها قد طالت وسائل الإعلام الجماهيرية وبتعاضد شأن البث الفضائي انتقلت هذه القيم إلى بلدان الهوامش، وأشباه الهوامش من بلدان المركز محاولة أن تقنع شعوبها بشكل غير مباشر في الأغلب أن انتصار الليبرالية كنظام سياسى والرأسمالية كنظام اقتصادى كفكرة يستلزم أن تؤمن بها بلدان الهوامش وأشباه الهوامش، يجب أن يستتبعه تبني نسق من القيم أثبت كفاءته في تسيير عمليات الاندماج في بلدان المركز، وهذا هو الرابط بين العولمة وما بعد الحداثة.

ولكن الشيء المفارق أن بعض نقاد ما بعد الحداثة يعتبرون هذه الحركة - بمعنى ما وفي نفس الوقت - حركة احتجاجية ضد العولمة باعتبار أن بعض فنونها تظهر بعض المعارضة لسيادة ثقافة واحدة وتنتصر لثقافة المهمشين والأقليات في العالم بل أن مارثا روسلر Rosler تشبها بحركة "حرب عصابات" ثقافية تكافح حركة "عولمة" ثقافية بأخذ المواقف النقدية وإنتاج معانيها<sup>(٢)</sup>، وهو ما يراه المؤلف مجرد "هامش" تسمح به القوى الكوكبية الكبرى لمجرد التنفيس بالكلام وليس بالفعل لاسيما بعد التصدعات السياسية التي اجتاحت العالم بتعاضد الحركات العرقية والدينية المطالبة بالانفصال كما أسلفنا في الجزء الخاص بالخطاب السياسى للعولمة.

(١) محمد عابد الجابري: العولمة .. أممية استهلاكية، الشرق الأوسط، ١٩٩٧/٢/٢٢.

(1) Steven Connor. Postmodernist Culture: An Introduction to Theories of the Contemporary, (Cambridge, MA: Basil Black Well Inc., 1995). p. 224.

## ولكن ما حركة ما بعد الحداثة؟

يرى أكبر أحمد وهاستينجز دونان أن نظرية ما بعد الحداثة تشبه مفهوم العوالم من حيث أنه لا يوجد اتفاق حول تعريفها، واحتوائها على عدد كبير من المصطلحات (الأمر الذى يبدو للبعض مظهراً ما بعد حداثى حتى فى أسلوب التعريف) إلا أنه يوجد عدد من المعالم الجديدة التى تفقدنا خلال النباتات الكثيفة التى ترعرت حول هذا المفهوم غير أنها لا توفر إدراكاً واحداً، فأى محاولة لتحديد معنى ما بعد الحداثة يبدو بالضرورة مناقضاً لذاته، إذ أن هناك إجماعاً قائماً على أنه من المستحيل لمصطلح ما بعد الحداثة أن يرسخ نهائياً<sup>(١)</sup>.

وتشمل الملامح المنسوبة إلى نظرية ما بعد الحداثة ما يلى :

المرجعية الذاتية للخطاب، البدعة، الانتقائية، موت اليوتوبيا (الأديان والشيوعية)، موت المؤلف، التشويه، انتفاء الوظيفة لأى فن أدبى أو تصويرى، التفكك، التفسخ، الإزاحة، الانقطاع المعرفى، رؤية غير خطية للتاريخ، التشتت، التشظى، التمزق، لامركزية الموضوع، العماء، العصيان، الفرد كقوة، انحلال السيموطيقا (الدوال)، طاقات التوالد الذاتى للدلالات، انفتاح ولا نهائية الدوال، الحرية ضد الشمولية، فقد العقل، انحلال الشرعى أو المنطقى، التأويل، إعتاق طبقة البروليتاريا، ملحمة ارتقاء الجنس البشرى، جدلية الروح، معرفة جديدة أو نظام دلالى جديد.

وهناك بالطبع علاقات بين المفاهيم السابقة والحداثة، فإحداها تغذى الأخرى على الرغم من التضاد أحياناً بين الاثنين، فالحدود بينهما ضبابية وكل منهما متضمن على نحو تبادلى فى الآخر.

(١) أكبر أحمد، هاستينجز دونان : الإسلام فى عصر ما بعد الحداثة، ترجمة: غادة الحلوانى، مجلة إبداع، عدد (٢)، فبراير ١٩٩٨، ص ص ٦٤ - ٨٠.

وقد صك المصطلح الناقد الفرنسي فرانسوا ليوتارد Lyotard عام ١٩٧٩ بكتابه ( الحالة ما بعد الحداثيّة The Postmodern Condition ) وفيه فرق بين الـ (Metanarratives) أو هي الأفكار العامة الكبيرة مثل المسيحية، والماركسية، التقدم العلمي والتي رصدها الناقد كأوهام في اعتقاد فنانى وأدباء ما بعد الحداثة، اختلافاً عن الـ (Mininarratives) أو الأفكار الصغرى والتي تتميز بأنها نسبية، مؤقتة، جزئية، آنية، ومتغيرة، والتي ينتج عنها مجموعة من الأفعال لمجموعات من البشر في ظروف محلية خاصة، وهى بهذا المعنى تعتبر تفكيراً لأفكار الحداثة التي تعتمد على التقدم والتاريخ المشترك<sup>(١)</sup>. وهذه الأفكار الصغرى هي بوعى أو بدون نتائج عمليات الصراع القيمي بين ثقافة تبث نمط من الأخلاقيات والقيم التي تراها صالحة للعالم ومدعمة لتقدمه في إطار الانتصار التاريخي للرأسمالية، وحصاد هذا الصراع هو الشتات والتشظى المعبرة عنه ما بعد الحداثة، وهو شتات لا يمس مصالح الطبقة الرأسمالية عابرة القومية بشكل كبير.

وقد أكمل جان بودريار Baudrillard - فرنسى أيضاً - التنظير لتيار ما بعد الحداثة في كتابه (إيحاءات Simulations) الذي نشر عام ١٩٨١، وفيه ركز تحليله على تأثير الصور (في الأفلام ومسلسلات التلفزيون والإعلانات) والتي عملت على إخفاء الفارق بين الواقع والمتخيل، السطح والعمق، الوضع والسامى، الجاد والعابث، التاريخي والمعاصر، والتفكيك البطيء للأفكار التقليدية والنماذج الفكرية والنتاج هو ثقافة فوق واقعية Hyperreality. وقد دعم بودريار نظريته تلك في مقالته ( Simularca and Simulations) عام ١٩٩٢، فالماضى كان لحظة امتلاء، الرمز فيها يعبر عن الواقع العميق ولكن مرحلتنا الحالية - كما يقول - الرمز فيها يسلم إلى رمز آخر فأخر في ساحة من الخواء. وقد قدم عدة أمثلة على ذلك منها مدينة (ديزنى لاند) في فرنسا التي تعبر عن رموز معينة في الثقافة الأمريكية ولكن تلك الرموز ليست هي الولايات المتحدة

(1) Peter Barry. *Beginning Theory: An Introduction to Literary and Cultural Theory*, (London : Manchester University press, 1995). pp. 81 - 91.

لأن الواقع فيها شيء مختلف. وفي مجال الإعلانات، أعطى بودريار مثلاً على الإعلانات التي تقدم نماذج متقنة مثالية للرجولة والأنوثة فهي تقدم رموزاً على أشياء غير موجودة في الواقع، فالغالبية العظمى من أجساد النساء والرجال ليست بهذا الإتقان وإن كافحوا كي يبلغوها<sup>(١)</sup>.

وقد درس ستيفن كونور Connor تجليات عناصر خطاب ما بعد الحداثة في (الفديو كليب) أو الأغاني المصورة فرأى أن كلها ترفض أخذ أى موقف واضح من أى شيء، وكذا صورها الضبابية المبهمة لا تقدم أى معنى، وقد أفاد هذا الفن من التصوير والنحت ما بعد الحداثى فى خاصية تسمى (Pastiche) أى التداخل بين صور غير مترابطة مستعارة من فترات زمنية ماضية أنتجتها وسائط مختلفة كقصاصات الصحف، مسامع من برامج إذاعية، مشاهد فيلمية أو تليفزيونية، وهى لا تقدم سلسلة مترابطة من الأحداث المتعاقبة التى يجمعها سياق واحد بالإضافة لتسطيح المعنى وعدم عمق الكلمات وهو ما يضيع الحدود بين الفن الراقى والفن الهابط كما ذكرنا سلفاً. فضلاً عن أن هذه المشاهد ليس لها مركز أيضاً (Not Centered) .. وهم - فنانون ما بعد الحداثة - يرفعون شعار تقديم الصور (tell an Image)، وليس تقديم القصة (Tell an Story).

وبتحليل مضمون قناة MTV الأمريكية التى يعتبرها ستيفن كونور علامة على (روك) ما بعد الحداثة، فقد قلت فيها موسيقى الروك الرومانسية التى كانت علامة على الخمسينيات والستينيات، وموسيقى الروك التى تقدم الوعي الاجتماعى - Socially Conscious - التى كانت تعبر عن الرفض فى السبعينيات، والروك العدمى Nihilist، الذى ازدادت فيه مشاهد الجنسية المثلية، السادية، الماسوشية، والمعاناة، والخواء على أن هناك تداخلاً بين هذا النوع وروك ما بعد الحداثة إلا أن الأخير يقدم المعانى السابقة على نحو ضبابى غائم وغير واضح.

(1) Ibid. p. 91.

فضلاً عن ذلك فقد حملت موسيقى الروك جزءاً من رؤية (الحركة النسائية Feminism) خاصة فصائلها الراديكالية ببيان الأدوار الثورية واللاتقليدية للمرأة، ومركزة على المتعة التي تريدها المرأة (كرد فعل للقهر التي تعرضت له عبر تاريخها) وكسر (التابو) بتقديم الممارسة السحاقية التي تعطى معنى تعظيم الذات والإحساس بالثقة.

وقد اهتم كونور أيضاً بتحليل موجة أفلام الخيال العلمى لاسيما تلك التي تهتم بالمخلوقات الغريبة القادمة من كواكب أخرى (Aliens) وعلى رأسها سلسلة Godzilla, Star Trek, Star Wars التي تجمل معنى العزوف عن تقديم رؤية بصدد المشكلات الاجتماعية الراهنة وهي ما يحمل معنى الانفصام عن العالم وقد أسمى بودريار ذلك بنشوة الاتصال The Ecstasy of Communication: وهو التعبير الذي يؤدي معنى المشاهدة المطلقة التي ينتفى منها أى غرض غير المشاهدة، وحجب الحقيقة إذ أنه لا يمكن أن يكون المشاهد إدراك لموضوع معين بعد فعل المشاهدة<sup>(١)</sup>.

فإذا ربطنا ذلك بما أكدته بعض الدراسات من أن الإدمان على مشاهدة التلفزيون قد لعب دوراً كبيراً في تغييب الفكر النقدي وتقليص قوة الذهن على الاستعمال الدقيق والصحيح للغة لأدركنا حجم تأثير مثل هذه الأفكار ما بعد الحداثيّة، فقد رأى إدوارد سعيد أن الصور التليفزيونية تمثل نوعاً من السحر الذي يعمل من خلال التنقل السريع بين الأمكنة والصور والموضوعات، وتقدم تصوراً للعالم يسوده التركيز الاعتباطي والمفاجئ على هذه القضية أو تلك، والتوقف الذي لا يقل اعتباطاً في شكل يبعث فينا الاطمئنان إلى أن ما نجده أمامنا سواء كان المسلسلات الشعبية أو النشرات الإخبارية أو المباريات الرياضية أو الصحفيين الذين يتحاورون بين بعضهم البعض بثقة ومرجعية وكأنه العالم الفعلي الذي يعيش أمامنا ويفسر ويقدم لنا في شكل سهل الهضم من دون أن نبذل أى جهد<sup>(٢)</sup>.

(١) Stephen Connor. Op. Cit., pp. 158 – 183.

(٢) إدوارد سعيد: كيف تختزل صورة العربي والمسلم إلى معنى واحد هو الإرهاب، الحياة، ٢٤ فبراير ١٩٩٧.



ويدعم ذلك ما رآه عبد السلام المسدى من أن سيادة الصورة فى ثقافة العوالمة قد قدمت لخطاب جديد تذوب فيه آليات التلقى إلى حد الإمحاء وتعلو مكانها آليات الحقن فيتحول فعل الفاعل إلى انفعال المفعول به (١).

وقد كانت لثقافة ما بعد الحداثة تداعيات مجتمعية خطيرة على مجتمعات الغرب وهى التى يحذر منها جماعات المتدينين و علماء النفس والاجتماع وإن كان خطاب هؤلاء النقدى يعتبر ضعيفاً - فى حجم انتشاره وتأثيره - مقارنة بخطاب الثقافة الاستهلاكية فى عصر العوالمة، وهذه التداعيات غير منبئة الصلة على الإطلاق بما ذكرناه من صفات هذه النظرية أو التيار الثقافى.

الأولى : عبادة الشيطان Satanism التى تنتمى لتيار أو فلسفة القوة والإرادة (هيجل - نيتشه) وهو تيار يتمتع بجاذبية خاصة لأنه يتوجه إلى اليتامى الذين يعانون الفراغ الروحى والفلسفى والنفسى، والعبادة الإبلسية هى عبادة الذات أى قبول النسبى والغوص فيه دون بحث فى ثوابت (راجع ما قلناه عن موت الأفكار الكبرى (Metanarrative)، وهو ميتافيزيقا كاملة ولكنها متجسدة فى المادة داخل الطبيعة والزمان فهى عبادة شىء حقيقى ملموس وهذا هو جوهر العبادات الجديدة التى تجعل الإله مادياً يمكن الإمساك به ومن ثم فهى وثنية جديدة، كما أن الإيمان هنا لا يحمل الإنسان بأية أعباء أخلاقية فهو لا يضطر إلى كبح جماح ذاته وإنما يطلب منه أن يطلق لها العنان، ولهذا فليس غريباً أن تأخذ هذه العبادة شكل ممارسات جنسية فهى تعبر عن تمجيد الذات وتعظيم اللذة ورفض المعايير الاجتماعية كما أنها تعبير عن فلسفة القوة والإرادة (٢).

(١) عبد السلام المسدى، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) عبد الوهاب المسيرى : لماذا الفرع من الإبلسية، الأهرام، ١٠/٢/١٩٩٧.

الثانية : الانتحار الجماعي، ومثال ذلك ما حدث في كاليفورنيا مارس ١٩٩٧، حينما قرر ٣٩ شخصاً يعملون في شركة المعلوماتية Higher Source التي تقوم بتصميم صفحات شبكة الويب على الإنترنت الفرار من الحياة إلى الجنة حسب معتقدات خرافية ترى أن مرورهم على الأرض عابر وأن عليهم الرحيل عبر مركبة فضائية في الأيام المقبلة خاتمين "دعاهم" لأهل الأرض: "هذه فرصتكم الأخيرة بمغادرة الأرض قبل إعادة تكوينها"، ولهؤلاء التقنيين زملاء وأتباع في عدد من الولايات المتحدة: أريزونا، كلورادو وحتى في اليابان حيث مجموعة (أوم شيزينيكو) التي تلجأ إلى إحداث التصفيات وتحاول استقطاب خريجي الكليات العلمية فيها وذلك لبث أفكار خرافية تؤدي في غالب الأحيان إلى العنف ضد المجتمع أو ضد الذات<sup>(١)</sup>.

ورأت مونيكا معتوق أن هذا ربما يرجع إلى تراجع أهمية مواد التعليم الأساسي خاصة العلوم الإنسانية لمصلحة العلوم الجديدة المرتبطة باحتياجات السوق كإدارة الأعمال والمحاسبة وعلوم الاتصال ومن المنتظر أن يستمر هذا الاتجاه خلال العقود الأولى من القرن الحالي مع ما يمثله من تحديات كبيرة أمام نظام التعليم في دول العالم المختلفة، فانتشار العلوم الجديدة برغم ما يؤدي إليه من رفع كفاءة القطاعات الصناعية المختلفة من شأنه تكريس النظرة الجزئية للأمور وافتقاد المواطنين القدرة على التفرقة بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي<sup>(٢)</sup>.

والمجتمعات التقليدية تعاني من مشاكل خطيرة أثناء مواجهتها لمشاكل وصعاب عصر ما بعد الحداثة ومحاولتها التغلب عليها وتحديها وتشمل هذه المجتمعات: المسلمة

(١) مارك صاينغ : أسرع وإلا فاتك الإنترنت، الحياة، ١٩٩٧/٤/٦.

(٢) مونيكا معتوق : نظام التعليم الأمريكي يواجه مأزق القرن الحادي والعشرين، الأهرام، ١٩٩٨/١/٢٨.

## العلامة .. منطق التدفق .. ومعنى الإطار

والهندوسية والبوذية، بل والمجتمعات المسيحية الشرقية وهو أمر طبيعي حيث تؤكد الأديان التقليدية على الهدوء والتوازن ولا تشجع على التغيير بينما ثقافة ما بعد الحداثة ثقافة مؤسسة على الشباب والتغير والسلوك الاستهلاكي، وما ينتج عن ذلك من قلق وهموم بين صفوف "المؤمنين" في كل مكان العالم، فهم قلقون من معدل التغير وتأثيره على الجيل القادم، كما أنهم قلقون على نحو عميق من تعرض ثقافتهم لخطر الفناء، تلك التي حملوها لآلاف السنين<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الإطار يمكن فهم حركة الردة السلفية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية كآلية دفاعية لمواجهة تحديات ثقافة ما بعد الحداثة التي ترى الطبقة الرأسمالية عابرة القومية والمتضامنين معها والطامحين للانتماء إليها أنه ليس ثمة خطر كبير على مصالحها من انتشار هذه الثقافة وذيوعها، ولكن فهم دوافع هذه الردة السلفية - لاسيما في أكثر تجلياتها تنطعا وجهامة وضيق أفق - لا يعنى على الإطلاق أنها يمكن أن تقدم حلاً حقيقياً لمشكلات العالم الإسلامي الكثيرة.



---

(١) أكبر أحمد وهاستنجز دونان: مرجع سابق، ص ص ٦٤ - ٨٠.





## ملاحق الفصل الثاني





ملحق (١) يوضح أكبر ١٠ شركات متعددة الجنسية في دول العالم  
الرأسمالي (\*)

الدولة	عدد الشركات	أكبر شركة
١- الولايات المتحدة	١٦٧	جنرال موتورز
٢- اليابان	١١١	تويوتا موتورز
٣- بريطانيا	٤٣	British Petroleum
٤- ألمانيا	٣٢	ديملر بنز
٥- فرنسا	٢٩	رينو
٦- السويد	١٥	فولفو
٧- كندا	١٣	كناديان باسيفك
٨- كوريا الجنوبية	١١	سامسونج
٩- أستراليا	١٠	إلدرز IXL
١٠- سويسرا	١٠	نستله

ملحق (٢) يوضح ترتيب الشركات متعددة الجنسيات حسب مبيعاتها الصناعية أو أصولها البنكية آخذ في الاعتبار دولة المنشأ (\*)

1) Dai-ichi Kangyo Bank (Japan) 470.2 billion \$.

وهو الممول الرئيسى لعدد من شركات (Keiretsu) بما فيها شركة (Shiseido)، ومجموعة (Kawasaki) للصناعات الثقيلة (Isuzu)، (Fujitsu).

2) Mitsui Taiyo Kobe Bank (Japan) 438.6 billion \$.

وهي نواة مجموعة من الشركات الصناعية اليابانية التي تضم (Toyota)، (Toshiba)، (Shawa) لصناعة الطائرات.

3) Sumitomo Bank (Japan) 428.6 billion \$.

وهي الممول لمجموعة صناعية تضم شركات (Sumitomo) والعملاق الصناعي (NEC) ويمتلك نصيب كبير من (Goldman Sachs) وبنك نيويورك للاستثمار.

4) Deutsch Bank (Germany) 266.5 billion \$.

وهو السوبر بنك المسيطر على تمويل عدد من مشروعات الاتحاد الأوروبي.

5) Citi Corp. (United States) 217.3 billion \$.

وهو الممول الكونى لمجموعة من المشروعات على مستوى العالم.

6) Exxon Corporation (United States) 116 billion \$.



علاق البترول والغاز الطبيعي فى الولايات المتحدة.

7) General Motors (United States) 107 billion \$.

مازالـت أكبر شركة صناعية فى العالم وتمتلك ماركات بويك، بونتيـاك، أولـدس موبيل، كاديـلاك، شيفروليه، GMC، أوبل، Saab، وشركة (Hugas) لتصنيع الطائرات.

8) Royal Dutch Petroleum/Royal Dutch Shell (United Kingdom/Netherlands) 106.4 billion \$.

وتسيطر على ١٠ ٪ من إنتاج البترول والغاز الطبيعي فى العالم.

9) International Business Machines (United States) 69 billion \$.

10) British Petroleum Company PLC (United Kingdom) 63.6 billion \$.

وتمتلك شركة (Standard Oil of Ohio)، ويمتلك مكتب الاستثمارات الكويتية ١٠ ٪ من BP، ثلاثة الشركات فى العالم من حيث إنتاج البترول والغاز الطبيعي.

11) General Electric (United States) 58.4 billion \$.

12) Daimler – Benz (Germany) 57.3 billion \$.

13) Hitachi, Ltd. (Japan) 52.1 billion \$.

14) Philip Morris Companies (United States) 51.2 billion \$.

15) Fiat Group (Italy) 50 billion \$.

16) I. E. du Pont de Nemours (United States) 40 billion \$.

عملاقة صناعة البارود والمتفجرات فى العالم، بالإضافة للمنتجات الكيماوية الأخرى.

17) Unileven PLC and N. V. (United Kingdom/Netherlands) 39.6 billion \$.

عماق صناعة الأغذية فى أوروبا والعالم.

18) Matsushita Electric Industrial Co. Ltd. (Japan) 44.1 billion \$.

19) Siemens AG (Germany) 42.1 billion \$.

20) American Telephone & Telegraph Co. AT&T (United States) 37.3 billion.

21) Nestlé SA (Switzerland) 36.2 billion \$.

22) Bristol – Myers Squibb Co. (United States) 10.3 billion \$.

أكبر شركة عالمية لصناعة الأدوية ومستحضرات التجميل.

23) The Coca-Cola Co. (United States) 10.2 billion \$.

24) Merck & Co. Inc. (United States) 7.6 billion \$.

وتعمل فى مجال الصناعات الدوائية.

# الفصل الثالث

صورة العالم الإسلامي  
في التأيم و الأيكونومست



يعالج هذا الجزء من الفصل التدفق الخبري عن دول العالم الإسلامي وأقلياته تبعاً للتقسيمات التي اعتمدها الدراسة وتشمل التقسيم الجغرافي والمساحة وعدد السكان والمستوى الاقتصادي والحالة السياسية وأنواع الموضوعات التي شملتها التغطية في كل من مجلتى التايم والإيكونوميست.

## التدفق الخبري عن العالم الإسلامي

...

أولاً : التدفق الخبري .. فنونه وأنواعه وقضاياه

قبل التطرق لتفصيلات التدفق الخبري داخل العالم الإسلامي، كان لابد للباحث أن يوضح نسبة التدفق الخبري عن العالم الإسلامي في عينة الدراسة مقارنة بباقي التدفق عن بقية دول العالم.

وأوضحت الدراسة التطبيقية أن العالم الإسلامي قد حاز نسبة ٢٢,٨% من حجم التغطية الخبرية في عينة الدراسة بينما بقية دول العالم حازت نسبة ٧٧,٢% من حجم التغطية، وذلك محسوباً بعدد الموضوعات الخبرية سواء التي جاءت في شكل خبر صغير في عمود أخبار أو تقرير خبري يحتل صفحة أو أكثر من صفحات أى من المجلتين، وذلك التقسيم يعترف المؤلف بنقص دقته الكاملة، إذ وجد المؤلف صعوبة في حساب حجم التغطية مقدراً بالمساحة وليس مقدراً بعدد الأخبار وذلك لعدم توفر أعداد الطبعة الدولية من مجلة التايم في جامعة أنديانا بولاية بنسلفانيا أو في أى من الجامعات التي حولها. واعتماد المؤلف على الطبعة الدولية المنشورة في أرشيف التايم على الإنترنت.

ويمكن أن نستخلص من الدراسة أيضاً أن حجم التغطية في مجلة التايم عن العالم

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

الإسلامى قد فاق - مقارنة بالتغطية عن بقية العالم - مجلة الإيكونوميست .. وذلك رغم أن الإيكونوميست كانت أكثر اهتماماً بأخبار العالم الإسلامي من التايم من حيث حجم الأخبار عن العالم الإسلامي، وهى نتيجة يرجعها المؤلف لكثرة الموضوعات المنشورة فى الإيكونوميست عن الولايات المتحدة وأوروبا مقارنة بالطبعة الدولية لمجلة التايم، ولكن النسب غير دالة إحصائياً بما يعنى تشابههما فى حجم التغطية.

وأوضحت الدراسة التطبيقية أن مجلة الإيكونوميست كانت أكثر اهتماماً بتغطية أخبار العالم الإسلامي (دوله وأقلياته)، فشملت التغطية خلال شهور يناير وفبراير ومارس عام ١٩٩٧ (٩٦) مادة خبرية للإيكونوميست بنسبة ٦٣,٢% من حجم العينة فى مقابل (٥٦) مادة خبرية للتايم بنسبة ٣٦,٨% من حجم العينة.

وتميزت مجلة الإيكونوميست فى كل أنواع المواد الخبرية، بل وتفردتها هى ببعض الفنون الخبرية مثل الخبر القصير، والقصة الخبرية وإن كانت بنسب بسيطة، إذ لاحظ المؤلف أن معظم أخبار العالم الإسلامي يستوعبها نوعان من الفنون الخبرية (أعمدة الأخبار)، (التقارير الخبرية)، وهو ما يجعل التغطية إما بسيطة لا تقدم إجابات على الأسئلة الخمسة أو W'ss نظراً لصغر حجم الخبر، أو متعمقة يتم فيها تقديم الحقائق والمعلومات، والخلفيات، والآراء المتعددة، مع التحليل والتفسير ثم توقع ما سوف يستجد من أحداث، وهو الأمر الذى سيحدد فيما بعد مدى اهتمام المجلتين بدول العالم الإسلامي تبعاً للتقسيمات التى وضعها المؤلف والتى تشمل المناطق الجغرافية، الحجم، السكان، المستوى الاقتصادى، والحالة السياسية فضلاً عن التقسيم الموضوعى للمادة الخبرية.

وفيما يتعلق بنوع التدفق أبانت الدراسة أن تغطية أخبار العالم الإسلامي غلب عليها التغطية الجادة السلبية فجاءت نسبة المواد التى تتعرض للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل سلبي ٨٠,٣% من حجم العينة، يليها الأخبار الجادة الإيجابية والتى تتعرض لأخبار السياسة والاقتصاد فى دول وأقليات العالم الإسلامي على نحو إيجابى

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

بنسبة ١١,٢% أما الأخبار الخفيفة الإيجابية والخفيفة السلبية فكانت نسبتها ٣,٣%، ١,٣% على الترتيب، وهو ما يبين أن الأخبار التي تتعرض لموضوعات الفن والأدب والثقافة وأسلوب الحياة في العالم الإسلامي كانت ضئيلة في كلا المجلتين، سواء كانت إيجابية أو سلبية، فيما كانت هناك نسبة ضئيلة في المجلتين وضعها المؤلف تحت تصنيف (غير محدد) ربما لتمثل العناصر المحددة للخبر السلبي أو الإيجابي، الجاد أو الخفيف فيهما.

وإذا نظرنا لكل مجلة على حدة، يتضح لنا أن مجلة الإيكونوميست البريطانية كانت تغطيتها لشئون العالم الإسلامي تنحو أن تكون سلبية أكثر من مجلة التايم الأمريكية، ويمكن تفسير ذلك - دون التعرض لنوع الدول وتقسيماتها - إلى الطابع الجاد المحافظ لمجلة الإيكونوميست مقارنة بمجلة التايم، وهو ما يمكن التأكيد عليه بأن نسبة الأخبار الخفيفة في مجلة التايم كانت أكثر من مجلة الإيكونوميست، فضلاً عن صيغة مجلة التايم التي يغلب عليها التوازن في عرض الآراء وهو ما جعلها تستأثر بنسبة الأخبار غير المحددة.

وأوضحت الدراسة التطبيقية لنا لماذا كانت التغطية في الأغلب جادة، إذ جاءت نسبة الأخبار السياسية، والاستراتيجية والاقتصادية، والدينية - السياسية، والسياسية الاستراتيجية، والاقتصادية السياسية، والاقتصادية الاجتماعية كبيرة في كلا المجلتين: التايم والإيكونوميست على حد سواء، وإن تفوقت الإيكونوميست في كل التقسيمات السابقة على التايم، فيما انفردت الأخيرة بالمواد الإخبارية التي تتعرض للفن والثقافة.

وقد وجد المؤلف أن النسبة العالمية للأخبار الإيجابية الجادة كانت للأخبار السياسية ثم الاقتصادية ثم في مرتبة واحدة تأتي الأخبار السياسية - الاستراتيجية، الاقتصادية - السياسية، وفيما يتعلق بالأخبار السلبية الجادة فكانت النسبة الأكبر للقضايا السياسية ثم الدينية - السياسية ثم السياسية - الاستراتيجية ثم الاقتصادية - السياسية.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

وهي نتيجة يمكن تفسيرها بأن معظم قضايا العينة كانت سياسية، تنحو إلى أن تكون سلبية إذا خلط الدين بالسياسة وإلى أن تكون إيجابية إذا كانت سياسية اقتصادية أو اقتصادية صرفة.

وقد كانت الأخبار الإيجابية الخفيفة من نصيب الأخبار الفنية والثقافية والتي انفردت بها مجلة التايم، إذ رغم أن مجلة الإيكونوميست تحتوى على صفحات لمراجعات الكتب والموضوعات الفنية والأدبية فإنها لم تتعرض لأى من هذه الموضوعات داخل العالم الإسلامي:

● ● ●

### ثانياً : علاقة التغطية الخبرية بالتقسيم الجغرافى للعالم الإسلامى

بداية يقرر المؤلف أنه ليس هناك تناقض بين المصالح الأمريكية ( التى تمثلها مجلة التايم) والمصالح البريطانية (التي تمثلها مجلة الإيكونوميست)، فكما أوضحت العديد من الأحداث فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فإن السياسة البريطانية كانت دائماً متحالفة بشكل مباشر أو غير مباشر مع المصالح الأمريكية حتى بداية القرن الحادى والعشرين اللهم إلا فى استثناءات قليلة مثل العدوان الثلاثى على مصر (بريطانيا - فرنسا - إسرائيل) عام ١٩٥٦، ودعم الولايات المتحدة لإسرائيل فى حرب ١٩٧٣ والتي اعترضت عليه بريطانيا إذا رفضت بريطانيا استخدام قواعدها العسكرية فى تزويد إسرائيل بالسلاح مشاركة فى الجسر الجوى الأمريكى الذى بدأ فى ١٠ أكتوبر ١٩٧٣.

ففى كتابهما الهام An Ocean Apart يرصد ديفيد ديمبليبي وديفيد رينولدز العلاقة بين بريطانيا والولايات المتحدة فى القرن العشرين وما يهمنى فى هذا السياق أن الدولتين اللتين كانتا متنافستين اقتصادياً فى مطلع القرن بدأتا فى التقارب منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية وبعدها فى فترة الحرب الباردة، فعلى سبيل المثال تأسست قاعدة عسكرية أمريكية كبيرة عام ١٩٤٨ فى أنجلىا الشرقية لا يقل عدد العسكريين الأمريكيين



## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونوميست

بها عن ٦٠ - ٧٠ ألف أمريكى فضلاً عن القواعد البحرية الأمريكية على الشواطئ الاسكتلندية إذ اعتبرت الولايات المتحدة بريطانيا أكبر حليف لها فى حلف شمال الأطلسى التى تأسس فى نفس العام (عام ١٩٤٨) فى مقابل أن تصم الحكومات البريطانية المتعاقبة الأذن عن كل ما يعارض وجود أمريكى كبير فى بريطانيا حتى ولو كان ذلك رداً على تعاطف بعض الرؤساء الأمريكيين مع القضية الأيرلندية مثل جون كيندى، علاوة على ذلك فقد ساهمت بريطانيا بنصيب كبير فى قوات الأمم المتحدة التى شاركت فى حرب كوريا (١٩٥٠ - ١٩٥٣) كما دعمت الوجود العسكرى فى فيتنام (١٩٦٣ - ١٩٧٥) وإن شهدت السبعينيات ما يشبه الجفوة بين الولايات المتحدة وبريطانيا التى فضلت أن تهتم بشئون أوروبا إبان حكم رئيس الوزراء ريتشارد هيث، فإن الثمانينيات جعلت الدولتين أكبر حليفين عبر الأطلسى وساهم فى ذلك الصداقة التى قامت بين الرئيس الأمريكى رونالد ريجان ومارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية.

كان بداية التقارب مع حرب فوكلاند (إبريل - مايو ١٩٨٢) والتى حسمت فيها الولايات المتحدة ترددها بين حليفتيها بريطانيا والأرجنتين لصالح الأولى على اعتبار أن الأرجنتين بدأت باستخدام القوة فى حل الصراع حول جزر فوكلاند، حيث ساعدت الولايات المتحدة الأسطول البريطانى بالذخيرة ووقود الطائرات والمعلومات العسكرية. ثم تجلّى هذا التعاون العسكرى فى الضربة العسكرية الأمريكية ضد ليبيا فى إبريل ١٩٨٦ حيث استخدمت الولايات المتحدة القاذفات F-111 من قاعدة أنجليا الشرقية، فضلاً عن ذلك فقد ساندت بريطانيا بقوة مبادرة الدفاع الاستراتيجى المعروفة باسم (حرب النجوم) منذ عام ١٩٨٣ والتى طرحها رونالد ريجان رغم تحفظ ألمانيا وفرنسا على تكاليفها الباهظة وطرحهما لنظام دفاعى أوروبى بديل تحت اسم (إيرويك) وذلك حتى لا تتخلف

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

بريطانيا عن المشاركة في تطوير تكنولوجيا الليزر والأقمار الصناعية والكمبيوتر في الاستخدامات العسكرية<sup>(١)</sup>.

وفى التسعينيات شاركت بريطانيا الولايات المتحدة في حشد قوات التحالف ضد صدام حسين عقب غزو العراق للكويت في أغسطس ١٩٩٠ كما دعمت بريطانيا كل قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن التي طرحت مشروعاتها الولايات المتحدة. ورغم قيام الولايات المتحدة بالتدخل في مناطق يوغسلافيا السابقة : البوسنة وكوسوفو بشكل فردي مستخدمة حلف الناتو، فإن الامتعاظ البريطاني كان شكلياً ويعكس عجز الاتحاد الأوروبي عن حل مشكلات القارة الأوروبية بمفرده دون التدخل الأمريكي إذ كانت مدينة دايتون بولاية أوهايو هي المحطة الأخيرة التي استقر بها نزاع البوسنة على سبيل المثال<sup>(٢)</sup>.

وعلى صعيد آخر، فقد تشكل المشهد الاقتصادي بمثل ملامح نظيره السياسي، فقد انتعشت التجارة بين الدولتين بعد توطن العديد من رؤوس الأموال الأمريكية في بريطانيا خلال الستينيات فبلغ عدد الشركات الأمريكية العاملة في بريطانيا حوالي ١٦٠٠ شركة بعائد ٦ مليارات دولار تمثل ١٠/١ حجم الاستثمار الأمريكي في العالم والثاني فقط بعد كندا دعماً للصناعات الجديدة في بريطانيا مثل الملابس وأدوات التجميل والسيارات والكمبيوتر بعد تدهور الصناعات البريطانية التقليدية المتمثلة في التعدين وصناعة السفن وبعد نقلهما إلى الهوامش حماية للبيئة.

وإن شهدت السبعينيات نوعاً من الكساد والتضخم في البلاد الغربية والذي طال بريطانيا وأمريكا، فإن الثمانينيات شهدت انتعاشاً جديداً في العلاقات الاقتصادية بين

(1) David Dimbleby & David Reynolds: *An Ocean Apart* (New York: First Vintage Books, 1989), pp. 262 - 286.

(2) Barry R. Posen, *Competing Visions for Grand Strategy*, International Security, Winter 97, Vol. 21, No. 21, pp. 49 - 52.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

البلدين حيث انتقلت رؤوس الأموال البريطانية هذه المرة عبر المحيط إلى الولايات المتحدة بعد قرار مارجريت تاتشر بعدم فرض قيود على حركة رأس المال، وتحرير سعر الصرف فبلغ حجم الاستثمار البريطاني حوالى ٥ مليارات دولار عام ١٩٨٥ زاد إلى ١٥ مليار فى العام التالى واعتبر الخبراء الاقتصاديون الاقتصاد البريطانى من ضمن أفضل ١٠ اقتصادات مستقرة فى العالم وهو ما سجل نجاحاً لتاتشر بعد ركود السبعينيات<sup>(١)</sup>. ومع مطلع التسعينيات وزيادة انتقال رؤوس الأموال بفعل العولمة جاءت الولايات المتحدة وبريطانيا أيضاً ضمن العشرة الكبار فى الاستثمار الكونى (راجع ملحق ٢) كما نجحت شركة مثل نيوز كوربوريشن التى يمتلكها روبرت ميردوخ فى أن توحد تقريباً المحتوى الإعلامى لشبكة فوكس فى بريطانيا والولايات المتحدة.

وكشفت الدراسة التطبيقية أن أغلب الاهتمام كان ببلدان العالم العربى فجاءت بنسبة ٥٠% من حجم العينة، وقد عضد هذه النتيجة بشكل واضح أن النسبة كانت ٥٠% فى كلا المجلتين الإيكونوميست والتايم على حد سواء.

وقد تركز الاهتمام بالعالم العربى فى ثلاث قضايا رئيسية :

- الصراع العربى الإسرائيلى.
- الأزمة الغربية مع العراق.
- جماعات العنف السياسى وفعاليتها فى العالم العربى.

ولعل هذا ما يتسق مع خطاب الدوائر الأمريكية (والبريطانية بالتبعية) أن من أولويات الاهتمام بالعالم الإسلامى هو عملية السلام بتأييد إنهاء الحرب بين الدول العربية وإسرائيل ودعم مفاوضات السلام، وعزل الدول المنبوذة التى تهدد الاستقرار الإقليمى فى منطقة الشرق الأوسط مثل العراق فضلاً عن مكافحة "الأصولية الإسلامية" Islamic

---

(1) David Dimbleby & David Reynolds, Op. Cit., pp. 262 – 286.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

Fundamentalism أو التأسلم Islamism أو التطرف الإسلامي Islamic Radicalism وغيرها من المسميات المشابهة وخاصة في مصر والجزائر، لا تسقط بقية البلدان فيما اصطلح على تسميتها بنظرية الدومينو<sup>(١)</sup>.

ويأتى فى المركز الثانى الدول الشرق أوسطية غير العربية والتي تضم داخلها إيران، تركيا، أفغانستان، بنسبة ١٢,٥% من حجم العينة، وإيران تدخل ضمن الدول المنبوذة التي تسعى الولايات المتحدة لاحتوائها بجانب العراق لما فى ذلك مصلحة قريبة للولايات المتحدة وقد أثارت هذه السياسة قلق فرنسا وألمانيا من إتباعها ولكنهما لم تلقيا المساندة من بريطانيا، وتركيا نقطة محورية فى اتصال الإسلام بشرق أوروبا فضلاً عن محاولتها لدخول الاتحاد الأوروبي رغم معوقات حقوق الإنسان والصعوبات الاقتصادية، أما أفغانستان فإن الحرب الأهلية الدائرة فيها منذ ١٩٩٢ عقب الانسحاب السوفيتي منها تقلق بلدان آسيا الوسطى فضلاً عن الولايات المتحدة وأوروبا الموحدة (من بينها بريطانيا) الطامعة إلى استغلال البترول والغاز الطبيعي فى كازاخستان وتركمنستان. وهو ما يجعل ثلاثة بلدان تحظى بنسبة ١٢,٥% فى مقابل عدد كبير من الدول الإسلامية التي لا تحظى بهذه النسبة كما سيتم شرحه.

ويأتى فى المركز الثالث بلدان جنوب شرق آسيا الإسلامية (ماليزيا - إندونيسيا) بنسبة ١١,٨% وكانت الإيكونوميست أيضاً أكثر اهتماماً من التايم بنسبة ٦٦,٧%، ٣٣,٣% على الترتيب، وقد وفد الإسلام إلى جنوب شرق آسيا فى فترة متأخرة إلى حد ما. وتمثل إندونيسيا قوته الأساسية إذ بها أكبر عدد من السكان المسلمين فى العالم، وتأتى بعدها ماليزيا التي يمثل المسلمون نصف سكانها، وتوجد جماعات سكانية مسلمة أقل عدداً

---

(١) كارلا كونينجهام : الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو : قراءة فى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسى، ترجمة : د. حسن جوهر، السياسة الدولية، عدد (١٢٥)، عام (٢٢)، يناير ١٩٩٧، ص ص ٨ - ٢٥.

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونوميست

فى جنوب تايلاند وفى الفلبين، وتملك إندونيسيا منذ الاستقلال تراثاً رئيسياً من الحكم العلمانى. وعمدت قيادة البلاد إلى ترسيخ الأيديولوجية الأخلاقية القومية ذات الطابع العلمانى كوسيلة لصهر سكان البلاد فى بوتقة قومية. وعلى الرغم من أن هذه الأيديولوجية أقل تشدداً بكثير فى طابعها العلمانى بالقياس إلى حركة أتاتورك فى تركيا، فإن هناك توتراً كامناً قديماً بينها باعتبارها (أيديولوجية رسمية)، وبين النوازع الإسلامية المغرقة فى حرفيتها بما فيها الحركات الإسلامية المتشددة التى تشعر بالاستياء لأن الغالبية المسلمة ٨٥% من سكان البلاد مطلوب منهم عدم القول بأن الإسلام هو الدين القومى إذعاناً لأقليات غير مسلمة، ومن هنا ظهرت بعض الاضطرابات التى تدعو إلى التخلّى عن البانسكيلا (القومية العلمانية) لصالح الإسلام، ويمثل هذا نوعاً من المحك الحاسم لمستقبل العلمانية فى إندونيسيا.

وكذلك تستشعر ماليزيا، ونصف سكانها فقط مسلمون ومالايون، حساسية شديدة إزاء خطوط المنازعة الدينية والعرقية داخل مجتمعها المتعددة الأعراق والأديان ويساعد نجاح ماليزيا الاقتصادى فى الحد من احتمالات هذه المواجهات الثقافية التى تنطوى على تفاوت كبير فى الوضع الاقتصادى خاصة فيما بين طبقة التجار الصينيين والسكان المالاييين. والجدير بالملاحظة أن ماليزيا تتحول لتكون نقط التقاء تضم الكونفوشييين والإسلاميين منتقدي الثقافة الغربية ومظاهر ضعفها الأخلاقية والاجتماعية وكان رئيس وزرائها (محاضر محمد) واحداً ممن انتقدوا صراحة الهيمنة الثقافية الغربية.

وهكذا فإن مصادر النزاع العامة فى جنوب آسيا بين الإسلام وما هو غير الإسلام تتضمن المنافسة الداخلية بين السكان المسلمين وغير المسلمين وتعبّر هذه المنافسة عن نفسها فى الغالب الأعم فى صورة عرقية وليس دينية، وتصدر عن حاجة متوهمة إلى تشكيل جبهة ثقافية قوية ضد القوة الاقتصادية والثقافية للطوائف الصينية والهندية والملاحظ أن التوترات مع الغرب فى جنوب شرق آسيا أقل إلحاحاً منها فى العالم

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

الإسلامي الغربي، بيد أنها ماثلة بوضوح في مشاعر الاستياء من الهيمنة الغربية للمؤسسات الدولية السياسية والثقافية والاقتصادية<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت الأقليات الإسلامية في المركز الرابع بنسبة ١٠,٥% وهو التصنيف الوحيد الذي تساوت فيه المجلتان الإيكونوميست والتايم بنسبة ٥٠% لكل، وقد توزعت اهتمامات التغطية بين البوسنة وكوسوفو والصين على الترتيب.

وفيما يتعلق بالبوسنة وكوسوفو فهي على نقاط التماس مع المناطق الخاضعة لنفوذ الكنائس الأرثوذكسية اليوم وهي التي لا تزال تمثل قوة التوازن المقابلة للإسلام، ولعل الحدود الشرقية المسيحية - الإسلامية تمثل أكثر نقاط "الصدام الحضاري" توتراً وإثارة للعواطف بين المسيحية والإسلام على الساحة العالمية، وقد أدى تصدع الإمبراطورية السوفيتية في شرق أوروبا إلى احتدام الصراع في بلدان البلقان التي لا يقتصر إرثها على الكثير من الأمور التي لم تحسم بين مسيحيي المنطقة (الصرب الأرثوذكس مقابل الكروات الكاثوليك) بل جذب إليه أيضاً العنصر الإسلامي: مسلمو البوسنة وحالة المسلمين في كوسوفو، وهو وضع شهد انفجارات عديدة بينما الصرب مستنفرون ضد ألبانيا. وكذلك نجد قضايا التحرر عن طريق الانفصال من أجل التوحد على أساس عرقي أو ديني مثارة أيضاً بين اليونان وكل من تركيا وبلغاريا أو بين تركيا وأرمينيا.

وعلى الرغم من الانفجالات الأليمة التي انطلقت من عقالها في بلاد البلقان فإن الشيء المذهل أن نلاحظ أن الرأي العام في الولايات المتحدة وفي بعض مجتمعات أوروبا لم يستثره الجانب الديني من مشكلات البلقان وعلى عكس توقعات الغالبية العظمى من المسلمين (وهي توقعات غير مبنية على معلومات) فقد أثبت الغرب بالفعل تعاطفاً مع مسلمي البوسنة ومسلمي كوسوفو، وكان تعاطفه معهم باعتبارهم الضحية أكثر من تعاطفه

(١) جراهام إي. فوللر وإيان أو. ليسر: مرجع سابق، ص ص ١٦٦ - ١٦٧.

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

مع الكروات الكاثوليك أو الصرب المسيحيين الأرثوذكس الذين لهم الهيمنة. وبات واضحاً أن الغرب العلماني الحديث يحكم أولاً على هذه القضية تأسيساً على قواعد أكثر موضوعية من حيث جوانبها القانونية والإنسانية دون علائقها الدينية. ولا ريب في أن عدم وجود شعور قوى بالرابطة الطائفية في هذا الصراع من جانب الأمريكيين وكثيرين من الأوروبيين الغربيين يمثل ملاحظة ذات أهمية كبيرة في إطار (الإسلام مقابل الغرب)، علاوة على هذا فإن يهود الغرب وإن كانوا يتتبعون باهتمام صراع الإسلام مع إسرائيل فإنهم من بين أعلى المؤيدين صوتاً لدعوة الغرب إلى اتخاذ إجراء للحيلولة دون وقوع مذبحة عرقية لشعب البوسنة المسلم<sup>(١)</sup>، وينطبق هذا على حالة كوسوفو أيضاً.

ويمكن الرد على ما قاله فوللر وليسر بأن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين ما كانوا ليتدخلوا لولا وجود مصالحهم في هذه المنطقة لاسيما الولايات المتحدة التي تدخلت لتوقيع اتفاق دايتون للسلام عام ١٩٩٤ بعد فشل الاتحاد الأوروبي في حل أزمة البوسنة وهي التي قادت أيضاً الحملة ضد يوغسلافيا عام ١٩٩٩ لتثبيت مكانتها كقطب واحد مهيم رغم ما اعترى تدخلها من خرق للشرعية الدولية وتجاوز للأمم المتحدة، فالأمر كان أمر مصالح قبل أن يكون أخلاقيات لاسيما وأن من غير المتوقع أن تنتشر "الأصولية الإسلامية" في البوسنة وكوسوفو والتي يراها الغرب خطراً يهدد مصالحه.

وكذلك تمثل حدود الصين مع آسيا الوسطى نقطة اشتعال محتملة مع الإسلام، حتى على الرغم من أن الصين ليست مسيحية. فالصين بها سكان مسلمون من عرق تركي وهم الأتراك الأويغور، ويبلغ تعدادهم ٨ ملايين نسمة ويقطنون غرب الصين وهي تركستان الصينية تاريخياً وتسمى الآن في الصين بإقليم سينكيانج. ويرتبطون ارتباطاً وثيقاً من الناحية الثقافية بالأوزبك على امتداد حدود الاتحاد السوفيتي السابق وقد عانوا سنوات طويلة من "التطهير العرقي" والضغط السكانية إثر الاستيطان القسري للصينيين الهان في

(١) المرجع السابق، ص ص ١٥٧ - ١٦١.

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

المنطقة بهدف إضعاف الوحدة العرقية للأويغور وإذابتهم. ويطمح الأويغوريون في الحصول على قدر كبير من الاستقلال الذاتي إن لم يكن الاستقلال التام عن الصين.

وبالنسبة للصين فقد تزايدت النزعات الانفصالية في التركستان الصينية في موازاة مع تطلعات مماثلة لدى التبت المجاورة. ويرى فولر وليسر أن القضية الأساسية في تركستان الصينية ليست هي الإسلام أبداً، بل هي حركة تحرر قومي موازية لحركات أهل التبت البوذييين والمغول وحيث أن الإسلام بات موجوداً بالفعل كأحد العوامل فإن دوره سوف يزداد حتماً لتعزيز الهوية القومية للأويغور باعتباره قسمة ثقافية أخرى تمايزهم عن الصينيين الهان.

وليس الأيغور هم الجماعة المسلمة الأكبر عدداً في الصين. إذ هناك مسلمون من أصل عرقي اسمه هوي Hui ويزيد تعدادهم على ١٠ ملايين نسمة ويتحدثون الصينية كلغة أصلية، وغالباً ما يتعذر تمييزهم عن الصينيين الهان من حيث أنفسهم جماعة عرقية متميزة وقومية داخل الصين على أساس الدين<sup>(١)</sup>.

وجاء في المركز الخامس بلدان جنوب آسيا (باكستان وبنجلاديش) بنسبة ٩,٩% من حجم العينة، وفي هذا الصدد تفوقت تغطية الإيكونوميست على التاييم بنسبة ٥٣,٣%، ٤٦,٧% على الترتيب وهي نسبة كبيرة بالنسبة لبلدين اثنين، فالإسلام في شبه القارة الهندية في حالة تفاعل مع العالم الهندوسي ومع ذلك فإن هذا العالم يمثل بالنسبة للإسلام حدوداً ثقافية عالية التوتر، ولها تأثير مباشر على النظرة الأعم للإسلام إلى العالم إذ نجد بعض الأحزاب السياسية الهندوسية داخل الهند تتحدث ضمناً وصراحة عن التعاون مع الغرب ضد الخطر الإسلامي.

ويكشف تاريخ شبه القارة الهندية عن قسّمات دور معكوس في علاقات القوى بين

(1) Dru Gladney, *Muslim Chinese: Ethnic Nationalism*, (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1991), p. 8.



## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

المسلمين والهندوس، فقد كانت الهند خاضعة لحكم مزدهر لأسرة مسلمة هي أسرة المغل Mughals ابتداء من مطلع القرن السابع عشر وحتى تاريخ السيطرة البريطانية على الهند في مطلع القرن التاسع عشر. والمغل من أصل تركي وفدوا مباشرة من وسط آسيا عبر أفغانستان لغزو الهند وحكمها من دلهي، وأقاموا أسرة حاكمة تعتبر من أبرز مظاهر التطور الثقافي الهندي، وهنا حكمت أقلية مسلمة الأغلبية الهندوسية لعدة قرون إلى أن انعكست الأدوار مع السيطرة البريطانية إذ شرعت بريطانيا تدريجياً في منح المؤسسات الهندية سلطة أكبر حتى بلغ الوضع ذروته بهيمنة الهندوس عقب الاستقلال عام ١٩٤٧.

وعقب استقلال باكستان عام ١٩٤٧، وبنجلاديش عام ١٩٧٠ هاجر عدد كبير من

المسلمين الهنود إلى باكستان وبنجلاديش ليصل عدد المسلمين في الهند الآن إلى ١٢% فقط. وقد نشبت ثلاث حروب بين الهند وباكستان كان آخرها عام ١٩٧١ وبالطبع فإن أكثر من ٤٠ عاماً من العداوة بين باكستان المسلمة والهند ذات الأغلبية الهندوسية أدت إلى مزيد من العلاقات المتوترة، كما أن ولاية (كشمير) ذات الأغلبية المسلمة هي المنطقة الهامة التي تبدو فيها احتمالات الانفصال واقعية وكبيرة، وتتعاظم الانتفاضة الإسلامية في كشمير تأسيساً على مظالم وشكاوى عميقة الجذور لدى شعب كشمير وتؤجج نارها باكستان بما تقدمه من دعم وأيضاً التدابير الأمنية القاسية والغشوم من جانب الدولة الهندية ضد السكان إجمالاً. وترفض الهند بإصرار السماح بإجراء استفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة في المنطقة، وأصبح هذا الرفض لب الخلاف بين الهند وباكستان على مدى بضعة عقود.

وأقامت الهند علاقات دبلوماسية مع إسرائيل عام ١٩٩٢، وأسفرت عن تعاونها مع إسرائيل ضد الأصولية الإسلامية، وتبدو الهند قلقة بالمثل بشأن ظهور خمسة بلدان إسلامية مستقلة جديدة في آسيا الوسطى القريبة منها، وترى الهند أن هذا من شأنه أن يعزز "العمق الاستراتيجي الإسلامي" لباكستان. إذ أضحت هذه البلدان الناشئة هي البديل

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

لمنطقة وسط آسيا في الماضي والتي كانت لا دينية وخاضعة للهيمنة السوفيتية ومناصرة رسمياً للهند. وعلى الرغم من أن دول آسيا الوسطى تسعى لإقامة علاقات طيبة مع الهند، فإن دلهي قلقة إزاء احتمالات تعاظم الأصولية الإسلامية هناك وإزاء الدور المتنامي لبلدان إسلامية أخرى في سياسات واقتصاديات آسيا الوسطى<sup>(١)</sup>.

وقد أتت في المركز السادس بلدان آسيا الوسطى الإسلامية بنسبة ٣,٣% من العينة وتفوقت كالعادة الإيكونوميست على التاييم بنسبتي ٨٠%، ٢٠% على الترتيب، وأشد الصراعات دموية الآن في آسيا الوسطى هي الحرب الأهلية الدائرة في طاجيكستان - وهي حرب ذات طابع أيديولوجي وعرقي وإقليمي - وتدور رحاها تقريباً بين المسلمين، أى بين الأوزبيك والطاجيك وكذلك بين الطاجيك أنفسهم والمعروف أن روسيا الأصلية تربطها بالإسلام حدود خارجية واحدة وإن كانت ممتدة وهي حدودها مع كازاخستان المسلمة.

وعلاوة على الجوانب الاقتصادية والإقليمية المحددة للصراع الروسي الإسلامي في آسيا الوسطى مثل رغبة روسيا في حفظ أمنها القومي ومصالحها الاقتصادية مع هذه الجمهوريات، يوجد كذلك تراث نفسى ثقافى، فمنذ القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر كان الروس أنفسهم خاضعين لهيمنة التتار - المغول الذين أصبحوا فيما بعد يمثلون حضارة تتارية / مغولية - تركية إسلامية جنوب الوطن الروسى مباشرة. وخاضت روسيا صراعاً طويلاً على مدى قرون ضد هذه القوى التتارية التركية التى عمّدت إلى التوسع فى أراضيها وهكذا نجد الذكريات الشعبية الروسية تغوص عميقة فى سديم (الهلاك الأصفر الآسيوى) الذى لا يقتصر على الصين وحدها بل ويشتمل أيضاً على قوة الشعوب الإسلامية فى الجنوب.

(١) جراهام فوللر، إيان ليسر: مرجع سابق، ص ص ١٦٣ - ١٦٥.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

والواضح أن روسيا تشعر حالياً بالقلق إزاء التشدد الإسلامي، وليس السبب مرده فقط إلى احتمال أنه قد يؤلب الجمهوريات الإسلامية السابقة على روسيا، بل إلى أنه سيكون بإمكانه كذلك أن يشجع الاتجاهات الانفصالية بين الشعوب المسلمة داخل الاتحاد الروسي ذاته في الشيشان وتتارستان وباشكورتستان. وتواجه روسيا معضلة: أنها تخشى قوة الإسلام كعامل محتمل مناهض لروسيا في المنطقة وتلتمس في الوقت نفسه سبيلاً لأداء دور رئيسي داخل العالم الإسلامي بما في ذلك الشرق الأوسط يخلخل الهيمنة الأمريكية على هذه المنطقة. وهكذا تمثل الحدود الثقافية الإسلامية - الروسية مشكلات معقدة ومستعصية على الحل علاوة على ما تحمله من تراث ذي اتجاهين عن الإمبريالية والتوسع من جانب الطرفين<sup>(١)</sup>.

ويأتى في نهاية التقسيم الدول الأفريقية التي أخذت أقل الاهتمام بنسبة ١,٣% وقد تركز الاهتمام في مجلة الإيكونوميست فقط دون التايم وتركز الاهتمام في منطقة غرب أفريقيا وبالتحديد نيجيريا المقسمة إلى منطقتين إسلامية ومسيحية ويسعى كثيرون من المتشددين في نيجيريا إلى تحويل بلدهم إلى دولة يحكمها الإسلام وتلقوا في هذا تشجيعاً من إيران والمملكة العربية السعودية ويبدو مرجحاً أن يتعاضد الصراع بين الأهالي بشأن هذه القضايا، ويرى فولر وليسر أن الإسلام سيكون على الأرجح عاملاً هاماً من بين عوامل أعم وهي النزعة الانفصالية في مختلف أنحاء القارة، والملاحظ أنه في الغالبية العظمى من الحالات أن الإسلام في ذاته ليس هو أساس النزعة الانفصالية بقدر ما نجد الأساس في الفوارق العرقية التي تدعمها هوية دينية<sup>(٢)</sup>.

وقد احتوت فئة أخرى على مادة انفردت بها مجلة التايم وكانت متعلقة بالدين الإسلامي وهي الفئة الدينية الوحيدة في عينة الدراسة.

(١) المرجع السابق، ص ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ١٦٧، ١٦٨.

وكشفت الدراسة التطبيقية أن العلاقة بين التقسيم الجغرافي للعالم الإسلامي ونوع التدفق الخبري كانت كالآتي :

- بالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة : كانت أعلى نسبة للبلدان الأفريقية تلتها بلدان جنوب شرق آسيا ثم بلدان الشرق الأوسط غير العربية ثم البلدان العربية ثم الأقليات الإسلامية، وهي نتيجة يمكن تفسيرها بقلّة عدد أخبار البلدان الأفريقية، أما بالنسبة لبلدان جنوب شرق آسيا فهي نتيجة منطقية لأن أغلب أخبارها كانت عن نجاحات اقتصادية حققتها اتساقاً مع المنطلقات الفكرية لخطاب العولمة ثم كانت تركيا تحديداً هي التي رجحت وجود أخبار إيجابية جادة في منطقة الشرق الأوسط غير العربية وفيما يتعلق بالمنطقة العربية كانت أخبار تونس السياحية وبعض أخبار قطر والبحرين هي التي أوجدت هذه النسبة في العالم العربي ثم بعض أخبار البوسنة الإيجابية هي التي أوجدت هذه النسبة في فئة الأقليات الإسلامية.
- بالنسبة للأخبار الإيجابية الخفيفة : فانفردت بها منطقتا جنوب آسيا ببعض الأخبار الخفيفة عن مطرب باكستاني ثم المنطقة العربية ببعض الأخبار الثقافية عن تونس والسودان.
- بالنسبة للأخبار السلبية الجادة : فكانت أكبر نسبة لأخبار بلدان الشرق الأوسط غير العربية ثم الأقليات الإسلامية ثم البلدان العربية وبلدان جنوب آسيا في نفس المرتبة ثم بلدان جنوب شرق آسيا، ثم تأتي بعدها البلدان الأفريقية .. وقد رجحت أفغانستان المنطقة الأولى، وأخبار البوسنة وكوسوفو المنطقة الثانية، وأخبار العراق والجزائر المنطقة الثالثة، وأخبار باكستان المنطقة الرابعة، وأخبار إندونيسيا المنطقة الخامسة، وأخبار نيجيريا (رغم قلتها) المنطقة السادسة.
- وفيما يتعلق بفئة الأخبار السلبية الخفيفة : فقد توزعت على منطقتين: منطقة بلدان آسيا الوسطى ثم المنطقة العربية وهي أخبار في مجملها كانت قليلة في العينة.

- أما فيما يتعلق بفئة (غير محدد) : فكانت أخبار جنوب آسيا في المقدمة تلتها أخبار الأقليات الإسلامية ثم البلدان العربية.

• • •

### ثالثاً : علاقة التغطية الخبرية بحجم الدولة الإسلامية

وأوضحت الدراسة التطبيقية أنه بالنسبة لدول العالم الإسلامي فإنه ثبت إلى حد ما الفرض القائل بوجود علاقة طردية بين حجم الدولة ونسبة الأخبار المتدفقة عنها. فقد جاءت الدول الكبيرة الحجم في المرتبة الأولى بنسبة ٥٠,٧% من حجم العينة، وتوقعت مجلة الإيكونومست على التايم بنسبتي ٦٦,٢%، ٣٣,٨% على الترتيب، وتلتها الدول صغيرة الحجم بنسبة ٢٧,٦% من حجم العينة وكانت نسبتي الإيكونومست والتايم ٦٣,٣%، ٣٦,٧% على الترتيب على حين جاءت نسبة الدول متوسطة الحجم ١٩,٧% بنسبتي ٦٣,٣%، ٣٦,٧% في الإيكونومست والتايم على الترتيب.

ولعل هذا يؤكد إلى حد ما ما كتبه آل هستر Hester عام ١٩٧٣ بأن حجم الدولة ومساحتها محدد هام للتدفق الخبري بناء على العلاقات الخارجية<sup>(١)</sup>، وما رآه راسم الجمال في دراسته عن (التدفق الإعلامي من الشمال إلى الجنوب: الأبعاد والإشكاليات)، بأن الدراسات اختلفت في إثبات علاقة بين القرب المكاني وعدد السكان والمساحة وبين التغطية الخبرية أو تدفق الأخبار فبعض الدراسات أثبتت وجود مثل هذه العلاقة الارتباطية الإيجابية وبعضها الآخر لم تثبت له هذه العلاقة<sup>(٢)</sup>.

وكان الاهتمام بالدول ذات المساحة الكبيرة ممثلاً في ليبيا، كازاخستان، العربية السعودية، تركيا، إيران، الجزائر، مصر، باكستان، السودان، نيجيريا.

(١) Al Hester. Op. Cit.. pp. 238 – 247.

(٢) راسم محمد الجمال: مرجع سابق، ص ص ١٤٠ - ١٦١.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

وتمثلت الدول متوسطة المساحة في ماليزيا، أوزبكستان، طاجيكستان، سوريا، العراق، المغرب، اليمن.

أما الدول والأقليات صغيرة المساحة فقد كانت متمثلة في: الكويت، البحرين، لبنان، فلسطين، الشيشان، البوسنة، كوسوفو.

ولما كانت تركيا وإيران والجزائر وباكستان، واحتلت اهتماماً كبيراً في اهتمام الإيكونوميست والتايم فقد جاءت نسبة الدول كبيرة المساحة هي الأعلى، وكذلك لما كانت فلسطين، الشيشان، البوسنة، وكوسوفو من أكثر الدول تغطية في عينة الدراسة فقد جاءت نسبة الدول صغيرة المساحة في المرتبة الثانية بما يعنى أن هناك محددات أهم من المساحة في التغطية.

وقد خرجت بعض الفئات خارج تقسيمات الدول كبيرة، ومتوسطة، وصغيرة المساحة مثل الدين الإسلامي، الأقليات في الصين وألمانيا وانفردت بها مجلة التايم، إلا أن الإيكونوميست كالعادة كانت أثر اهتماماً من التايم في كل التقسيمات تبعاً لحجم الدولة.

وكانت العلاقة بين نوع التدفق الخبري وحجم الدول الإسلامية لها المؤشرات التالية :

- فبالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة : كانت أخبار الأقليات والفئات التي لم تصنف كدول كالدين الإسلامي في المرتبة الأولى، تلتها أخبار الدول متوسطة الحجم ثم الدول صغيرة الحجم فالدول الكبيرة الحجم.
- وكان العكس تقريباً للأخبار السلبية الجادة: كانت الدول الكبيرة الحجم في المرتبة الأولى تلتها الدول صغيرة الحجم فالدول متوسطة الحجم فالأقليات، وهي نتيجة منطقية لأن الدول كبيرة الحجم عدد سكانها كبير وفقيرة اقتصادياً بما ينجم عن ذلك

من مشكلات سياسية اقتصادية وسياسية ثم الدول صغيرة الحجم وهي ذات المشكلات سياسية في الأغلب كالبوسنة وفلسطين.

● ● ●

#### رابعاً : علاقة التغطية الخبرية بالتقسيم السكاني لدول العالم الإسلامي

أثبتت الدراسة أن هناك علاقة طردية بين عدد السكان والتغطية فكلما زاد عدد السكان في دول إسلامية كلما زاد التدفق الخبري أو زادت التغطية الخبرية. وكشفت الدراسة أن الدول الإسلامية عالية الكثافة السكانية قد احتلت المكانة الأولى بنسبة ٤٦,١% وجاءت الدول متوسطة الكثافة في المرتبة الثانية بنسبة ٣٨,٢% فيما احتلت الدول منخفضة الكثافة المرتبة الثالثة بنسبة ١٣,٨% وفي كل التقسيمات السابقة جاءت تغطية الإيكونوميست أعلى من تغطية التايم.

ويتضح من الحقيقة الإمبريقية السابقة أن عدد السكان عامل محدد أساسي في الاهتمام بدول العالم الإسلامي وهو ما يتفق مع دراسات روزنجرين التي أجراها أعوام ١٩٧٠، ١٩٧٤، ١٩٧٧ من أن عدد السكان هو أحد معيارين مع المسافة يحددان تغطية الأخبار الخارجية<sup>(١)</sup>.

ويمكن تفسير ذلك بأنه لما كانت أغلب دول العالم الإسلامي هي دول فقيرة فإن مشاكلها الاقتصادية والسياسية الكثيرة يزيدا عدد السكان الذي لا يناسب دخول هذه الدول فينجم عن ذلك أحداث تستحق التغطية إذا أخذنا في الاعتبار أن أغلب هذه الأخبار هي أخبار جادة سلبية وهي أغلب الأخبار في عينة الدراسة.

ولذلك كانت أعلى التغطيات الخبرية لدول مثل تركيا وإيران وإندونيسيا، مصر، باكستان، بنجلاديش، نيجيريا .. بينما قلت التغطيات الخبرية لدول مثل تونس، اليمن،

---

(1) J. D. Dupree, Op. Cit., pp. 224 – 335.

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

الكويت، البحرين، الأردن، بينما لم تمثل دول بالكامل في العينة عدد سكانها قليل مثل أغلب الدول الأفريقية وهذا راجع لعامل آخر هو عدم اهتمام التغطية الغربية عامة بالقارة السوداء. وهو ما يتسق مع ما ذكره ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة) بضرورة الاهتمام الغربي - الأمريكي بالأساس - بدول الأغلبية الإسلامية تركيا وباكستان ومصر وإندونيسيا، وهو نفس التوجه الذي أشار إليه روبرت تشاز Chase في دراسته عن (الدول المحورية في العالم والاستراتيجية الأمريكية) الذين أضافوا للدول السابقة الجزائر، وتعتمد فكرة الدولة المحورية على الدولة التي تحفظ الاستقرار بالنسبة للمصالح الأمريكية في دائرتها الإقليمية والدولة المحورية يدخل ضمن مكوناتها عدد السكان<sup>(١)</sup>.

ولكن الأمر ليس أحادياً كما نتصور إذ أن عوامل أخرى تتداخل مع عدد السكان لتحدد أهمية الدولة في التغطية يدخل في ذلك الموقع الجغرافي فالاهتمام الغربي بتغطية أخبار باكستان أكبر من الاهتمام الغربي بتغطية أخبار نيجيريا وهو ما يتسق مع ما أوضحته الدراسة من أن جنوب آسيا كانت أكثر تغطية من أفريقيا المسلمة.

وأبانت الدراسة أن العلاقة بين نوع التدفق الخبري وعدد سكان الدولة الإسلامية يمكن رصده في النقاط التالية :

- يتضح أنه بالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة : كانت النسبة الأكبر للدول منخفضة الكثافة السكانية ثم الدول متوسطة الكثافة السكانية فالدول عالية الكثافة السكانية وكان العكس في الأخبار السلبية الجادة وهو أمر منطقي إذ كلما زاد عدد السكان في الدولة الإسلامية كلما زادت مشاكلها الاقتصادية والسياسية وبالتالي ترتفع نسبة الأخبار السلبية الجادة.

---

(1) Robert Chase. Op. Cit., pp. 33 - 51.



- أما الأخبار الإيجابية الخفيفة : فقد ارتفعت فى الدول المنخفضة الكثافة ثم متوسطة الكثافة فالدول عالية الكثافة.

• • •

#### خامساً : علاقة التغطية الخبرية بالوضع الاقتصادى للدول الإسلامية

وكشفت الدراسة أيضاً أن أكثر الدول التى حظت باهتمام مجلتى الإيكونومست والتايم هى الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة بنسبة ٧٨,٩% يليها الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة بنسبة ١٠,٥% ثم الدول ذات التنمية البشرية العالية بنسبة ٨,٦%.

وهى نتيجة منطقية إذا علمنا أن أغلب الدول الإسلامية تقع فى تقسيم التنمية البشرية المتوسطة والذى تضم الدول ذات المساحة الكبيرة، وعدد السكان المرتفع، وكذلك أغلب الدول العربية وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا، والدول الشرق أوسطية غير العربية (أنظر جدول الدول فى الفصل الأول، أما الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة فهى بعض الدول العربية ذات الكثافة السكانية المتوسطة أو المنخفضة ومعظم الدول الأفريقية الإسلامية. أما الدول ذات التنمية البشرية العالية فهى - بجانب سلطنة بروناى - أغلب الدول الخليجية النفطية الغنية.

ومن الملاحظ أن الإيكونومست كانت أكثر اهتماماً من التايم بالدول ذات التنمية البشرية المتوسطة والمنخفضة بينما كان الأخيرة أكثر اهتماماً بالدول ذات التنمية البشرية العالية ربما بسبب اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الخليج أكثر من بريطانيا .. وإن كانت هذه النتيجة تحتاج لدراسات أخرى لإثباتها.

وكشفت الدراسة أن العلاقة بين نوع التدفق الخبرى والوضع الاقتصادى للعالم الإسلامى يمكن رصدها فى الآتى :

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

- بالنسبة للأخبار الإيجابية الجادة : فكانت أعلى نسبة لبلدان متوسطة التنمية البشرية ، نظراً لأن الأخبار الاقتصادية عن مشروعات جديدة أو الأخبار السياسية عن تحولات ديمقراطية كانت خاصة بهذه الدول مثل : ماليزيا، تركيا، لبنان.
- وكذلك بالنسبة للأخبار السلبية الجادة : فكانت أعلى نسبة للبلدان متوسطة التنمية البشرية وهو أمر منطقي لأن معظم بلدان العالم الإسلامي تقع في هذه الفئة، وهي الدول الحافلة بكثير من المشكلات الاقتصادية والسياسية التي تستأهل التغطية.

● ● ●

### سادساً : علاقة التغطية الخبرية بالحالة السياسية للعالم الإسلامي

أوضحت الدراسة أن الاهتمام بالدول الإسلامية المستقرة سياسياً فاق الاهتمام بالدول الإسلامية غير المستقرة سياسياً إذ كانت نسبتي الاهتمام ٥٢%، ٤٧,٤% على الترتيب فيما كانت هناك فئة واحدة صنفها المؤلف (بغير محدد) وهي الخاصة بالدين الإسلامي وليس بأي دولة أو أقلية داخل العالم الإسلامي. ولكن إذا علمنا أن الدول الأقليات غير المستقرة حسب تعريف المؤلف كانت هي أذربيجان، طاجيكستان، مصر، الجزائر، السودان، العراق، أفغانستان، فلسطين، البوسنة، كوسوفو (١٠ من أصل ٣١ فئة) وأخذت ٤٧,٤% من التغطية لخلصنا إلى أن أخبار الحروب والانقلابات والتوترات هي الأكثر تغطية في شئون العالم الإسلامي وهو ما يتسق مع نتائج التدفق والتغطية للعالم الثالث وبلدان الجنوب منذ الستينيات وحتى الآن.

ومن اللافت للنظر أن التايم اهتمت بالدول غير المستقرة سياسياً أكثر من الدول المستقرة سياسياً بينما كان العكس في الإيكونوميست وهو ما يتسق مع شخصيتي المجلتين إذ اهتمت الإيكونوميست أكثر بالأخبار المتعلقة بالتحليلات السياسية والاقتصادية بينما اهتمت التايم أكثر بأخبار النزاعات السياسية أو الاقتصادية ولذا فقد اهتمت بأخبار الدول غير المستقرة سياسياً.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

وهي نتيجة تأخذ بعين الاعتبار ما قرره المؤلف في إطاره النظري أنه سيحدد عدم الاستقرار السياسي بالحرب الأهلية والنزاعات مع جماعات المعارضة (غير الشرعية) في الدول الإسلامية أو الحروب الخارجية بين دول إسلامية وجيرانها من الدول .. ولذا خرج من إطار عدم الاستقرار السياسي الأزمات بين الحكومة والمعارضة في الدول الإسلامية.

وكانت العلاقة بين نوع التدفق الخبري والوضع السياسي لدول العالم الإسلامي لها المحددات التالية :

- كانت الأخبار الإيجابية الجادة: أعلى في الدول المستقرة سياسياً عن الدول غير المستقرة سياسياً. بينما كان العكس بالنسبة للأخبار السلبية الجادة وهو أمر متوقع أن تزيد الأخبار السلبية في الدول غير المستقرة.
- انفردت الدول المستقرة سياسياً بالأخبار السلبية الخفيفة: وهو متوقع لأن جميع أخبار الدول المستقرة سياسياً تنحو أن تكون جادة متعلقة بأحداث أو قضايا سياسية أو اقتصادية.

● ● ●

### سابعاً : علاقة التغطية الخبرية بنوع المصادر وتقسيماتها

كشفت الدراسة أن معظم المواد الإخبارية في العينة لم تحتو على مصادر بنسبة ٧٤,٣% بينما كانت بقية المواد الخبرية تجمع بين عدم إبراز مصدر الخبر وبين المصادر المعلومة ويقصد المؤلف بالمصدر هنا هو مصدر المعلومة أو Attribution وأوضحت الدراسة أيضاً أن مجلة التايم كانت أكثر إبرازاً لمصدر المعلومة من مجلة الإيكونوميست.

وإذا أردنا أن نقدم نماذج ممثلة لعدم إبراز مصدر المعلومة داخل الخبر أو Attribution في مجلتى التايم والإيكونوميست .. فقد كتبت التايم في باب ( World

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

(Watch) أو مراقبة العالم أو (عين على العالم) بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٩٧ وهو نموذج لعمود الأخبار في مجلة التايم :

*"The latest car bomb in Algeria's long-running terrorist war killed 13 people and wounded 100. But the blast marked two dates no Algerian could overlook: the fifth anniversary of the military coup in which the government rejected elections it was sure to lose – Jan. 11, 1992 – and the start of the Muslim holy month of Ramadan, the traditional season for terror attacks."*<sup>(١)</sup>

أما مجلة الإيكونوميست فقد كتبت في باب (Politics This Week) أو (السياسة هذا الأسبوع) بتاريخ ١٨ يناير ١٩٩٧ وهو نموذج لعمود الأخبار في مجلة الإيكونوميست:

*"Rebels in Southern Sudan captured several towns on the Ethiopian border. The Sudanese government blamed Ethiopian for the attack."*<sup>(٢)</sup>

وإذا تطرقنا للعبارات المنسوبة لمصدر في مجلتي التايم والإيكونوميست فقد كتبت بتاريخ ٣ فبراير ١٩٩٧ تحت عنوان : "Coming Attraction: The Movie Queen and the Mullah" عن المنافسة البرلمانية بين نجمة باكستانية ورجل دين أو ملا :

*"It is very courageous and brave of her to take on this fundamentalist leader", says Lahore human rights activist Hina Jilani. "It is the first time this area has seen a woman emerge as a leader."*

فيما كتبت الإيكونوميست بتاريخ ١٩٩٧/١/٢٥ تحت عنوان "School's Out" واصفة أحوال التعليم في مصر :

*"Nader Fergany, an educational consultant says when the government builds a new school , it is actually building a marketplace for teachers to meet their clients."*<sup>(١)</sup>

---

(1) Time, 1-20-1997.

(2) The Economist, 1-18-1997.

## صورة العالم الإسلامى فى التايم والإيكونوميست

وأبانت الدراسة لنا أن المصادر الرسمية كانت أكثر المصادر استعانة بها فى عينة الدراسة وأن مجلة التايم كانت أكثر استعانة بالمصادر الرسمية من الإيكونوميست بنسبتي ٧٦,٣%، ٢٣,٦% على الترتيب.

فى تقرير نشرته التايم فى ١٣ يناير ١٩٩٧ تحت عنوان : *With Peace in the Crossfire* عن المخاطر التى تتعرض لها عملية السلام فى الشرق الأوسط بعد حادث إطلاق النار الذى نفذه إسرائيلى مختل العقل فى مدينة الخليل أثناء المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، أوردت التايم نقلاً عن مسئول كبير بوزارة الخارجية الأمريكية الآتى :

*"Says a Senior State Department Official: "We increased the pressure from our side for an agreement to be reached."* (٢)

أما الإيكونوميست فقد اقتبست عن الرئيس الإندونيسى سوهارتو فى تقرير نشرته تحت عنوان : *"Signs of Danger"* أو علامات الخطر بتاريخ ٤ يناير ١٩٩٧ قوله :

*"A complex society", noted president Suharto of Indonesia on December 31<sup>st</sup>, "Can be vulnerable to unrest if not handled carefully."* (-)

وفىما يتعلق بالمصادر المتخصصة *Specialists* فقد كانت نسبتهما ٢٦,٥% من المصادر فى العينة وكانت المصادر المتخصصة فى التايم أكبر من الإيكونوميست بنسبتي ٩٠,٩%، ٩,١%.

فقد نشرت مجلة التايم بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٩٧ تقرير عن الحياة الرمضانية فى مصر بعنوان : *"Two Faces of Ramadan"* نقلت فيه عن المفكر المستشار طارق البشري قوله :

---

(1) The Economist. 1-25-1997

(2) Time, 1-13-1997.

(3) The Economist, 1-4-1997.

*"It's not fundamentalism that makes so many people fast and pray," says Tarek Bishry, an expert on Islamic law in Cairo.*"<sup>(١)</sup>

أما مجلة الإيكونوميست فقد نشرت بتاريخ ١ مارس ١٩٩٧ تقريراً عن الاقتصاد التركي بعنوان: "Not That Good" نقلت فيه عن المحافظ السابق للبنك المركزى فقرة تقول :

*"Among the leading septs is Rustu Saracoglu, former governor of the central bank. Ask what is wrong, and Mr. Saracoglu instantly offers a telling reply: "Short-term capital inflow."*"<sup>(٢)</sup>

وقد جاءت المصادر الأخرى فى المركز الثالث بنسبة ١٥,٦% من حجم العينة وقد كانت مجلة التايم كالعادة أكثر من الإيكونوميست فى استعانتها بالمصادر الأخرى وقد شملت المصادر الأخرى بعض مصادر الجيش ورجال الأعمال والمعارضة السياسية وعلى سبيل المثال نشرت مجلة التايم تقريراً خبرياً فى ١٠ مارس ١٩٩٧ تحت عنوان: "Bob Hasan's Gold Touch" يغطى دور رجل الأعمال الإندونيسى - من أصل صينى - بوب حسن فى الاقتصاد الإندونيسى، وقد أخذت رأى أحد رجال الأعمال فى جاكرتا فقال :

*"A Jakarta Businessman calls it "Corporates Robbery," but Hasan isn't flinching: "It's a very clear deal."*"<sup>(٣)</sup>

على حين نشرت الإيكونوميست تقريراً عن ماليزيا فى ٨ فبراير ١٩٩٧ يحمل عنواناً يقول "Sent Packing" نقلت فيه عن معارض - من أصل صينى - يقول :

*"Chinese - Singaporeans are the ones carrying the sedan chair for others."*<sup>(١)</sup>

(1) Time, 1-27-1997.

(2) The Economist, 3-1-1997.

(3) Time, 3-10-1997.

## صورة العالم الإسلامى فى التايم والإيكونومست

وجاء فى المركز الرابع المواطنون بنسبة ٩,٦% وزادت نسبتهم فى التايم عن الإيكونومست :

فقد نشرت التايم تقريراً فى ٢٤ فبراير ١٩٩٧ تحت عنوان: “Weep, Algeria, Weep” يتحدث عن العنف الذى اجتاحت الجزائر خاصة فى شهر رمضان نقلت فيه عن مدرس ببلدة ميديا :

“(١) “It was horrible” he recalls, “We heard the victims screaming for mercy.”

أما فى المركز الأخير فجاءت وسائل الإعلام من صحف وإذاعات بنسبة ٢,٤% من حجم عينة الدراسة وتساوت التايم والإيكونومست فى ذلك:

ففى تقرير نشرته الإيكونومست بتاريخ ١٨ يناير ١٩٩٧ تحت عنوان “Sad Birthday” تعرضت فيه للعيد الوطنى للجزائر الذى جاء وسط المذابح والعنف نقلت عن حديث لصحيفة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر فى لندن والتى التقت فيه السياسى الجزائرى أيت أحمد قوله :

“(٢) “Algeria, he stormed, faces an anarchic future on Somali lines.”

واستعانة التايم بمصادر أكثر من الإيكونومست تعكس نقاطاً هامة :

أولها : امتداد شبكة المراسلين فى مجلة التايم لبقاع فى العالم الإسلامى لا تهتم بها مجلة الإيكونومست التى تقتصر تقاريرها على تحليل ما ينشر فى وسائل الإعلام الأخرى.

---

(1) The Economist. 2-8-1997.

(2) Time. 2-24-1997.

(3) The Economist. 1-18-1997.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

ثانيها : الشخصية المتميزة لكل من التايم والإيكونوميست والتي تجعل التايم تشير لكل مراسليها بما فيهم المراسلون المحليون الذين تستعين بهم من عواصم العالم الإسلامي، أما الإيكونوميست فلا تنشر حتى كاتب التقرير الخبري وهو ما يعطيها شخصية تحريرية متميزة تجعلها تستخدم ما يسمى بـ (Style Book) بشكل أكبر من التايم.

ثالثها : كثرة عدد المصادر الرسمية مقارنة ببقية المصادر نظراً لسهولة وصول مراسلي التايم والإيكونوميست إليها مقارنة بالمتخصصين ورجال الأعمال والمواطنين العاديين وهو ما يعكس ما قالته عدد من الدراسات الصحفية بأن المراسلين الغربيين يذهبون لسبلدان دون أن يكونوا ملمين بثقافتها ومفكرها وكتابها وإن كانت التايم تتميز عن الإيكونوميست في هذا الصدد.

• • •



يعالج هذا الجزء من الفصل كيفية تأطير التغطية  
الخبرية للعالم الإسلامي كما أوضحها تحليل  
الخطاب الخبري لكل من مجلتي التايم  
والإيكونوميست، حيث يشرح المؤلف الأسباب  
والحلول التي طرحتها كلا المجلتين لمشكلات  
العالم الإسلامي، ثم ينهي المؤلف عرضه بتوضيح  
البنية البلاغية للعناوين .

## تحليل أطر التغطية الخبرية عن العالم الإسلامي

• • •

### أولاً : أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامي

وكشفت الدراسة أنه في عرض مشكلات العالم الإسلامي كانت ٣٩,٧% من أخبار  
عينة الدراسة تحتوى على أسباب تتسق مع خطاب العولمة الاقتصادي والسياسي أو  
الإعلامي والثقافي، بينما عرضت ٩,٥% من العينة أسباباً أخرى خارج إطار العولمة،  
بينما لم ينجح المؤلف في وضع ١٣,٩% من الأسباب التي ذكرت تحت أى تصنيف سواء  
متسق مع خطاب العولمة أو مفارق لها، فيما كانت هناك نسبة كبيرة من أخبار العينة  
٣٦,٨% لا تحتوى على أية أسباب، واستحوذت الأخبار الصغيرة فى أعمدة الأخبار على  
جل هذه النسبة. ومن الجدير بالذكر أن الإيكونوميست كانت أكثر طرحاً لأسباب خطاب  
العولمة من التايم.

فيما أبانت الدراسة أن ١٤,٤% فقط من أخبار العينة احتوت على حلول تتسق مع  
خطاب العولمة بينما عرضت ١٠% من أخبار العينة حلولاً استعصت على التصنيف فيما  
كانت ٧٥,٦% من أخبار العينة لا تحتوى على أية حلول .. وهى نتيجة هامة توضح أن  
أغلب تركيز التغطية كان على عرض المشكلات وأسبابها دون حلولها .. أى لم يحاول

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

المراسلين أو المحررين اللجوء لمصادر حية أو تقارير أو دراسات تقدم حلولاً للمشكلات المعروضة. كما كانت الإيكونوميست - أيضاً - أكثر طرحاً للحلول المتسقة مع خطاب العولمة من التاييم.

وفيما يلي يوضح التحليل الكيفي للمناطق الجغرافية المختلفة للعالم الإسلامي كيف تم تقديم أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامي.

### ١ - المنطقة العربية :

ليست المنطقة العربية بالطبع كتلة صماء ففيها كما أوضحنا عدة بقاع ساخنة أهمها الصراع العربي الإسرائيلي، والعنف السياسي في الجزائر ومصر، والحرب الأهلية في السودان، فضلاً عن الاضطرابات في منطقة الخليج العربي.

فإذا نظرنا للصراع العربي الإسرائيلي وفي بؤرته القضية الفلسطينية لا نجد أسباباً مباشرة يطرحها خطاب العولمة وإنما أسباباً غير مباشرة، فعلى سبيل المثال تريد الولايات المتحدة أن تحسم الصراع العربي الإسرائيلي حماية لمصالحها ومصالح الغرب في هذه المنطقة الحساسة من العالم، ولذلك فقد كانت ضد ممارسات رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو في عرقلة عملية السلام الكفيلة - إذا أنجرت - أن تؤهل المنطقة لمناخ تزدهر فيه المصالح الغربية والأمريكية بالأساس، ولذا يمكن أن نجد في التقارير التي نشرتها التاييم أسباب مشكلات هذه البقعة من العالم الإسلامي هي :

- بناء مستوطنة في حارحوما وعرقلة نتنياهو لعملية السلام لافتقاده الخبرة السياسية،  
تعقد المشكلة لوجود جماعة (حماس) التي ترتكب عمليات "إرهابية" بحق الشعب الإسرائيلي، وفيما يتعلق بلبنان كانت الأسباب هي الوجود السوري الذي لا يساعد على حل الوجود الإسرائيلي في جنوب لبنان وكذلك فعاليات حزب الله في مواجهة

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونوميست

الاحتلال الإسرائيلى للحزام الأمنى فى الجنوب، وفيما يتعلق بسوريا كان مد جنوب أفريقيا لدمشق بالسلاح من بين مشكلات هذه المنطقة.

وإذا تطرقنا إلى الحلول، فأكثر من تقرير لم يطرح أية حلول، فيما عدا تقارير قليلة كانت الحلول محصورة فى الجهود الأمريكية وإرسال دنييس روس إلى المنطقة للوساطة بين جميع الأطراف.

وفيما يتعلق بالجزائر فكانت الأسباب التى طرحتها التاييم هى الحكم العسكرى الذى يجعل الأمور أكثر سوءاً، واستبعاد القوى الإسلامية المعتدلة مثل العناصر التى لا تنتهج العنف فى جبهة الإنقاذ الإسلامية وترك الساحة مفتوحة لعناصر أكثر تطرفاً من الجماعة الإسلامية المسلحة، وكذا الإجراءات غير الديمقراطية مثل قتل وتعذيب المشتبه فيهم واعتقال المعارضين ومنع المظاهرات وغلق الصحف المستقلة غير الحكومية، وكانت الحلول المطروحة هى اشتراك جبهة الإنقاذ الإسلامية فى السلطة (وذلك فى الفترة التى كان فيها لعباس بلحاج علاقات مع أمريكا) فيما قدمت التاييم أيضاً تدويل المشكلة دون ذكر الكيفية مع استبعاد بالطبع أية حلول عبر الجامعة العربية أو منظمة الوحدة الإفريقية أو المؤتمر الإسلامى.

وفى مصر كانت أسباب المشكلات هى اختلاف رؤى الحكومة وأغلبية الشعب المصرى عن رؤى المتشددىين. الإسلاميين مثل جماعة الإخوان المسلمين دون طرح حلول، أما عن الأسباب التى أدت لظهور ظاهرة مثل عبادة الشيطان كانت الأسباب بالفعل ضد خطاب العولمة فهى الاستقطاب فى المجتمع المصرى نتيجة للأحوال الاقتصادية المتدهورة فضلاً عن القمع السياسى، وكما قدمت التاييم وصفاً للمجتمع المصرى فهو "مجتمع محصور بين الضغوط الغربية والإسلامية" وهى بعض من أزمة مصر الحقيقية.

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونوميست

أما فيما يتعلق بالخليج فكانت المشكلات محصورة فى هجرات الباكستانيين والبنجلاديشيين والهنود غير الشرعية إلى المملكة العربية السعودية والنزاع بين قطر والبحرين على مجموعة من الجزر وكانت الحلول هى الوساطة السعودية.

أما الإيكونوميست فقد كانت الأسباب التى طرحتها للصراع العربى - الإسرائيلى هو اختلاف وجهات النظر بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والموقف الصعب لرئيس الوزراء بنامين نيتياهو إزاء تشدد الليكود، ووجود جذب الله فى جنوب لبنان وكانت أغلب التقارير لا تطرح حلولاً أما بعضها فأنحصر فى الدور الأمريكى ونديس روس دون أى ذكر للدور الأوروبى، أو للاحتكام إلى اتفاقات أو سلو.

وفىما يتعلق بالجزائر، فكانت الأسباب انقلاب الجيش على الديمقراطية، والصراع بين العرب والبربر، واستبعاد جبهة الإنقاذ من الحياة السياسية، والحل انحصر فى ربط المساعدات الاقتصادية للجزائر بالديمقراطية الحقيقية وأن تدخل جبهة الإنقاذ ضمن المعادلة السياسية ولم تطرح المجلة تدويل الأزمة.

أما التقارير التى نشرت عن العراق، فكانت أسباب المشكلات منحصرة فى إصرار الرئيس صدام حسين على الخداع وإصرار الأمم المتحدة على تطبيق قراراتها ولم تطرح حلول لهذه الأزمة (فيما كانت الحلول خارج إطار الخطاب الصحفى ممثلة فى تطبيق الولايات المتحدة للشرعية الدولية بالعنف)، أما فيما يتعلق بمصر فقد كانت أغلب الأسباب متعلقة بالقضايا الاجتماعية مثل التعليم مثل التطبيق الاشتراكى الذى لم يحل أزمة التعليم، والتطرف الإسلامى الذى كان سبباً لتراجع وضع تعليم المرأة خاصة فى الصعيد، والزيادة السكانية المستعصية على الاحتواء وكانت الحلول - كما كانت الأسباب - متسقة مع خطاب العولمة فهى خصخصة التعليم، تخفيض عدد المواليد، ومساهمة المنظمات الدولية مثل اليونيسيف بالأفكار الجديدة، وفيما يتعلق بالسودان فكان السبب وراء مشكلاته

الحرب الأهلية والحكومة الأصولية وقد طرح خيار انفصال الجنوب كحل في شكل توقع أو Inference.

## ٢ - البلدان الشرق أوسطية غير العربية :

في عرض مجلة التاييم للتقارير عن أفغانستان لم يبرز التشدد الإسلامي أو (الأصولية الإسلامية) كسبب مباشر ولكنه عُرض في سياق الحرب الأهلية في أفغانستان والتدمير الحادث في البلاد عبر حرق أجهزة التلفزيون والفيديو ومنع البنات من الدراسة في المدارس وهروب المثقفين من البلاد بعد إجبار الرجال على إطلاق لحاهم ولم تقدم التقارير أية حلول للحرب الأهلية، على حين كانت الأسباب وراء مشكلات تركيا هي عدم ملاءمة الاتفاقيات الدولية لحقائق العصر مثل اتفاقية (مونثرو) التي تنظم الملاحة في المضائق التركية، وكان الحل الدعوة لإيجاد اتفاقية بديلة.

أما في مجلة الإيكونومست فكانت أسباب مشكلات هذه المنطقة أكثر "تأطيراً" ووضوحاً، ففي أفغانستان كانت الحرب الأهلية جنباً إلى جنب مع سياسة الطالبان المتشددة إسلامياً والتي ظهرت تمثلاتها في تعويق عمل المنظمات الدولية التي تساعد المرأة في أفغانستان لدرجة ترحيل اثنين من العاملين الفرنسيين اللذين تحدثا مع بعض النسوة الأفغان، وكانت الحلول هي اعتراف أمريكا بكل القوى لحل الأزمة سلمياً، وفيما يتعلق بتركيا فقد كانت المشكلات اقتصادية أسبابها هي عجز الموازنة والبدائيات المتأخرة للخصخصة والتضخم ومفارقة نصائح البنك الدولي، وسياسية أسبابها محاولة نجم الدين أربكان خرق الدستور وتدمير العلمانية وانتهاجه سياسة مائعة لإرضاء العلمانيين والإسلاميين في نفس الوقت لحفظ منصبه وكذا انتهاكات حقوق الإنسان واحتمالات الانقلاب العسكري فضلاً عن النزاع مع اليونان، وكانت الحلول مطروحة بمفهوم المخالفة في زيادة إيقاع الخصخصة وإبعاد شبح وصول الإسلاميين للسلطة مرة أخرى وعدم إثارة العسكر في تركيا. وبالنسبة لإيران كانت أسباب المشكلات الفساد السياسي وتحالف طبقة

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونومست

البازار مع المللى وتمرد الجيل الجديد الذى لا يرضيه صورة بلاده خارجياً لاسيما مع توجس الدول الغربية من السياسات الإيرانية، ثم عندما فتح باب الترشيح لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٧ كانت الأسباب الصراع على السلطة بين المتشددين والمعتدلين، وكانت الحلول المطروحة - كما لو كانت تنبؤاً لما حدث - هو البحث عن مرشح جديد معتدل يعيد الأمل للطبقات المطحونة فى إيران.

وهى أسباب - إذا أجملنا لكل المنطقة - تتواءم مع خطاب العولمة وحلول تحقق أهداف الطبقة الرأسمالية عبر القومية من استغلال بترول وغاز آسيا الوسطى مع استقرار الأوضاع فى أفغانستان وتحقيق تركيا لشروط "روشة" البنك الدولى، وتخلي إيران عن خطابها المعادى للغرب.

### ٣- بلدان جنوب شرق آسيا :

كانت الأسباب التى طرحتها التاييم لمشكلات إندونيسيا هى استئثار سوهارتو بالسلطة دون معارضة، واضطهاد الأقليات الصينية الغنية واضطرابات العمال، وفساد أبناء سوهارتو الذين يريدون الاستحواذ على نصيب من كل المشروعات الاقتصادية فى إندونيسيا ولم تطرح حلول سوى السعى الفردى لبعض رجال الأعمال مثل (بوب حسن) لحل التناقضات فى المصالح الاقتصادية، وفيما يتعلق بماليزيا كانت المشكلات - إن جاز لنا التعبير - من صنع القدر بمصرع أحد أهم رجال الأعمال فى ماليزيا والذى كان موضع ثقة الرئيس الماليزى محاضر محمد.

أما فى الإيكونومست فتركزت أغلب المشكلات الاقتصادية فى الفساد السياسى الذى يهدد إمكانات إندونيسيا الاقتصادية والأزمة الاقتصادية التى يعيش فيها المسلمون فى مقابل غنى الأقلية الصينية، أما الأزمات السياسية فكانت مركزة فى الاضطرابات العرقية والطائفية بين الصينيين والمالايو، وبين المسلمين والكاثوليك بما يستدعى تدخل الجيش فى أعمال قمع لا يرضى عنها المجتمع الدولى ورجال الأعمال الكونيين، فيما كانت مشكلات

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

ماليزيا منحصرة في الهجرات غير الشرعية من بنجلاديش وباكستان والتي تهدد "المعجزة الاقتصادية" الماليزية وذلك قبل انهيار أسواق المال في هذه البلدان في نهاية عام ١٩٩٧.

ونستطيع أن نجمل أن أغلب الأسباب متسقة مع خطاب العولمة المحذر من تأثير الاضطرابات العرقية والطائفية على "البيزنس"، والقلق من الفساد السياسي الذي يمكن أن يفسد تدفق رؤوس المال الكوكبية.

٤ - الأقليات المسلمة :

أجملت التاييم مشكلات الأقليات المسلمة التي كانت معظم تقاريرها متعلقة بمنطقة البلقان والشيشان في محاولة الشيشان الانفصال عن روسيا والجرائم المنتشرة في المنطقة ذات الحكم الذاتي، وفي عدم استقرار الأوضاع في البوسنة بما يهدد باشتعال الموقف من جديد وكذلك عدم محاكمة مجرمي الحرب الذين مازالوا مطلقو السراح، وفي كوسوفو قمع الرئيس الصربي ميلوسفيتش لمحاولة الانفصال، وتمرد الألبان على محو هويتهم، فضلاً عن التعقيدات التاريخية في المنطقة، كما ظهر في العينة تقرير يرجع أسباب المشكلات لعدم رضا بعض البروتستانت في ألمانيا على أداء المسلمين لبعض شعائر دينهم مثل إذاعة الأذان.

وفي الإيكونوميست كانت مشكلات الشيشان في عدم الاستقرار السياسي وشيوع أعمال السلب والنهب، والحرب مع روسيا التي استنفذت موارد الدولة وقُدمت الحلول بالاعتماد على روسيا، واللجوء للاستعانة ببعض الأموال من رجال أعمال عرب أغنياء مثل عدنان خاشقجي، وفي البوسنة أوردت المجلة أسباباً تتعلق بتداعيات الحرب بين المسلمين وصرب البوسنة التي تتمثل في ممرات وبلدات صغيرة لم تحسم أوضاعها اتفاق دايتون للسلام وكانت الحلول هي التدخل الأمريكي عن طريق مبعوث السلام أوين وكذا تسليح الولايات المتحدة لمسلمي البوسنة لمعادلة القوى في المنطقة.

## صورة العالم الإسلامي في التايم والإيكونوميست

ونعلق فنقول أن الأسباب في هذه المنطقة من العالم الإسلامي لم تتسق تماماً مع خطاب العولمة، وإن كانت الحلول بتعظيم الدور الأمريكي كقطب يملك إحلال السلام في أية منطقة في العالم متسقة مع ما أوردناه في خطاب العولمة السياسي.

### ٥ - بلدان جنوب آسيا الإسلامية :

كانت الأسباب التي طرحتها التايم لهذه المنطقة متمثلة في الفساد السياسي المستشري بين السياسيين الباكستانيين، والصعوبات الاقتصادية التي تعوق اندماج باكستان في الاقتصاد الكوني وسيادة انساق من علاقات الإنتاج تدرج تحت مسمى (ما قبل الحداثة) وهي علاقات الإنتاج الإقطاعية بتأثيراتها السياسية السلبية، وسيادة قيم ضد الحرية الفردية ممثلة في حجر أسرتين على زواج شاب وفتاة. أما الحلول فكانت شبة منعدمة في تقارير التايم ولم تذكر بشكل مباشر وإنما تعنى بمفهوم المخالفة عكس ما ذكر من أسباب.

أما الإيكونوميست فأوردت أسباب مشكلات باكستان في فساد السياسيين وتدخل الجيش في السياسة (وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٩٩ بالانقلاب العسكري الذي وقع ضد نواز شريف رئيس الوزراء الذي كسب انتخابات ١٩٩٧)، الديون الخارجية الكبيرة وصعوبات الخصخصة وتهرب المواطنين من دفع الضرائب كما برز العامل الخارجي بالتوتر بين الهند والباكستان الذي يمكن أن يسفر عن حرب رابعة بينهما خاصة مع عدم حسم قضية إقليم كشمير، وكانت الحلول هي إيجاد حلول سلمية لمشكلة كشمير وتدعيم العلاقات الاقتصادية مع الهند كما يطلب رجال الأعمال والإسراع بإيقاع الخصخصة. أم بنجلاديش فكانت مشكلاتها يسببها التخلف السياسي الذي يعوق تقدمها الاقتصادي بتناحر الأحزاب الذي يسبب عدم الاستقرار الذي يسلم إلى عدم جذب رؤوس الأموال للاندماج في الاقتصاد الكوني.



## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونومست

وربما لا تنطبق أجندة العولمة على منطقة كما تنطبق على جنوب آسيا بالمنطقة متخلفة سياسياً - بمعيار العولمة - لعدم وجود ديمقراطية حقيقية وكذا استحواذها على عدد سكان كبير معظمه فى أحوال اقتصادية متردية بسبب الأمية وحافلة بموجبات الانفجار كونها تضم منازل عرقية وطائفية .. والحلول شبه يوتوبية فى الاستقرار الذى يجذب رؤوس الأموال دون أدنى نظر أو مناقشة عبر إيراد رأى آخر يفيد أن آليات السوق ربما تلحق كارثة لهذه الشعوب.

### ٦- بلدان وسط آسيا الإسلامية :

اهتمت مجلة الإيكونومست فقط بهذه المنطقة كما سبق الإشارة، وكانت أسباب المشكلات فى كازاخستان السعد العرقى واللغوى وهو ما يعيدنا لخطاب صمويل هنتنجتون عن منطق الصراعات الكوكبية القادمة، وعدم ملائمة لغة كاللغة الكازاخية للعصر وليس هناك حلول، أما فى أوزبكستان فالأسباب هى عدم تطبيق التعددية الجزبية وقمع المعارضة وتباطؤ الحكومة فى التحول لاقتصاد السوق ولا حلول اللهم إذا اعتبرنا عكس ما تقدم حلاً، وفى طاجكستان كانت الأسباب الخوف من امتداد التشدد الإسلامى من أفغانستان لجارتها وتداعيات تفكك الاتحاد السوفيتى السابق الممثل فى بحث الشعوب التى كانت تنضوى تحت اتحاده عن هويتها والحلول هى مسكنات مثل تدخل روسيا بالجيش لحماية الحدود الطاجيكية وسعى إيران للوساطة.

ونلاحظ - أيضاً - أن أغلب الأسباب متسقة مع خطاب العولمة وإن كانت الحلول ليست كذلك لخوف الولايات المتحدة من التدخل المباشر فى هذه المنطقة التى تعتبرها روسيا ساحتها الخلفية فضلاً عن خوف الغرب عامة - والولايات المتحدة خاصة - من استثناء التشدد الإسلامى فى بلدان آسيا الوسطى الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن البلدان الأفريقية المسلمة رغم ورودها فى العينة فقد كانت الأخبار عنها مجردة أخبار صغيرة فى أعمدة أخبار ولم يوضح أسباباً أو حلولاً لمشاكل إذ

كانت الأخبار مثلاً المتعلقة بتنزانيا تذكر بعقد جلسة للمحكمة الدولية لجرائم الحرب في رواندا في المدينة (أروشا) <sup>(١)</sup>.

● ● ●

### ثانياً : تحليل البنية البلاغية للعناوين

أفاد المؤلف في تحليله للبنية البلاغية لعناوين كل من مجلتى التاييم والإيكونومست من تحليل (جون ستروك) لخطاب الفيلسوف والناقد الفرنسي ميشيل فوكو في استخدامه للمجاز البلاغى مثل <sup>(٢)</sup> :

- المفارقة Paradox : (من طلب الموت أعطيت له الحياة).
- جمع المختلف Oxymoron : (نار باردة).
- التعاكس Chiasmus : (الحياة هي الأمل والأمل هو الحياة).
- الإخلال في الترتيب الطبيعى للكلمات Hystron Proteron : (سود الليالى - الليالى السوداء).
- بعد المأخذ Metalepsis : (بارك الله البطن الذى حمل أباك).
- التكنية Anatonomasia : (أم القرى - دار السلام - الفيحاء).
- الاستحضار Prolepsis : (واحر دمعى عندما أراك قتيلاً).
- السُتورية Pun - Paronomasia : (طرقست الباب حتى كل متنى، فلما كل متنى كلمتى).
- قلب المعانى Antiphrasis : (أنظر تلك الغادة الحسناء [يقصد عجوزاً شمطاء]).

---

(1) Time, 20-1-1997.

(٣) جون ستروك، مرجع سابق، ص ص ١٢٨، ١٢٩.

- المبالغة Hyperbole : (جنوده بعدد رمال الشيطان).
- التخفيف Litotes : (الغنى : لست محتاجاً إلى الصدقات).
- السخرية Irony : (كالنار كلما غذيتها زادت جوعاً).

#### أ- مجلة التايم :

#### ●● المنطقة العربية :

فيما يتعلق باستخدام التايم لعناوين تقارير المنطقة العربية بلاغياً فقد رصد المؤلف عدداً من الأساليب منها المفارقة في عناوين (Going Nowhere Fast) فيما يتعلق بهجرة الباكستانيين والهنود غير الشرعية إلى السعودية، (Playing With Fire Powe) عن تسليح جنوب أفريقيا لسوريا وهو عنوان يعكس عداوة الولايات المتحدة لسوريا، وكأنها طفل صغير يلعب بالنار أو الكبريت، وكذلك جمع المختلف أو Oxymoron في عنوان (With Peace in the Crossfire) عن حادثة إطلاق مهووس إسرائيلي النار على مجموعة من الفلسطينيين في أعقاب اتفاق الخليل ، والتساؤل الاستنكاري في ( How Many Must Die? ) بعد مصرع عدد من الجنود الإسرائيليين في جنوب لبنان، والتورية المسجوعة Pun في عنوان (Bibi's Black Days) عن المصاعب التي يلاقيها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتينياهو، والاستحضار Prolepsis في عنوان (Weep, Algeria, Weep) عن العنف الدموي في الجزائر في رمضان، والتكنية في (An Island in the Storm) عن السلام الإسرائيلي - الأردني الذي تحقق ولكنه تأثر بعملية إطلاق النار على مجموعة من التلميذات الإسرائيليات والتي نفذها جندي أردني. فضلاً عن التورية Pun في عنوان (Megadeth on the Nile) وهو التقرير الذي عالج قضية عبدة الشيطان في مصر، و Megadeth هو اسم فرقة (هارد روك) قيل أن الشبان الذين قبض عليهم في القضية قد حازوا أغانيها والتي تتحدث بعض كلماتها عن الشيطان،

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونوميست

ولكن التورية كانت في أن Megadeth وتنقصها حرف (A) تعنى الموت الجماعي. وذلك بعد أن قرر المفتي أنه يجوز إعدام هؤلاء الشبان.

### ●● منطقة الشرق الأوسط غير العربية :

عنوان (The Dire Straits) يحمل تورية Pun وبعد مأخذ Metalepsis في نفس الوقت فالعنوان يعنى المضايق العظيمة والصعوبات الجمة وكان متعلقاً بمشكلة الملاحة في المضايق التركية، أما عنوان (Mullah with a Mission) الذى كان يصف الملا محمد عمر زعيم حركة طالبان في أفغانستان فهو يحمل جناساً.

### ●● الأقليات الإسلامية :

يمكن أن نلمح التورية في عنوان ( No Rest in the Ruhr ) فمنطقة الروهر الألمانية مشتهرة بمصانع الصلب التى تعمل ماكيناتها ليلاً ونهاراً، ولكن عدم الهدوء كان بسبب إذاعة المسلمين لأذانهم من المساجد، وفي الشيشان وانتخابات الرئاسة فيها نقرأ عنواناً يحمل جناساً وجمعاً للمختلف (Ballots Over Bullets) الانتخابات وطلقات الرصاص.

### ●● منطقة جنوب شرق آسيا :

كانت عناوين تقارير هذه المنطقة مقدمة دون مجاز تقريباً مثل ( Neighborly Gesture) عن اعتذار سنغافورة لماليزيا، (Malaysia Inc. Loses a Favorite Son) عن مصرع رجل أعمال ماليزى فى حادث، (Partners) عن تعاون جنوب أفريقيا وماليزيا ، ( Trails of Labour Leader ) عن محاكمة زعيم عمالى فى إندونيسيا ، إلا عنواناً واحداً هو (Bob Hasan's Gold Touch) واللمسة الذهبية لرجل الأعمال الإندونيسى تحمل تورية فهو قد حل مشكلة خلاف مجموعة شركات على منجم ذهب فى إندونيسيا كما يحل مشكلات بين أبناء سوهارتو.

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونومست

### ●● منطقة جنوب آسيا :

ولما كانت هذه المنطقة كانت حافلة الأخبار السلبية فقد زادت فيها العناوين المجازية البلاغية فنقرأ العنوان الجميل الذى يحمل سخرية وتكنية ( Coming Attraction: The Movie Queen and the Mullah) المستعار من الخطاب السائد فى الأخبار الفنية (التحفة القادمة: نجمة الأفلام والملا) عن صراع راقصة سابقة ورجل دين باكستانى على مقعد فى انتخابات المحليات، وفيما يتعلق بالانتخابات البرلمانية الباكستانية نقرأ عنواناً يحمل تكنية (Round Two) وكأن الصراع بين بناظير بوتو ونواز شريف مثل حلبة ملاكمة، وفى العنوان الساخر (Something Might Work?) نقرأ أن رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف قد ألغى أجازة يوم الجمعة وجعلها الأحد لمساعدة رجال الأعمال ونهى عن إنفاق الأموال فى الأفراح!!، كما يمكن أن نقرأ عناوين أخرى تعكس الخلفية الأوروبية المتحررة من الإقطاع والتى بذلت جهداً كبيراً للتخلص منه كما فى عنوان (Fudal Curse) عن مشكلات باكستان الاقتصادية.

ب- مجلة الإيكونومست :

### ●● المنطقة العربية :

كان عنوان التقرير المناقش لمشكلة التعليم فى مصر والدروس الخصوصية (School's Out) أشد العناوين حملاً للسخرية Ironical فالعبارة السابقة معناها الحرفى خروج التلاميذ من المدرسة بعد اليوم الدراسى، ولكن الإيكونومست قلبت المعنى Antiphrasis بما يعنى أن كل الدروس تتم خارج المدرسة، وكان عنوان ( Trouble in the Firm) عنواناً يحمل تكنية، ورئيس الوزراء اللبنانى رفيق الحريري الذى يعمل رجل أعمال يواجه مشكلات داخل الدولة الصغيرة، التى شبهتها المجلة بالشركة، أما عنوان (Sad Birthday) فيحمل مفارقة Paradox وجمعاً للمختلف Oxymoron يصف استقلال الجزائر والاحتفال به وسط المذابح والعنف، وكان عنوان ( Lost in the

## صورة العالم الإسلامي في التاييم والإيكونومست

(Golan Heights) الذى يصف التيه الذى اعترى عملية السلام بعد توقف المسار السورى - الإسرائيلى يحمل تكنية، بخلاف ذلك كانت العناوين كلها لا تحمل مجازاً مثل (Will Netanyahu bring in Peres?) عن احتمال تشكيل حكومة ائتلاف وطنى إسرائيلية.

### ●● منطقة الشرق الأوسط غير العربية :

كانت العناوين المجازية قليلة رغم عرض مشكلات هذه البلدان كلها سياسية واقتصادية، منها عنوان (Immorality in Afghanistan) فهو عنوان صحفى رائق يحمل السخرية والمفارقة وجمع المختلف، والتقرير كان يصف القبض على اثنين من العاملين الفرنسيين تحدثوا فقط لامرأة أفغانية فلا نعرف (قلة الأدب) هذه تصف فعل الفرنسيين أم فعل الطالبان الذين يمنعون العاملين فى مؤسسات رعاية المرأة من أداء عملهم ويقبضون عليهم لأسباب - من وجهة نظر المجلة - تافهة.

وكان هناك عنوان مجازى آخر هو (No: Said the Army) عن تحذير الجيش التركى لأربكان رئيس الوزراء من تطبيق برنامجه الإسلامى الذى يخرق الدستور العلمانى، وهو عنوان استحضارى Prolepsis يفيد معنى القطع والسيطرة والتحكم، بخلاف ذلك كانت بقية العناوين عادية لا مجاز فيها مثل عنوان (Turkey's Troubles) عن مصاعب تركيا السياسية والاقتصادية الخارجية والداخلية.

### ●● الأقليات الإسلامية :

لم تكن أيضاً هناك عناوين مجازية كثيرة رغم اهتمام الإيكونومست أكثر من التاييم بالأقليات المسلمة فى الشيشان والبوسنة، وربما كان أعلاها بلاغياً هو عنوان (Year Zero) أو السنة صفر والذى كان يصف أول عام للشيشان فى إدارة شئون أنفسهم والعنوان مفارق ساخر وجامع المختلف يفيد أن الشيشان لم يحققوا شيئاً فى هذا العام،

## صورة العالم الإسلامى فى التاييم والإيكونومست

وكذلك يمكن أن نلمح عنواناً (Taiwan on the Caucasus) تايوان فى القوقاز عنوان فيه تكنية لأنه وضع الشيشان لروسيا يماثل تايوان للصين.

### ●● منطقة جنوب شرق آسيا :

لم تكن العناوين المجازية كثيرة أيضاً رغم اهتمام الإيكونومست بهذه المنطقة وتفصيلها لمشكلاتها ويمكن أن نلمح أكثر العناوين مجازية على رأس التقرير الذى يصف الهجرة غير الشرعية للبنجلاديشيين إلى ماليزيا وعودتهم قسراً إلى بلادهم ( Sent Packing) والتى تفيد - سخرية - مُعلبين مثل الأسماك فى علب الأكل المحفوظ، وهو عنوان مهين إلى حد ما.

### ●● منطقة جنوب آسيا :

لم تكن هناك عناوين تحمل بلاغة أو مجاز . كانت كل العناوين بسيطة Plain مثل (Fresh Start?) عن محادثات السلام بين الهند وباكستان وقد وضعت علامة الاستفهام التى تستخدمها الإيكونومست مثل علامة التعجب، تشككاً فى إمكانية الحدوث.

### ●● منطقة آسيا الوسطى :

كانت العناوين التى استخدمتها مجلة الإيكونومست فى هذه المنطقة كلها بلاغية فعندما أرادت أن تصف الحرب الأهلية فى طاجيكستان استخدمت عنوان يحمل تكنية وهو (Hold Your Breath) أو احبس أنفاسك توطنة نبيان دلائل الحرب ومظاهرها المروعة، وعندما أرادت أن تصف صوت يعارض الرئيس الأوزبكي الذى مايزال يحكم بلاده بأساليب القهر الشيوعية كتبت (A Voice in the Wilderness) أو صوت فى البرية أو الخراب كناية عن حالة أوزبكستان، وفى كازاخستان كان هناك عنوان مفارق ساخر وهو (Speaking of Camels) الذى كان يصف رغبة الرئيس الكازاخى فى تدريس وتعميم اللغة الكازاخية ومعارضة الأقلية الروسية لذلك بأنه حوار الطرشان ..

## صورة العالم الإسلامى فى التايم والإيكونومست

والستهكم فى العنوان مهين إلى حد ما أيضاً نتيجة لاشتہار كازاخستان بنوع من الجمال ذات السنامين الذى يتكلم الرئيس الكازاخى "عن" مشكلة بشأنها.

### تعليق عام على بلاغة عناوين عينة الدراسة :

- بشكل عام كانت عناوين التايم أكثر ثراء من الناحية البلاغية من عناوين الإيكونومست فقد استخدمت أكثر من أسلوب بلاغى من جهة وتوزعت عناوينها البلاغية على كل مناطق العالم الإسلامى التى غطتها من ناحية أخرى.
- كان استخدام التايم للمفارقة والسخرية يتم بشكل "رائق" إن جاز التعبير دون امتداد التهكم للإهانة بما يعكس دعاية خشنة كالتى استخدمتها الإيكونومست فى حالة البنجلاديشيين والباكستانيين فى ماليزيا أو لوصف اللغة الكازاخية.
- كلما زادت التغطية السلبية الجادة فى منطقة ما بعرض مشكلاتها السياسية والاقتصادية كلما زادت "بلاغة" العناوين وخاصة السخرية والمفارقة.
- كلما زاد عداؤ الولايات المتحدة وبريطانيا لدولة ما، زاد الاستخدام البلاغى للعناوين خاصة السخرية والمفارقة لجذب القارئ للموضوع، والعكس بالعكس كلما اتسق موقف الدولة الإسلامية من العولمة مع موقف القوى الغربية كلما قل الاستخدام البلاغى للعناوين كما فى حالات ماليزيا، والسعودية.

●●●





# الخاتمة







سيقوم المؤلف بعرض مركز لأبرز النتائج الإمبريقية العامة وأكثرها دلالة Most Telling فيما يتعلق بالتغطية الخبرية كل من مجلتى التايم والإيكونومست خلال الثلاثة شهور الأولى من عام ١٩٩٧، وذلك فى المحورين الرئيسيين اللذين اختارهما لدراسة: التدفق الخبرى، وتأثير الإطار، وفى عرض المؤلف لأبرز نتائج دراسته سيدير مناقشة لهذه النتائج فى ضوء الدراسات السابقة عن تغطية الإسلام، وكذا فى ضوء المقولات النظرية لخطاب العولمة لاسيما فى تجلياته الإعلامية.

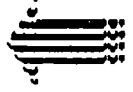


### فى ضوء الفصل الثالث توصل المؤلف إلى النتائج التالية:

❁ كانت التغطية الخبرية للعالم الإسلامى (دوله - أقلياته) فى عينة الدراسة متناسبة إلى حد كبير مع عدد سكانه. فإذا كان المسلمون يشكلون ربع سكان العالم تقريباً إذ يبلغ عددهم ١,٢ مليار نسمة<sup>(١)</sup>، فإن حجم التغطية الخبرية للعالم الإسلامى مقارنة ببقية العالم كانت ٢٢,٨% وهى نتيجة تحتاج لدراسات أخرى لإثباتها نظراً لاقصار العينة على مجلتين (التايم، والإيكونومست) وعلى ثلاثة شهور فقط هى يناير، فبراير، مارس ١٩٩٧، ولكنها نتيجة هامة فى دراسات التدفق ربما لأنه لم تجر أية دراسة كلية Macro أو عامة كنظرة عين الطائر Bird's Eye View على العالم الإسلامى الذى كانت تدرس بعض دوله أو مناطقه فى إطار دراسات التدفق المتعلقة بالعالم الثالث.

❁ كانت مجلة الإيكونومست البريطانية أكثر اهتماماً من مجلة التايم الأمريكية بشئون العالم الإسلامى، وازدادت نسبة التغطية السلبية فيها عن مجلة التايم نظراً لغلبة الأخبار السياسية والاستراتيجية والاقتصادية على تغطية الإيكونومست أكثر من

(١) عبد المنعم المشاط: مرجع سابق، ص ٢٥٧.



تغطية التايم وهى الأخبار التى يتضح فيها خطاب العولمة الاقتصادى والسياسى وانفراد الأخيرة بالأخبار الخفيفة الثقافية والفنية فى العالم الإسلامى.

✻ مازال العالم العربى (منبع الإسلام) هو بؤرة الاهتمام للتغطية الخبرية الغربية، يليه الدول الإسلامية الشرق أوسطية غير العربية، فبلدان جنوب شرق آسيا الإسلامية، ثم الأقليات الإسلامية (أوروبا والصين) يأتى بعد ذلك بلدان جنوب آسيا فبلدان وسط آسيا وفى المرتبة الأخيرة الدول الأفريقية. وهى نتيجة أرجعها المؤلف لزيادة عدد الدول الإسلامية داخل العالم العربى، وكثرة مشكلاتها التى تجتذب الصحافة العالمية لتغطيتها. فضلاً عن القرب المكانى له من أوروبا الغربية والولايات المتحدة.

✻ حازت الدول كبيرة الحجم، عالية الكثافة السكانية، ومتوسطة التنمية البشرية، المستقرة سياسياً أكبر نسبة من حجم التغطية، وهو ما يثبت عددًا من الفروض المتعلقة بالتدفق وينفى أو يعارض بعضها، يثبت أن هناك علاقة طردية بين التغطية الخبرية وكبر مساحة الدولة وزيادة عدد سكانها، ويعارض الفروض القائلة بأن هناك علاقة طردية بين حجم التغطية وزيادة نسبة الناتج المحلى الإجمالى، وكذلك يعارض الفرضية القائلة بأن أغلب التغطية تركز على أخبار الحروب (الإقليمية - الأهلية) والكوارث الطبيعية أو الانقلابات العسكرية، فقد كانت فى العينة نسبة كبيرة من الأخبار التى تغطى المشكلات السياسية الاقتصادية الخاصة بالتحول لاقتصاد السوق فى بعض الدول الإسلامية وكذا المشكلات الاجتماعية مثل التعليم والهجرة بين البلاد الإسلامية وغيرها، وهو ما جعل الدول المستقرة تأخذ حجماً من التغطية يفوق الدول غير المستقرة وإن كانت الأخيرة زاد الاهتمام بها حتى أن نسبة تغطيتها قاربت نسبة تغطية الدول المستقرة.



❁ إذا اعتبرنا الولايات المتحدة وبريطانيا هي دول المركز (أ)، فقد ثبت أن تدفق الأخبار عن دول الهوامش (ب) التي تمثل تهديداً لدول المركز قد زاد عن تدفق الأخبار عن دول الهوامش التي لا تشكل تهديداً لمصالح المركز الاقتصادية والسياسية فزادت أخبار إيران والعراق وأفغانستان وباكستان وفلسطين عن أخبار دول مثل تونس والمغرب وموريتانيا وقطر والبحرين والنيجر وتنزانيا مثلاً.

كذلك زاد تدفق الأخبار عن دول الهوامش (ب) في مجالات دول المركز (أ) إذا كانت هذه الدول ذات علاقات اقتصادية قوية بدول المركز حتى وإن لم تشكل تهديداً مباشراً لمصالح تلك الدول، ووضح في هذا السياق ماليزيا وإندونيسيا مقارنة بالجابون والسنغال وهي دول أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

❁ مازالت التغطية الخبرية تعتمد في مصادرها (رغم قلة عددها في العينة) على المصادر الرسمية، وهو ما يؤكد ما أوضحته عدد من الدراسات والمقالات عن تغطية العالم الإسلامي من أن المراسلين الغربيين في حاجة لمعرفة أوسع بتفاصيل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة في الدول الإسلامية بما يترتب عليه من استشارة مصادر أخرى غير رسمية.

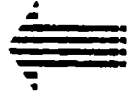
❁ مثلت السلطة التنفيذية (الروساء - الملوك - الوزراء) فضلاً عن رجال الأعمال ورجال الجيش مركز ثقل الفعل في العالم الإسلامي كقوى فاعلة داخلية كما كانت المؤسسات التنفيذية في الدول الأجنبية بجانب المنظمات الدولية هي مركز ثقل الفعل في شئون العالم الإسلامي كقوى فاعلة خارجية، واتسمت أدوار القوى الفاعلة الداخلية بالسلب إذا فارقت مصالح (الولايات المتحدة وحلفائها) وبالإيجاب إذا اتسقت مصالحها مع المصالح الغربية. وهو ما أرجعه المؤلف إلى أن الحكام في العالم الإسلامي هم قاطرة العولمة فيه ومدخل اختراقه كما أن رجال الأعمال هم اللاعبون الرئيسيون في عمليات الخصخصة والاندماج والتشبيك.



❁ كانت مجلة التايم أكثر استخداماً للمجازات البلاغية في عناوين تقاريرها من الإيكونومست، وعلى الأخص المفارقة والسخرية وجمع المختلف، والتكنية، والتورية، وبالنسبة للمقولات غلب على البنية التخطيطية اللغوية المقولات التقريرية فالتعريفية فالترقيمية فالتنبؤية وزادت المقولات عامة في الإيكونومست على التايم كما زادت في البرهنة العبارات التي تعكس أدلة على العبارات التي تؤدي وظيفة تبريرية.

❁ غاب عن الخطاب الصحفى الغربى للعالم الإسلامى أى دور فاعل لجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى سواء كان إيجابى أو حتى سلبى، وهو ما يوضح صورة هذه المنظمات لدى الغرب كمنظمات غير فاعلة فى شئون أعضائها اكتفاء ببيانات الشجب والإدانة فى غيبة آليات واضحة لتطبيق قراراتها.

وهو أمر قد اعترف به الباحثون العرب والمسلمون أنفسهم، فعلى سبيل المثال يرى أحمد الرشيدى فى دراسته القانونية - السياسية عن منظمة المؤتمر الإسلامى أن ميثاق المنظمة قد جاء فى عموميه مصطبغاً بصبغة تقليدية حيث أثر واضعوه أن يغلبوا اعتبارات السيادة الوطنية على اعتبارات الصالح الإسلامى العام وهو سبب يعزى إليه بط أداء هذه المنظمة بل وعدم فاعليتها التامة فى بعض الأحيان .. فقد غاب عن ميثاق المنظمة أى نص - صريح أو ضمنى - ضد أية دولة عضو تخرج على أحكامه. كذلك لم يقدر للمنظمة أن تضطلع بدور ذى قيمة فى مجال التسوية السلمية للمنازعات التى نشبت فيما بين دول الأعضاء مثل الحرب العراقية الإيرانية، والغزو العراقى للكويت، والنزاع السنغالى - الموريتانى. أما فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادى فقد كانت محصلته محدودة



للاغاية خاصة بالمقارنة ببعض تجارب التكامل الناجحة في العالم لتجربة دول الاتحاد الأوروبي<sup>(١)</sup>.

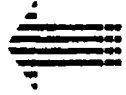
ورغم التباينات التي أوضحها المؤلف بالتفصيل في الفصل التطبيقي للدراسة فقد تشابه حقل الخطاب الغربي في الاهتمام بالمناطق الجغرافية للعالم الإسلامي من جهة، وفي بيانه للقوى الفاعلة وأدوارها، الأسباب والحلول لمشكلات العالم الإسلامي، وفي بعض تمثيلات البنية اللغوية للخطاب، وفي ظل هذا الحقل الذي يقيم علاقات تأثير وتأثر (علاقات جدلية) بين ما هو إعلامي، وسياسي، واقتصادي، وثقافي، سيقوم المؤلف بمناقشة نتائج الدراسة التي عرضها آنفاً في ضوء النظرية العامة للإعلام الدولي والعلاقات الدولية وهي العملية التي ستمد جسور نظرية قوية لفهم معنى تغطية شئون العالم الإسلامي في الصحافتين الأمريكية والبريطانية.



أولاً: تدفق أخبار العالم الإسلامي في عصر العولمة: التشاؤم يزداد تشاؤماً

مع التركيز الذي عرضناه في الفصل الثاني في ملكية وسائل الإعلام الكوكبية كجزء لا يتجزأ من التركيز والتشبيك الحادث في ملكية وسائل الإنتاج والتي تديرها - ببراعة وفي غيبة أى قوى اجتماعية ذات تأثير - الطبقة الرأسمالية العابرة للقومية والبيروقراطيات الاقتصادية الكوكبية المتحالفة معها، وصف مجيد تهرانيان، وكاثرين تهرانيان القرية الكوكبية التي بشر بها مارشال ماكلوهان بأنها أصبحت إقطاعية حديثة، بها قلعة غنية ومحصنة (مراكز العالم الصناعية والمالية والإعلامية) محاطة بمزرعة

(١) أحمد الرشيدى : منظمة المؤتمر الإسلامي: دراسة قانونية - سياسية في ضوء قانون المنظمات الدولية ، ( القاهرة : مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧)، ص ص ١٥٧ - ١٦٠.



واسعة يعيش فيها الفلاحون المعدمون الذين يصرخون طلباً للحياة والاعتبار (هوامش العالم)<sup>(١)</sup>.

وهى ليست مقولة أدبية جميلة فقط، ولكنها منطوق نظرى صائب تكشف عنه تطبيقات العلاقة بين الإسلام والغرب كما أبانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها، فالمؤلف يعتبر الهجمات على الولايات المتحدة بتحطيم برجى مبنى مركز التجارة العالمى فى نيويورك وضرب وزارة الدفاع (البنساجون) فى واشنطن صرخة طلب للحياة والاعتبار.

كما أضاف حميد مولانا Mawlana - نقلاً عن فيلانيلام Vilanilam - إلى مفارقة القرية الكوكبية موضحاً: إذا كان هناك ١٠٠ ساكن فى هذه القرية، فواحد فقط له فرصة التعليم فوق الجامعى، ٧٠ ساكن ليس لهم القدرة على القراءة والكتابة، أكثر من ٥٠ يعانون من سوء التغذية، فوق الـ ٨٠ يعيشون فى سكن أقل من المستوى الإنسانى، و ٦ فقط يملكون معظم دخل القرية، فكيف يعيش هؤلاء الستة فى سلام مع جيرانهم بدون تسليح أنفسهم حتى الأسنان ومد من هم على استعداد للدفاع عنهم بالسلاح؟!<sup>(٢)</sup>

وانتهى حميد مولانا إلى أن التقدم التكنولوجى فى عالم اليوم لا يمكن أن يحل مشكلات النظام الإعلامى والمعلوماتى، فما يحدث من اندماجات كبرى فى ملكية وسائل الإعلام الكوكبية لا يمكن فصلها عن السياق السياسى والاقتصادى لعالم القرن الحادى والعشرين، وهذا التقدم التكنولوجى - وهو الحادث فى مجال البث الفضائى وأخبار الإنترنت - لا يمكن أن يركز على الخلفيات الاقتصادية والسياسية والثقافية لموقف معين بل سيدعم التغطية السطحية المبالغة فى التبسيط. أكثر من ذلك، سيضرب النظام الكونى للإعلام صفحاً عن مطالب الدول الأقل نمواً LDC's فملاك وسائل الإعلام، وهؤلاء

(1) Majid Tehranian and Katherine Tehranian, Op. Cit., p. 164.

(2) Hamid Mawlana, Towards a NWICO for the twenty-first Century, Journal of International Affairs, Vol. 47, No. 1, summer 1993, pp. 59 - 63



الذين يملكون القوة للتأثير على توزيع المعلومات يديرون "عملية مركزية" لصناعة القرار تتجاهل الاعتبارات الثقافية، وستظل إجابة السؤال الأخلاقي من يملك توزيع المعلومات ولأى غرض هي المحددة لمحصلة أى نظام عالمى جديد<sup>(1)</sup>.

وفى هذا الإطار ليس من المتصور على الإطلاق تعديل "القانون" الذى يسير الإعلام الغربى بمقتضاه فى تغطيته لشئون العالم الإسلامى فى المستقبل المنظور على الأقل، فمن يقبل بهذه "العملية المركزية" - على حد تعبير مولانا - ستتجو صورته أو أطره من التشويه ومن يرفض سيتعرض للنبد والإقصاء أو الاحتواء - التعبير الأثير للأمريكيين - وسيتم استخدام هذه الآلة الإعلامية الكوكبية الجبارة لسحقه معنوياً تمهيداً - إذا أكمل العناد - لسحقه مادياً بالآلة العسكرية الجبارة أيضاً!!



## ثانياً: الإعلام أحد آليات صنع العدو: الإسلاموفوبيا

برغم تنامي ظاهرة الإسلام السياسى أو الإحياء الإسلامى قبل سقوط الاتحاد السوفيتى السابق كما سبق أن أشرنا فى الجزء المتعلق بالخطاب السياسى للعولمة، فإن تبلور الإسلام بما يحمله من نسق قيمى وحضارى كعدو لم يحدث إلا مع بداية عقد التسعينيات، ورغم أن مدخل التحليل المجتمعى للإحياء الإسلامى خاصة فى مكوناته الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية (التأويل المتشدد للنصوص الدينية، نفى السلطوية والقهر السياسى، ارتفاع نسبة الأمية، الأزمات الاقتصادية وتدنى مستوى الدخول) قد حاز أهمية أكاديمية يستحقها فإن بعض الدارسين بدأ مع أواسط التسعينيات فى التنبيه لدور الغرب من الإغلاء من خطورة التشدد الإسلامى، الأصولية، الإسلام المسلح ... الخ، إذ وجدت وسائل الإعلام الكوكبية المتحالفة مع الطبقة الرأسمالية عابرة القومية أنه من المريح والمفيد أن يشار إلى عدد من الدول الإسلامية بوصفها دولاً شاذة جانحة

(1) Ibid., pp. 59 - 63.



شاردة Pariah مثل إيران، العراق، سوريا، السودان، وذلك لإثارة الإسلام الراديكالي، بل وأكثر أهمية لابقائه على قيد الحياة<sup>(١)</sup>.

فعلى سبيل المثال، كانت الولايات المتحدة وليس غيرها هي التي جعلت أفغانستان بوتقة الانصهار لأعضاء جماعات العنف السياسي تحت قيادة المخابرات المركزية الأمريكية CIA وبتعاون وتمويل عدد من الدول العربية المحافظة وبعض الشخصيات الغامضة مثل أسامة بن لادن (السعودي الجنسية سابقاً) الذي كان له صلات قوية مع المخابرات المركزية، وبعد انتهاء الحرب مع الاتحاد السوفيتي السابق تفرق العرب - الأفغان إلى عدد من البلاد العربية لقلب نظام الحكم فيها (مصر - الجزائر) أو للتحصن والاختباء (اليمن) أو للمشاركة في "الجهاد" (البوسنة - كوسوفو - الشيشان)، وذهب بعضهم إلى باكستان - البلد الذي يحفل بشتى الصراعات المذهبية والطائفية الإسلامية - كمحطة انطلاق لأي من الجهات السابقة، وعندما اتهم عدد كبير منهم في حادثة تفجير مركز التجارة العالمي ١٩٩٣، طلبت الولايات المتحدة من باكستان أن تسيطر على تحركاتهم ولكن رئيس الوزراء الباكستاني آنذاك شير مازاري رد بعنف قائلاً: إن العرب - الأفغان دربتهم ومولتهم الولايات المتحدة، كان الأمريكيون أول من بدأ كل هذا، والآن ينسحبون ويتركونا نتعامل مع ذلك، هذا ليس عدلاً<sup>(٢)</sup>.

ويكمل التحليل السابق أحمد رشيد في دراسته عن عملية تصدير التطرف التي تقوم بها حركة طالبان التي تحكم ٩٠% من أفغانستان حالياً، فيرى أن الولايات المتحدة رفعت أيديها عن مساندة الطالبان رسمياً على الرغم من موافقتها على دعم حليفاتها باكستان لحركة طالبان بالمال والسلاح، بعد ذلك بدأت الحركة تمتد نشاطها خارج باكستان في جمهوريات آسيا الوسطى لاسيما طاجيكستان، وفي إقليم سينكيانج الصيني، وفي

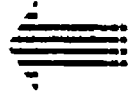
(1) Hilal Khashan. *The New World Order and The Tempo of Militant Islam*, *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 24, No. 1, May 1997, pp. 5 - 25.

(2) Ibid., pp. 5 - 25.

الشيشان مرسله من دربتهم وأوتهم إلى تلك البلدان لدعم الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى، والانفصالية في الصين، ولتتأرب بجانب الشيشان، وقد ارتأت الولايات المتحدة أن طالما مصالحها المباشرة لا تمس، فلا يجب أن تتدخل بشكل مباشر في هذه المنطقة تاركة التدخل للحظات التي يمس فيها أمنها بشكل مباشر كما حدث في حادثي تفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨، هنا بدأت وسائل الإعلام تتحدث عن أخطر "إرهابي" يضمم العداء للأمريكيين وعندما رفضت الطالبان طرده من أفغانستان قامت الولايات المتحدة بضرب معسكرات التدريب في أفغانستان جنبا إلى جنب مع بعض المناطق في السودان التي ادعت أن بن لادن يمول مصنع للأسلحة الكيماوية فيها ... وتغافلت وسائل الإعلام الأمريكية عن ذكر صلة بن لادن بالمخابرات المركزية أو دوره في تجارة الهيروين لتمويل السلاح والتي تعتبر أفغانستان أكبر مصدر له في العالم إذ أنها تنتج ثلاثة أضعاف ما ينتجه العالم أجمع من زهرة الأوبيوم Opium، التي يخلق منها الهيروين، أو عن دور عملاء المخابرات الأمريكية في هذه التجارة، وهو نموذج صارخ لتطبيق البرامجاتية السياسية الأمريكية في حالة الإسلام، نفس البرامجاتية التي ارتأت أن تظل المملكة العربية السعودية بعيدة عن "وباء" الديمقراطية حفاظاً للمصالح الأمريكية<sup>(١)</sup>. ولذا من السهل فهم لماذا "حضرت" أفغانستان في التغطية و"غابت" السعودية عنها اللهم إلا النذر اليسير الذي يبين جهود المملكة في مكافحة الهجرة غير الشرعية لمتسولي باكستان والهند، ووساطتها بين البحرين وقطر وهي وساطة ثانوية إذا علمنا أن النزاع حول الحدود قد تم حله بمعرفة محكمة العدل الدولية التي طبقت التقسيم الذي وضعته بريطانيا للمنطقة والذي يكشف عن عدم فعالية المنظمات الإقليمية العربية والإسلامية.

والإعلام الكوني الغربي في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بل وروسيا يساهم

(1) Ahmed Rashid, *The Taliban: Exporting Extremism*, *Foreign Affairs*, Vol. 78, No. 2, May 1999, pp. 22 - 36.



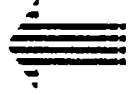
فى صنع صورة الإسلام كعدو محتمل ولكل طرف من الأطراف السابقة مصالحه الخاصة فى ذلك .. وكذلك من الجدير بالملاحظة أن الإعلام الغربى أثناء المواجهات الساخنة مع القوى الإسلامية لا يراها بعدسات العولمة الجديدة فقط ولكنه يستعيد "تركيب" العدسات التقليدية الاستشراقية والاستعمارية لترديد منطوقات تطعن فى الإسلام كعقيدة ودين وفى الشعوب الإسلامية التى تدين به على أنها شعوب بربرية غير متحضرة.



### ثالثاً: التسويق الاجتماعى والسياسى فى عصر العولمة

توسع (فنسنت موسكو) فى شرحه للاقتصاد السياسى لوسائل الإعلام فى عصر العولمة بالتركيز على عمليات التسويق الاجتماعى والسياسى بالإلحاح والحقن بدلاً من المناقشة السياسية الهادئة فى جو يعتمد الحد الأدنى من إفساح المجال للرأى الآخر ... بل - وكما قال موسكو - السعى بكل السبل لجعل الخطاب المتمخض عن عمليات التسويق الاجتماعى والسياسى يتجاوز الزمان والمكان للوصول لجماهير العالم فى أقصى الأرض فيما أسماه موسكو "Spatialization".

والأمثلة كثيرة على ذلك فى أسباب وحلول مشكلات العالم الإسلامى التى عرضها المؤلف فى دراسته كالتركيز على دور صندوق النقد الدولى والبنك الدولى فى إصلاح هياكل اقتصاديات دول العالم الإسلامى الفقيرة وتوبيخ الدول التى كانت لا تتعامل معه كالسودان أو المتلكئة كتركيا، وكذلك التوسع فى نشر أخبار الفساد السياسى فى باكستان وإندونيسيا دون التطرق لدور رأس المال المتعولم فى تنشيط هذا الفساد .. وكذا "شيطنة" أى حزب إسلامى يمسك بزمام حكم أى دولة إسلامية كما حدث فى الدراسة مع طالبان ومع مرجعية دينية للحكم مثل مرشد الثورة الإيرانية على خامنئى .. فيما خرجت أفقر الدول الإفريقية المسلمة من دائرة الاهتمام بالنسيان وتعمد الغياب وهى الدول التى لا



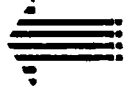
ناقلة للطبقة الرأسمالية عابرة القومية فيها ولا جمل فيما عدا نيجيريا الدولة الغنية بالبتروول.

وإذا حاولنا أن نربط التركيز على قوى فاعلة بعينها فى العالم الإسلامى بما سبق، فليس مصادفة التركيز على القوى الفاعلة التنفيذية فى العالم الإسلامى المتمثلة فى الحكام إذ أنهم ببساطة هم المعبر لعولمة العالم الإسلامى الذى يُخترق ويُستعولم من رأسه نظراً للشمولية المنتشرة فيه، وكان الفعل أيضاً من نصيب رجال الأعمال فى العالم الإسلامى كما أوضح المؤلف فى مثال بوب حسن فى إندونيسيا الذى كان القاسم المشترك فى الاتفاقات الاقتصادية وحل خلافات أبناء الرئيس السابق سوهارتو، وكذا إيداء الأسف على رحيل يحيى أحمد رجل الأعمال الماليزى المقرب للرئيس محاضر محمد.

وكذلك فإن الاستخدام البلاغى للعناوين قد اختلف من منطقة لأخرى ومن دولة لأخرى داخل نفس المنطقة الجغرافية تبعاً لرضا الغرب عنها أو سخطه فجاءت العناوين الساخرة من نصيب الدول المناهضة للعولمة مثل أفغانستان وإيران أو التى بها قوة إسلامية تستأهل الحط من قدرها كالجزائر وباكستان وهى سخرية لم تغفل منها حتى إسرائيل إذا عرضت مصالح العولمة والطبقة الرأسمالية عابرة للقومية للخطر بعدم إتمامها عملية السلام بالمنظور الأمريكى.

إذن تعاضدت كل أدوات التحليل التى استخدمها المؤلف لكشف معنى التسويق الاجتماعى والسياسى الذى رآه (موسكو) أنه خصيصة من خصائص الجناح الإعلامى للطبقة الرأسمالية عابرة القومية.

وهى ما يمكن أن يطبق على ما حدث فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتسويق مفهوم "الإرهاب"، ولذا يكون من السهل فهم غضب الولايات المتحدة والغرب على قناة الجزيرة التى أفسحت مساحات من بثها لأسامة بن لادن وأعوانه إذ أن قناة الجزيرة استخدمت نفس



أسلوب الإعلام الغربي لتسوق بن لادن لجماهير العرب والمسلمين فى إعلام يتجاوز -  
كما قال موسكو - الزمان والمكان.



رابعاً: وسائل الإعلام: هل تصالح "رؤى" مختلفة للعالم؟!

إذا انتهينا بأن رؤية الطبقة الرأسمالية عابرة القومية وجناحها الإعلامى للعالم  
الإسلامى هو الذى جعلها ترى هذا العالم من خلال عدسات خطاب العولمة الذى يُقدم  
على أنه حتمية تاريخية بانتصار الرأسمالية اقتصادياً والليبرالية سياسياً فيما توضح  
أصولية منطلقات خطابه المؤسسة والمروجة لعمليات الخصخصة والاندماج والتشبيك.

وإذا رأينا أن الفصائل الراديكالية للإسلام السياسى تقدم خطاباً مضاداً - أخلاقياً  
فى الأغلب - يرى الغرب (دوله الكبرى ومؤسساته المهيمنة) السبب الرئيسى وربما  
الوحيد فى تدهور العالم الإسلامى نتيجة حتمية تمهيداً لضرب دينه فى القلب وتمهيده  
لعمليات تنصير واسعة تصفية لحساب قديم دام ١٤٠٠ عام هى تاريخ الإسلام.

فإن المؤلف يرى أنه لن يكون هناك تفاهم بين العالم الغربى والعالم الإسلامى  
مادامت هاتان الرؤيتان هما السائدتان فى نظرة كل منهما للآخر .. بل لا أكون مغالياً إذا  
قلت أنه لن تكون هناك هدنة فى القصف الأيديولوجى المتبادل المدمر حتى لنية الحوار  
بين الطرفين وهو ما رأينا تمثلاً من تمثلاته فيما حدث بعد الحادى عشر من سبتمبر  
٢٠٠١ وأحداث نيويورك وواشنطن الدامية ورد الولايات المتحدة على ذلك بعملياتها  
العسكرية فى أفغانستان.

وتلعب وسائل الإعلام - فى الأغلب - دور العامل المساعد المهيج كما أوضح  
(جيمس هوج) المحلل السياسى لدورية (شئون خارجية)، وهو وضع استقطابى أوضح  
أشياء هامة ركز المؤلف عليها فى فصوله النظرية:

١ - تدعيم الإعلام لفوضى العالم:

وهى النقطة التى ركز عليها (جيمس روزناو) فى رؤيته أن وسائل الإعلام تعمق المواقف المضطربة للفعل السياسى بتسريع الاستجابات للأحداث والتى قد لا تكون مدروسة بالقدر الكافى فتؤدى إلى تعقيد المشكلات بدلاً من حلها، وكذا الانقلابات فى السياسات من النقيض إلى النقيض، وهو ما رأى أنه ينبغى بصدده أن يتم التأسيس لعلم يسمى علم الفوضى أو التركيب لاستخلاص معنى متماسك فى غمار الفوضى والاضطراب الذى يكمن وراء الأحداث المعاصرة.

وهى المنطوقات النظرية لـ (روزناو) التى رأينا تمثلات تطبيقية لها فى معالجة الإعلام الأمريكى والغربى لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ورد وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى عليها، وهى الفوضى التى أعادت على مسامع جماهير العالم مقولات المواجهة بين الإسلام والمسيحية التى سادت العصور الوسطى.

٢ - تعميق الإعلام لأزمة الأمن:

وهو ما ذكره جراهام فوللر وإيان ليسر فى كتابهما الهام (الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة) من أن الأمن والأزمات المرتبطة بالأمن والتى يفرضها العالم الإسلامى على الغرب وأيضاً تلك التى يفرضها الغرب على العالم الإسلامى ستكون مصدراً للاحتكاك.

ووجود الاستقطاب السابق سائد فى إعلام العالمين الإسلامى والغربى سيعمق أزمات الأمن على خطوط التماس بين العالمين ويعذر التعاون ويؤسس لمواجهة طويلة مرة .. والتى لن تنتهى إلا بخلاص تنموى فى العالم الإسلامى.

### خامساً: حل أزمة الفكر التنموى وتغيير "صورة" الإسلام

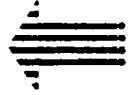
رأينا أن الاجتهادات اليسارية التي فارقت الماركسية التقليدية قد قدمت تحليلات جيدة لكيفية سيطرة الرأسمالية على مقدرات دول العالم الثالث والعالم الإسلامى من خلال تبعية هوامش هذه العوالم بمراكز الغرب ولكن من دون أن تقدم بديلاً يصلح للتطبيق التفصيلي وهي في ذلك لحقت بالاتهام الذي كان - وما يزال - موجهاً لفصائل الإسلام السياسى المختلفة ألا وهو عدم وجود برنامج تفصيلي للتنمية يصلح بديلاً لعمليات الخصخصة والتشبيك والاندماج التي تنص عليها العولمة في خطابها الأصولي.

وهو وضع يرى المؤلف أنه لن يغير من شكل تدفق أخبار العالم الإسلامى أو وضع أطر تغطيته إذا استمرت العملية الكوكبية الحالية بإيقاعها وآلياتها .. إذ لن تتغير صورة العالم الإسلامى إلا إذا تغيرت أحواله السياسية والاقتصادية بشكل جذرى يقلل من التقلصات المجتمعية الحادة التي تطفئ أى "روح" عقلانية للإصلاح .. وتترك الساحة شبه خالية للمتاجرين بالأم شعوب العالم الإسلامى ودينه.

وهو المنهج الذى يتفق فيه المؤلف مع المفكر البريطانى (فريد هاليداي) الذى اقترح برنامجاً مزدوجاً لحل أو تخفيف ما يصور على أنه نزاع ما بين الغرب والعالم الإسلامى متمثلاً فى: فصل الصعوبات الواقعية من تدهور اقتصادى وسياسى وأزمات اجتماعية عن تعبيراتها الدينية المشوشة ثم التصدى لهذه المصاعب ذاتها، باختصار لابد أن ينظر لهذه المشكلات فى ظل مفهوم كلى للعلمانية والتنمية .. هذا بالنسبة للعالم الإسلامى.

أما فيما يتعلق بالعالم الغربى فلا بد أن توضع سياسة متوازنة ذات جانبين إزاء القضايا التي يلخصها تعبير الإسلام بتكوين وعى أكبر به وبمشكلاته، وكذا بتكوين عدااء للتحيزات العرقية الدينية الموجهة ضد المهاجرين المسلمين وضد البلدان الإسلامية خاصة التي تواجه الاحتلال والقمع كما فى فلسطين المحتلة.





## ولكن ما دور الإعلام في ذلك؟

على الإعلام مناقشة أزمة التنمية في العالم الإسلامي، وليس من المتصور بالطبع أن يقوم بذلك سوى إعلام دول العالم الإسلامي ذاته بتبادل الخبرات التنموية الناجحة الفردية، والتي في شكل علاقات بين دول الجنوب أي الوطنية والإقليمية. وكذا الشروط التي يجب توافرها لإجراء تفاوض غير مجحف مع المنظمات الكوكبية كالبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

أما الاستسلام "ليقينية" خطاب العولمة الأصولي دون نقده فلن يتسبب إلا في زيادة أزمة العالم الإسلامي وسلبية صورته وتأثيره في إعلام الغرب.

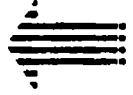


## التوصيات:

أوصى مَنْ؟ منظمة المؤتمر الإسلامي أم جامعة الدول العربية وعجز إحداها لا يقل عن عجز الأخرى .. الحكومات الإسلامية وهي إما تم اختراقها وتعملت أو تحالفت مع جماعات اقتنعت بأشد تفسيرات الإسلام جهالة وفاشية .. أم أوصى الجماهير في بلدان العالم الإسلامي وهي التي - في الأغلب - تمزقت حائرة بين الاستهلاك ولذة اللحظة وبين اليأس والقنوط من الإصلاح وهي العوامل التي تدفعها للارتقاء في أحضان جماعات متشددة جهولة أو متصوفة ضالة؟

ومع ذلك، فلا يجب أن ييأس المرء من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

فالمؤلف - حتى هذه اللحظة على الأقل - مازال مؤمناً بأن هناك فريقاً في العالم الإسلامي، مازال يرى في أفكار المعتزلة وابن رشد في تاريخ الإسلام الوسيط، وأفكار جمال الدين الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده وابن باديس ومحمد الغزالي في تاريخ



الإسلام الحديث والمعاصر ينابيع صافية لمن يريد أن يكمل أنصع ما قدم العقل المسلم. كما أن هناك فريقاً يرى في الينابيع الصافية للتصوف الإسلامى عند الحسن البصرى وإبراهيم ابن أدهم، والمحاسبى والرومى ومن قبلهم أخلاقيات الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم زاداً روحياً لمن يريد أن يتخلق بأخلاق الإسلام . ولكن من يقدم هؤلاء للجماهير الإسلامية فى شكل جذاب وبلغة يفهمها الناس. من يمكن أن يتحمل مسئولية تربية جيل مسلم عقلانى وأخلاقى فى آن واحد؟ من؟!

ولا أستطيع أن أردد - بعد عامين أمضيتهما فى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين يوليو ١٩٩٩ إلى يوليو ٢٠٠١ - قولة الأستاذ الإمام محمد عبده بعد زيارته لفرنسا فى مطلع القرن الماضى: رأيت إسلاماً دون مسلمين. الموضوعية تقتضى أن أقول بأننى رأيت قوة عظمى منفردة بقيادة العالم يدعمها نظام اقتصادى قوى وهيبة وسيادة للقانون فى الأغلب، ولكنى رأيت فى ذات الوقت أسراً ممزقة (٥٠% هى نسبة الطلاق فى المجتمع الأمريكى) وإدمان للكحول والمخدرات والجنس وعبادة للذات والقوة، وتفكيك لما أنجزه العقل الغربى ذاته منذ عصر النهضة وحتى الآن متمثلاً فى كثير من أوجه ثقافة ما بعد الحداثة.

وما بين ضعف العالم الإسلامى والهيمنة الأمريكية، أليست هناك بقعة ضوء؟! نعم هناك .. إيران. فالتجربة الإيرانية تقدم للعالم الإسلامى نموذجاً جديراً بالتقييم والتعلم من سلبياته وإيجابياته فى آن واحد .. فقد أنجزت هذه الدولة الحضارية ثورة ضد حكم ديكتاتورى فاسد، وكان عليها مأخذ كثيرة كقمع المعارضين ومحاولتها التأثير فيما حولها من دول وخاضت حرباً مع العراق لم تكن البادئة بها ولكنها لم تستجب لدعاوى السلام إلا بعد أن أجبرتها الظروف الإقليمية والدولية على ذلك. ثم نظر الشعب الإيرانى إلى أوضاعه الداخلية فوجد المرجعيات الدينية أو المللى متحالفة مع طبقة كبار التجار من أجل حفظ مصالحهما معاً واشترك فى ذلك الحرس الثورى الذى كان ينظر له على أنه

"بيورتانى" طاهر، ومع تصاعد الاحتجاج المجتمعى ضد الفساد الداخلى والعزلة الخارجية، خاضت إيران تجربة ناجحة لانتخاب رئيس جديد عام ١٩٩٧ و برلمان جديد عام ٢٠٠٠ جدد دماء الأمة واستنهض طاقاتها، وهى تجربة أبرز إيجابياتها أن الشعب الذى ساند قوى التعبير ضد الشاه هو الذى أنجز الثورة على "قوى التغيير" التى ترهلت وفسدت، وبقعة النور المضيئة فى التجربة أن التغيير كان دائماً من الشعب.

وهو أمر لو ساد معظم دول العالم الإسلامى لتغير حاله ولتحسنت تغطيته وصورته فى صحافة العالم أجمع وليس العالم الغربى فقط.

ومواجهة تحديات العولمة لا تتم بالدعاء وحده، بل بالعمل والمسألة فى تصوورى هى لعبة للقوة والبدء لابد أن يكون بفهم قواعد اللعبة التى لم نضعها حتى يتسنى لنا تعديل بعض قواعدها لصالحنا وأدعو من له القدرة على الإقناع ونفسى على توجيه خطاب عقلانى هادئ لرجال الأعمال العرب والمسلمين ينبههم لأبعاد العملية الكوكبية المتشابكة التى هم طرفاً فيها فأصول الأموال العربية والإسلامية التى تمنح عملية العولمة جزءاً كبيراً من قوتها تزيد على تريليون دولار (ألف مليار دولار) فى بنوك الولايات المتحدة وأوروبا .. وثنا أن نتصور حال العالم الإسلامى إذا تم استثمار ربع هذه الأصول فيه.

ولعل البداية تكون فى مجال المعلومات والإنترنت، فقد لفت نظر المؤلف عدم وجود واجهات عربية لمحركات البحث الشهيرة مثل (ياهو) أو مواقع البريد الإلكتروني الكبرى مثل Hotmail والعالم العربى على سبيل المثال يملك الموارد والخبرات الكفيلة بإنجاز واجهات عربية للبحث والبريد والمطلوب هو خطة عمل واضحة وإدارة حديثة لهذه المشروعات.

وكذلك يدعو المؤلف لأن تكون هذه الأموال العربية والإسلامية ذات فعالية فى التأثير فى المجال الإعلامى الدولى، فقد اشترى عدد من رجال الأعمال العرب وكالة الأنباء الدولية (يونيتيد برس) ولكن لم تنهض هذه الوكالة لتلعب دوراً مؤثراً فى تدفق الأخبار الدولية.



وكذا يوصى المؤلف بضرورة مناقشة تغطية الإسلام بمعزل عن العصبية والتشنج ولعلّى أذكر فى هذا السياق ما أثير عن مقاطعة الشركات الإعلامية الأمريكية والأوروبية التى تنتج أفلاماً تسيء للإسلام، فقد أدارت جريدتا الحياة والشرق الأوسط اللندنيتين نقاشاً موسعاً حول فيلم (الحصار) الأمريكى الذى عرض عام ١٩٩٩ ولعب بطولته بروس ويليس ودنزيل واشنطن ودعت أغلب المقالات المنشورة آنذاك لمقاطعة شركة فوكس القرن العشرين التى أنتجت الفيلم، ولكن بعد مشاهدتى للفيلم مرات عدة، وجدت أنه لا يسئ للعرب ولا للمسلمين بقدر ما يحمل على الإدارة الأمريكية التى تجند بعض الجماعات الإسلامية ثم تتخلى عنهم، فضلاً عن مناصرته حقوق وجود العرب فى الولايات المتحدة كأقلية لها الحق فى ممارسة شعائرها الدينية.



## دراسات أخرى مقترحة:

- دراسة صورة الإسلام فى وسائل الإعلام الغربية الأخرى غير الأمريكية والبريطانية مثل الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، لمقارنتها مع دراسة وسائل الإعلام الغربية الناطقة بالإنجليزية لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف وسبل المواجهة التى ربما تختلف تبعاً لرجع الصدى الموضوعى.
- دراسة مقارنة لصورة الدول الإسلامية فى الإعلام الغربى وفى إعلام دول العالم الإسلامى لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف والاستراتيجيات الناجحة لكسر تشكّل صورة العالم الإسلامى عن نفسه عن طريق وسائل الإعلام الكوكبية.
- دراسات مسحية للقائم بالاتصال فى وسائل الإعلام الكوكبية لمعرفة ضغوط نمط الملكية والسيطرة والتمويل وكذا ضغوط غرفة الأخبار ودورها فى تشكيل أطر تغطية العالم الإسلامى.



## مصادر الدراسة

### المجلات:

مجلة تايم خلال فترة الدراسة يناير - فبراير - مارس ١٩٩٧.

مجلة الإيكونوميست خلال فترة الدراسة يناير - فبراير - مارس ١٩٩٧.

### مراجع الدراسة:

#### أولاً: المراجع العربية:

##### أ) الرسائل الجامعية:

- (١) أشرف أحمد عبد المغيث: "دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للشباب المصري عن العالم الثالث"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.
- (٢) إيناس محمد أبو يوسف: "صورة العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من ١٩٨٠ - ١٩٨٩"، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- (٣) جيهان يسرى أبو العلا: "المعالجة الإعلامية لأحداث وقضايا العالم الثالث في وسائل الإعلام المصرية، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٢.
- (٤) حماد إبراهيم حامد: "صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية اليومية: دراسة مقارنة بين حقبتى الستينيات والسبعينات"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.
- (٥) راجية أحمد قنديل: "الصراع العربى الإسرائيلى فى صحيفة الجيزاليم بوست أعوام ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٦.
- (٦) شيم عبد الحميد قطب: "دراسة مقارنة لفنى القصة الخبرية والتقرير الخبرى فى الصحافتين الأمريكية والمصرية بالتطبيق على مجلتى تايم وأكتوبر"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- (٧) عزة على عزت: "صورة دول مجلس التعاون الخليجى فى الصحافة البريطانية فى الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٨١"، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٨.

- ٨) محمد حسام الدين محمود: "المسئولية الاجتماعية للصحافة المصرية، دراسة مقارنة للمضمون والقوائم بالاتصال في الفترة من ١٩٩١ - ١٩٩٤"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٦.
- ٩) هشام عطية عبد المقصود: "تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية، دراسة تحليلية مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٢"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٩٥.
- ب) الكتب العربية:
- ١٠) أحمد الرشيدى: منظمة المؤتمر الإسلامى، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧).
- ١١) أحمد محمد جمال: مفتريات على الإسلام، ط ٤، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامى، ١٩٨٥).
- ١٢) ألفت حسن أغا: الأصولية الإسلامية في الإعلام الغربى، سنسلة كراسات استراتيجية، القاهرة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٥.
- ١٣) تيرى إيجلتون: مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سبتمبر ١٩٩١.
- ١٤) ج. ب. براون، ج. بول: تحليل الخطاب، ترجمة د. محمد لطفى الزليطى، منير التريكى، (الرياض: النشر العلمى واثمطابع، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧).
- ١٥) جابر عصفور: نظريات معاصرة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨).
- ١٦) جراهام فولر، إيان ليسر: الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة، ترجمة محمد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٧).
- ١٧) جمال حمدان: انعالم الإسلامى المعاصر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧).
- ١٨) جون ستروك: البنيوية وما بعدها: من ليفى شتراوس إلى دريدا، ترجمة د. محمد عصفور، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم (٢٠٦)، ١٩٩٦).
- ١٩) جيهان أحمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٧٨).

## مراجع الكتاب

- (٢٠) حامد ربيع: فلسفة ادعائية الإسرائيلية، (بيروت: مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٠).
- (٢١) حسن حمدان العنكيد: قضايا إسلامية معاصرة، (القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧).
- (٢٢) حلمى خضر سري: صورة العرب فى الصحافة البريطانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨).
- (٢٣) رمزى زكى: وداعاً للطبقة الوسطى، (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٩٧).
- (٢٤) روبرت هيلبرونر: رأسمالية القرن ٢١، ترجمة كمال السيد، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥).
- (٢٥) سامى سند: صورة العرب فى صحافة ألمانيا الغربية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦).
- (٢٦) سمير أمين. أزمة المجتمع العربى، (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٨٥).
- (٢٧) سيد أنجراوى: محتوى الشذل فى الرواية العربية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦).
- (٢٨) صادق جلال العظم: الاستشراق معكوساً، (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١).
- (٢٩) عبد انبساط عبد المعطى: البحث الاجتماعى، محاولة نحو رؤية نقدية لنهجه وأدواته، ط ٢، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥).
- (٣٠) عبد العليم محمد: الخطاب الساداتى، تحليل الحقل الإيديولوجى للخطاب الساداتى، (القاهرة: سلسلة كتاب الأهالى، أغسطس ١٩٩٠).
- (٣١) عبد القادر طاش: صورة الإسلام فى الإعلام الغربى، ط ٢. (القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩٣).
- (٣٢) علا عبد العزيز أبو زيد (محرر)، الحركات الإسلامية فى آسيا، (القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨).
- (٣٣) على الدين هلال (محرر): معجم المصطلحات السياسية، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات انسياسية، ١٩٩٤).

- (٣٤) عواطف عبد الرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣).
- (٣٥) عواطف عبد الرحمن وآخرون: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦).
- (٣٦) فارس أشتى: الإعلام العالمي. مؤسسات، طريقة عمله وقضاياها، (بيروت: دار أمواج، ١٩٩٦).
- (٣٧) فريد هاليداي: الإسلام وخرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ترجمة محمد مستجير، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧).
- (٣٨) ليلى عبد المجيد ومحمود علم الدين: فنية الكتابة الصحفية والتحرير، (القاهرة: د. ن.، ١٩٩١).
- (٣٩) مايكل تربير، كارل نورديسيرج (محرران): أصوات قليلة وعوالم كثيرة. (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (٨١٥)، ١٩٩٤).
- (٤٠) محمد السيد سليم: العلاقات بين الدول الإسلامية، (انرياض: مطابع جامعة المنك سعود، ١٩٩١).
- (٤١) محمد الوفائي: مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط ١، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩).
- (٤٢) محمد حسنين هيكل: المقالات اليابانية، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧).
- (٤٣) محمد عمارة: الغرب والإسلام، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٩٧).
- (٤٤) محمد نصر مهنا: الوجيز في مناهج البحوث السياسية والإعلامية، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٦).
- (٤٥) محمود أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامي، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨١).
- (٤٦) محمود أمين العالم: الإسلام السياسي، الأسس الفكرية والأهداف العملية، سلسلة قضايا فكرية، عدد ٨، أكتوبر ١٩٨٩.
- (٤٧) محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، رقم ٥، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ط ١، ١٩٨٤).



- (٤٨) محمود خليل: تكنولوجيا برامج التحليل العلمى ببحوث الإعلام، (القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).
- (٤٩) ميشيل ألبير: الرأسمالية ضد الرأسمالية، (القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٥).
- (٥٠) نادية سالم: صورة العرب والإسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨).
- (٥١) هيربرت شيلر: الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة د. وجيه سمعان عبد المسيح، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣).
- (٥٢) يوخين هيلر، أندرياس لويج، الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم، (القاهرة: الفرسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٤).
- (ج) الدراسات العربية:
- (٥٣) أسامة القفاش: السينما وما بعد الحداثة، سطور، مارس ١٩٩٨.
- (٥٤) إسماعيل صبرى عبد الله: الكوكبة، الرأسمالية العالمية فى مرحلة ما بعد الإمبريالية، المستقبل العربى، عدد ٢٢٢، أغسطس، ١٩٩٧.
- (٥٥) أكبر أحمد، هاستيجز دونان، الإسلام فى عصر ما بعد الحداثة، ترجمة غادة الحلوانى، مجلة إيداع، عدد (١)، فبراير ١٩٩٨.
- (٥٦) السيد يس: فى مفهوم العولمة، المستقبل العربى، سنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨.
- (٥٧) —: السياسة السكانية والتنمية، نحو منهج مقترح لتحليل التراث العلمى، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناية، مايو ١٩٩١.
- (٥٨) راجية أحمد قنديل: أحداث العالم الثالث فى التغطية الإعلامية الدولية، بحوث الاتصال، عدد (٤)، يناير ١٩٩١.
- (٥٩) راسم الجمال: البيئة الدولية والاتصال والأمن الوطنى، بحوث الاتصال، عدد (٢)، ديسمبر ١٩٨٩.
- (٦٠) —: تدفق الإعلام من الشمال إلى الجنوب، عالم الفكر، مجلد (٢٣)، عدد (٢٢١)، يوليو/سبتمبر - أكتوبر/ديسمبر، ١٩٩٤.
- (٦١) سعيد إسماعيل على، حوار الطرشان فى إصلاح التعليم، سطور، يوليو ١٩٩٨.

## مراجع الكتاب

- (٦٢) سلوى إمام: الصدق والثبات فى استمارتى الاستقصاء وتحليل المضمون، المجلة العلمية لكلية الإعلام، العدد الأول، يونيو ١٩٨٩، ص ص ٤١ - ٦٠.
- (٦٣) صلاح سالم: العولمة، رؤى جديدة، دراسات وبحوث الدول النامية، عدد (٣)، ديسمبر ١٩٩٦.
- (٦٤) طلعت الشايب: هكذا تكلم صامويل هنتجتون، سطور، عدد (١٦)، مارس ١٩٩٨.
- (٦٥) عبد السلام النمسدى: اللغة وآليات الخطاب، سطور، ديسمبر ١٩٩٧.
- (٦٦) —————: من مخاطر الاندماج الكونى، سطور، يونيه ١٩٩٨.
- (٦٧) عبد المنعم المشاط: أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى، السياسة الدولية، عدد (٩٩)، يناير ١٩٩٠.
- (٦٨) كارلا كونينجهام: الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو: قراءة فى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الإسلام السياسى، ترجمة د. حسن جوهر، السياسة الدولية، عدد (١٢٥)، عام (٣٢)، يناير ١٩٩٧.
- (٦٩) محمد السماك: دور الإعلام فى التأثير على الثقافات والمعتقدات، الدراسات الإعلامية، عدد (٨٢)، يناير - مارس ١٩٩٦.
- (٧٠) محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، المستقبل العربى، سنة (٢٠)، عدد (٢٢٨)، فبراير ١٩٩٨.
- (٧١) محمد على العوينى: الإعلام العربى الدولى، قضايا وحلول، بحوث الاتصال، عدد (٢)، ديسمبر ١٩٨٩.
- (٧٢) نايف على عبيد: العولمة والعرب، المستقبل العربى، عدد (٢٢١)، يوليو ١٩٩٧.
- (٧٣) ندى الزركلى: أوروبا والقرآن فى العصور الوسطى، سطور، عدد (١)، ديسمبر ١٩٩٦.
- (د) المؤتمرات والندوات:
- (٧٤) أحمد برقأوى: نحو تحديد فلسفى - إنسانى لمفهوم الثقافة العالمية مدخل ميتادولوجى، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧.
- (٧٥) المصطفى الرزازى المصطفى: أطروحة الاصطدام بين الحضارات والترابط الإسلامى - الكونفوشيوسى، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧.

(٧٦) رزق الله هيلان: نمط تنمية بديلة كمشروع لحوار حضارى. المؤتمر الدولى حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية، القاهرة، ١٠ - ١٢ مارس ١٩٩٧.

#### (هـ) تقارير باللغة العربية:

(٧٧) معهد دراسات الاستراتيجية القومية بالولايات المتحدة: الراديكالية فى الشرق الأوسط، المركز العربى للدراسات الاستراتيجية، سلسلة (ترجمات استراتيجية)، عدد (١١)، السنة الثانية، يوليو ١٩٩٧.

#### (و) المقالات المنشورة فى جرائد ومجلات:

(٧٨) إدوارد سعيد: كيف تختزل صورة العربى والمسلم إلى معنى واحد هو الإرهابى، الحياة، ٢٤ فبراير ١٩٩٧.

(٧٩) إمام محمد إمام: مسلمو أوروبا وأمريكا يعيشون حياتهم فى الغرب وقلوبهم تتجه إلى الشرق، الشرق الأوسط، ١٣ مارس ١٩٩٧.

(٨٠) أنور عبد الملك: اكتشاف مسألة الحضارات، الأهرام، ١١ مارس ١٩٩٧.

(٨١) أنور عبد الملك: الجبال والرمال، الأهرام، ٢٥ فبراير ١٩٩٧.

(٨٢) إيريك وينكل: ما بعد الحداثة من منظور إسلامى، الشرق الأوسط، ١٤ مارس ١٩٩٧.

(٨٣) السيد يس: صراع حضارات أم حوار ثقافات، الأهرام، ٢٠ مارس ١٩٩٧.

(٨٤) السيد يس: نظام الفوضى فى العلاقات الدولية، الأهرام، ١٦ أكتوبر ١٩٩٧.

(٨٥) باسكال بروكيز: العالمية ثقافة من لا ثقافة له، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

(٨٦) برتران بادى: العالم مشدود بين الكونية والقومية، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

(٨٧) برهان غليون: العولمة والاندماج الإقليمى، الأهرام، ١٠ مارس ١٩٩٧.

(٨٨) بنجامين باربر: من ينتظر الإيديولوجيا أم الفيديولوجيا، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.

(٨٩) جابر عصفور: مواجهة العولمة، الحياة، ١٨ مايو ١٩٩٨.

(٩٠) جميل مطر: للكونية وجود متعددة، الأهرام، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٦.

(٩١) جواد بشارة: الإسلام الشرقى والإسلام الغربى وجهاً لوجه، القدس، ٢٦ يوليو ١٩٩٨.

## مراجع الكتاب

- (٩٢) حسن الشامي: إعادة نظر في التصورات الشائعة عن الإسلام والتاريخ، الحياة، ٨ مارس ١٩٩٨.
- (٩٣) حسين أحمد أمين: عن محاورات المتطرفين، الحياة، ٢٤ فبراير ١٩٩٧.
- (٩٤) خليل علي فهمي: حتى لا تنهار الحضارة، الغرب يبحث عن الأخلاق، الأهرام، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٦.
- (٩٥) خيرى منصور: فى الاستشراق الأمريكى .. العربى: سادى، خوون، تاجر رقيق، راكب جمال!، القدس العربى، ١٦ يوليو ١٩٩٨.
- (٩٦) —————: فى الاستشراق الأمريكى .. بدأ تبشيراً وانتهى وريثاً لتركبة بريطانيا الهرمة، القدس العربى، ١٧ يوليو ١٩٩٨.
- (٩٧) رمزى زكى: آليات الفوضى فى الاقتصاد العالمى الراهن، العربى، عدد (٤٨٢)، يناير ١٩٩٩.
- (٩٨) سلامة أحمد سلامة: دافوس مرة أخرى، الأهرام، ١٠ فبراير ١٩٩٧.
- (٩٩) صلاح الدين حافظ: الإعلام الجديد فى العولمة الجديدة، الأهرام، ١٩ مارس ١٩٩٧.
- (١٠٠) عبد العظيم أنيس: الدفاع المجيد عن التبعية، الجيل، ٢٤ يناير ١٩٩٩.
- (١٠١) عبد العليم محمد: الإعلام وتوحيد العالم، الأهرام، ١٠ يناير ١٩٩٧.
- (١٠٢) عبد القادر طاش: مسئولية المتقف العربى فى عصر المعلوماتية، الشرق الأوسط، ١٦ يونيو ١٩٩٧.
- (١٠٣) عبد الوهاب المسيرى: لماذا الفزع من الإبلية، الأهرام، ١٠ فبراير ١٩٩٧.
- (١٠٤) على حرب: الثقافة والعولمة فى الزمان والمكان، الشرق الأوسط، ٩ مارس ١٩٩٧.
- (١٠٥) فيليب لاسير: الشرق يتحدى والغرب يعترف بالتحدى، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.
- (١٠٦) كاترين سيجال: دنيا محمولة على كابلات، الأهرام، ١٩ نوفمبر ١٩٩٦.
- (١٠٧) لورنت بلس: القمر الصناعى يدخل فى استخدام الإنترنت، الشرق الأوسط، ٦ يناير ١٩٩٧.
- (١٠٨) مؤتمر العلاقات العربية الأمريكية وتحديات العولمة، الشرق الأوسط، مارس ١٩٩٧.
- (١٠٩) مارك صايغ: أسرع وإلا فاتك الإنترنت، الحياة، ٦ أبريل ١٩٩٧.
- (١١٠) محمد سيد أحمد: إعلان هاريمان، الأهرام، ٨ مايو ١٩٩٧.

- (١١١) —————: عالمنا الغربى والعولمة (٢)، الأهرام، ٢٧ مارس ١٩٩٧.
- (١١٢) —————: عصر المراجعات، ظاهرة الانتماء إلى أكثر من طبقة، الأهرام، ٢٤ نوفمبر ١٩٩٨.
- (١١٣) محمد عابد الجابرى: العولمة، أممية استهلاكية، الشرق الأوسط، ٢٢ فبراير ١٩٩٧.
- (١١٤) مصطفى كامل السيد: أزمة الدول الصناعية الجديدة فى شرق آسيا وقضية التنمية، الأهرام الاقتصادى، ١٦ مارس ١٩٩٨.
- (١١٥) مونسيكا معتوق: نظام التعليم الأمريكى يواجه مأزق القرن الحادى والعشرين، الأهرام، ٢٨ يناير ١٩٩٨.
- (١١٦) نبيل عبد الفتاح: المنظمة غير الحكومية الفاعل فى العلاقات الدولية، الأهرام، ٢٥ أكتوبر ١٩٩٦.
- (ز) مقالات عبر الإنترنت باللغة العربية:
- (١١٧) جيمس وولفسون: تحدى الإشراف، كلمة موجهة إلى مجلس محافظى البنك الدولى، هونج كونج، الصين، ٢٣ نوفمبر ١٩٩٧.

<http://www.worldbank.org/html/extdr/am97.htm>.



ثانياً: المراجع الأجنبية:

(ح) الكتب الأجنبية:

- 118) Ahmed, Manzoor. **Islamic Response to Contemporary Western Thought**, (Islamabad, Pride tiding, 1989).
- 119) Bandow, Doug et al. **Perpetuating Poverty: The World Bank, The IMF and the Developing World**, (Washington: CATO Institute Publications, 1994).
- 120) Barnevik, Percy. **Global Strategies, Insights from the World's Leading Thinkers**, (Boston: A Harvard Business Review Book, 1994).
- 121) Barry, Peter. **Beginning Theory: AN Introduction to Literary and Cultural Theory**, (London: Manchester University Press, 1995).
- 122) Bradley, Stephen et al (eds.). **Globalization, Technology and Competition**, (Boston, MA: Harvard Business School Press, 1993).

- 123) Bradly, Stephen P. et al (eds.) **Globalization, Technology and Competition. The Fusion of Computers and Telecommunications in the 1990's**, (Boston: Harvard Business School Press. 1993).
- 124) Connor, Steven. **Post-Modernist Culture: An Introduction to Theories of the Contemporary**, (Cambridge. MA: Basil Blackwell Inc., 1995).
- 125) Fairclough, Norman. **Media Discourse**, (London: Edward Arnold. 1995).
- 126) Friland, Leonard et al. **International Coverage of Beijing Spring 1989: A Comparative Approach**, (Columbia. SC: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1996).
- 127) Gamson, W. **Talking Politics**, (New York: Cambridge University Press. 1992).
- 128) Gerbner, George et al (eds.). **The Global Media Debate: Its Rise, Fall and Renewal**, (New Jersey: Norwood. 1993).
- 129) Gilroy, Bernard. **Networking in Multi-National Enterprises**, (Columbia: University of South Carolina Press. 1997).
- 130) Gladney, Dru. **Muslim Chinese: Ethnic Nationalism**, (Cambridge. MA: Harvard University Press. 1991).
- 131) Gonzalez-Manet, Enrique. **Information and Society: The New Challenges**, (New Jersey: Albex Co., 1992).
- 132) Gupta, Diapak. **The Economics of Political Violence: The Effect of Political Instability on Economic Growth**, (New York: Praeger Inc., 1990).
- 133) Hamilink, Cees et al (eds.). **Mass Communication Research and Policies**, (New Jersey: Ablex Inc., 1994).
- 134) Hartly, John. **Understanding News**, (London: Methuen Inc., 1982).
- 135) Herman, Edward et al. **The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism**, (London: Cassell Inc., 1997).
- 136) Kegley, Charles. **The Global Agenda**, (New York: McGraw-Hill Inc., 1992).
- 137) Kotler, Philip. **Marketing Management: Analysis Planning, Implementation and Control**, (New Jersey: Prentice Hall, 1997).
- 138) Lerner, Dania. **The Passing of Tradition Society Modernizing the Middle East**, (Illinois: The Free Press. 1964).
- 139) Lowe, Janet. **The Secret Empire: How 25 Multi - Nationals Rule the World**, (Illinois, Business One Irwin, 1992).
- 140) Maney, Kevin. **Mega Media**, (New York: John Wiley & Sons Inc., 1995).
- 141) McLaughlin, M. (ed.). **Communication Yearbook**, (New York: Sage Publications, 1986).
- 142) Mcquail, Denis et al. **Communication Models**, 2<sup>nd</sup> edition, (New York, Longman, 1993).

- 143) Merrill, John et al. **Modern Mass Media**, 2<sup>nd</sup> ed., (New York: Harper Collins College Publishers, 1994).
- 144) Mohammadi, Ali (ed.). **International Communication and Globalization. A Critical Introduction**, (London: Sage Publications, 1997).
- 145) Nye, Joseph. **Understanding International Conflict: An Introduction to Theory and History**, (New York: Harper Collins College Publishers, 1992).
- 146) Pearce, Robert. **The Growth and Evolution of Multi-National Enterprise**, (Vermont: Edward Elgar Publishing Company, 1993).
- 147) Powell, Bingham. **Contemporary Democracies Participation, Stability and Violence**, (Cambridge, MA, Harvard University Press, 1992).
- 148) Preston, Lee et al. **The Rules of the Game in the Global Economy**, (Boston: Kluwer Academic Publishers, 1992).
- 149) Rawls, John. **Political Liberalism**, (New York: Columbia University Press, 1995).
- 150) Rich, Bruce. **Mortgaging the Earth**, (Boston: Beacon Press, 1994).
- 151) Robinson, William (ed.). **Promoting Polyarchy: Globalization, US Intervention and Hegemony**, (New York: Cambridge University Press, 1996).
- 152) Said, Edward. **Covering Islam: How the Media and Experts Determine and See the rest of the World**, (New York: Panthen Co., 1981).
- 153) Sklair, Leslie. **Sociology of the Global System**, (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1991).
- 154) Slater, Robert et al (eds.). **Globalization, Transformation and The Third World**, (Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1993).
- 155) Taylor, Alan. **Islam and the West in the Middle East Political Thought**, (New York: Penguin, 1998).
- 156) Tolson, Andrew. **Mediations: Text and Discourse in Media Studies**, (London: Arnold Inc., 1996).
- 157) Wallerstein, Irwin. **The Capitalist World Economy**, (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1970).
- 158) Williams, Fedrick et al. **The People Right to Know: Media, Democracy and the Information Highway**, (New Jersey: LEA Publishers, 1994).
- 159) Zartman, William (ed.). **Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority**, (London: Lime Rienner Publishers, 1995).

(ط) الدراسات الأجنبية:

- 160) Andan, Mohamed. **Mass Media and Reporting Islamic Affairs**, Media Asia, Vol. 16, No. 2, 1989.
- 161) An-Naim, Abdullahi. **A New Islamic Politics Faith and Human Rights**, Journal of Middle East Studies, Vol. 75, No. 3, May/June 1996.

- 162) Barbero, Jesus-Martin. **Latin America: Cultures in the Communication Media**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, Spring 1993.
- 163) Bergsten, Fred. **Globalizing Free Trade**, Foreign Affairs, Vol. 75, No. 3, May/June 1996.
- 164) Boyle, R. and Haynes, R. **The Grand Old Games: Football, Media, and Identity in Scotland**, Media, Culture & Society 18 (4):549-564, Oct. 1996.
- 165) Chang, T. et al. **Determinants of International Flow in the US Media**, Communication Research, Vol. 1, No. 2, 1987.
- 166) Chang, Tashan-Kuo & Jae-Won Lee. **Factors Affecting Gate Keepers Selection of Foreign News**, J. Q., Vol. 69, No. 3, Fall 1992.
- 167) Chase, S. Robert. **Pivotal States and US Strategy**, Foreign Affairs, Vol. 75, No. 1, Jan./Feb. 1996.
- 168) Dorman, William & Ehsan Omeed. **Reporting Iran the Shah's Way**, (Columbia Journalism Review, Jan./Feb. 1979).
- 169) Dupree, J. **International Communication: View from a Window on the World**, Gazette, Vol. 17, No. 1, 1971.
- 170) Entman, Robert. **Framing: Towards Clarification of A Fractured Paradigm**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 4, Autumn 1993.
- 171) Fink, Edward & Walter Gantz. **A Content of Three Mass Communication Research Traditions: Social Science, Interpretive Studies, and Critical Analysis**, J. Q., Vol. 73, No. 1, Spring 1996.
- 172) Franklin, Steven. **Covering the World of the Muslims**, CJR, Vol. 37, No. 1, Jan 1995.
- 173) Galtung, J. **The Structure of Foreign News**, Journal of Peace Research, Vol. 2, No. 1, 1986.
- 174) Ganzert, Charlez & Don Flournoy. **The Weekly World Report on CNN: An Analysis**, J. Q., Vol. 69, No. 1, spring 1992.
- 175) Griffin, Michael. **Picturing the Gulf War: Constructing an Image of War in Time**, Newsweek, US News & World Report, J. Q., Vol. 72, No. 9, 1995.
- 176) Grover, Anju Chaudhary **Western and Third World Readers' Interest in Negative News**, Media Asia, Vol. 23, No. 3, 1996.
- 177) Gudykunst, William. **Cultural Variability in Communication: An Introduction**, Communication Research, Vol. 24, No. 4, August, 1997.
- 178) Hester, Al. **Theoretical Consideration in Predicting Volume and Directions of Inter Information Flow**, Gazette, Vol. 19, No. 2, 1973.
- 179) Hirsch, Paul. **Globalization of Mass Media Ownership**, Communication Research, Vol. 19, No. 6, December 1992.
- 180) Hoge, James. **Media Pervasiveness**, Foreign Affairs, Vol. 73, No. 4, July/August 1994.



- 181) Huntington, Samuel P. **The Clash of Civilization**, Foreign Affairs, Vol. 62, No. 3, May – June 1993.
- 182) Khashan, Hilal. **The New Arab Cold War**, World Affairs, Vol. 159, No. 4, Spring 1997.
- 183) Khashan, Hilal. **The New World Order and the Tempo of Militant Islam**, British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 24, No. 1, May 1997.
- 184) Kim, Kyuno et al. **The Determine of International News Flow, A Network Analysis**, Journalism Quarterly, Vol. 23, No. 3, June 1996.
- 185) Martin, Christopher et al. **Disciplining the Workforce: The News Media Frame of General Motors Plant Closing**, Communication Research, Vol. 24, No. 6, December 1997.
- 186) McChesney, Robert. **The Internet and US Communication, Policy Making in Historical and Critical Perspectives**, Journal of Communication, 46 (1), winter, pp.
- 187) Meyer, William. **Structures of North - South Information Flow: An Empirical Test of Galtung's Theory**, Journalism Quarterly, Vol. 68, No. 1.2, spring/summer 1991.
- 188) Mowlana, Hamid. **The United States and Islam: A Cultural Clash?**, (Bonn: Zeitschrift für Kulturaustausch, Vol. 42, No. 2, 1992.
- 189) Mowlana, Hamid. **Towards A NWICO for the Twenty-First Century**, Journal of International Affairs, Vol. 47, No. 1, Summer 1993.
- 190) Muzaffar, Clarke. **European Muslims and East-West European Contacts and Communication**, Zeitschrift für Kulturaustausch, 42 (4), 1997.
- 191) Nye, Joseph Jr. & William Owens. **America's Information Edge**, Foreign Affairs, Vol. 75, No. 2, March/April 1996.
- 192) Pan, Z. **Framing Analysis: An Approach to News Discourse**, Political Communication, Vol. 10, No. 1, Jan – March 1993.
- 193) Potter, James. **News from Three World in Prestige US Newspapers**, J. Q., Vol. 63, No. 1, spring 1987.
- 194) Quintos, Melinda de Jesus. **Asian Values Do They Exist?**, Media Asia, Vol. 23, No. 1, 1996, pp. 3 – 7.
- 195) Rashid, Ahmad. **The Taliban: Exporting Extremism**, Foreign Affairs, Vol. 78, No. 2, May 1990.
- 196) Robinson, Jetal. **International News in the Canadian and American Press: a Comparative News Flow Study**, Vol. 22, No. 2, 1976.
- 197) Schlesinger, Philip. **Wishful Thinking: Cultural Politics Media and Collective Identities in Europe**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993.

- 198) Semmel, Andrew. **The Study of Foreign News in Four US Elite Dailies**, J. Q., Vol. 53, No. 3, Fall 1967.
- 199) Shahin, Haluketal. **Global Media and Cultural Identity in Turkey**, Journal of Communication, Vol. 43, No. 2, spring 1993.
- 200) Sheikh, Price K. & Oshagan H. **Press Treatment of Islam: What Kind of Picture Do the Media?**, Gazette, 56 (2): 139 – 154, September 1995.
- 201) Smith, G. et al. **Prior Knowledge and the Effect of Suggested Frames of References in Advertising**, Psychology and Marketing, Vol. 14, No. 2, March 1997.
- 202) Stevenson, Robert. **Defining International Communication as a Field**, J. Q., Vol. 69, No. 3, Fall 1992.
- 203) Tehranian, Majid. **Global Communication and its Critic**, Journal of Communication, Vol. 45, No. 2, spring 1995.

(ى) مؤتمرات باللغة الإنجليزية:

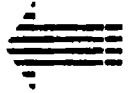
- 204) The Stanley Foundation, **US Policy in the Persian Gulf: New Beginnings**, Vontage Conference, Queen Stown, Maryland, April, 13-15 1989.
- 205) The Stanley Foundation, **Change and Stability in the Middle East: How Do We Get There From Here?**, Report of Vontage Conference, Queen Stown, Maryland, September, 6-8 1991.

(ك) تقارير باللغة الإنجليزية:

- 206) The World Bank Group: **Adjustment in Africa**, (New York: NY University Press, 1994).
- 207) United States Department of State: **United States Participation in the United Nations**, Annual Report, 1992.

(ل) مقالات عبر الإنترنت:

- 208) About the Economist Group, <http://www.economistgroup.com/about.html>.
- 209) Alberto Talavero et al, <File//D/LATEST/XOO12-MA.htm>.
- 210) James Wolfenson. **Global Trade and the Developmeny Round**, <http://www.worldbank.org/html/extpb/globaltrade>.
- 211) Pearson to Invest 250 m L in West web Content, <http://www.sako.co.za/English/>
- 212) The Economist Style Guide, <http://www.economist.com/editorial/freeforall/styleguide/toc/html>.
- 213) The International Monetary Fund: **The IMF at a Glance**, <http://www.imf.org/external/np/facts/glance.htm>.
- 214) The World Bank Group: 1996. **Global Economic Prospects and the Developing Countries**, <http://www.worldbank.org/html/extpbl/geb96eng/gepon.html>.



- 215) The World Bank Group: About the Economist Style Guide. <http://www.worldbank.org/html/extdr/about>.
- 216) The World Bank Group: Population and Development: Implications for the World Bank. <http://www.worldbank.org/html/extdr/hnp/populations/popdev/popdev.htm>.
- 217) The World Bank Group: Press Review. <http://www.WBLNOOB.worldbank.org/News/Devn/htm>.
- 218) The World Bank Group: Priorities and Strategies for Education 1995, <http://www.worldbank.org/html/extpb/priorities Education.htm>.
- 219) The World Bank Group: Private Capital Flows to Developing Countries. <http://www.worldbank.org/html/extpb/pcf/pcfeng.htm>.
- 220) World Trade Organization, <http://www.wto.org/WTO/imbrol.htm>.
- 221) World Trade Organization: 10 Common Misunderstandings about the TWO, <http://www.wto.org/10mis/htm>.





# السيرة الشخصية



د . محمد حسام الدين

\* مدرس الإعلام الدولي بكلية الإعلام — جامعة القاهرة

\* مواليد الجيزة فى ديسمبر ١٩٦٨ .

\* حصل على درجة الدكتوراه فى الإعلام بمرتبة

الشرف الأولى فى يناير ٢٠٠٢ — برنامج للإشراف

المشترك بين جامعة القاهرة وجامعة إنديانا بولاية بنسلفانيا الأمريكية.

\* حصل على درجة الماجستير فى الصحافة بتقدير ممتاز فى يناير

١٩٩٦ من كلية الإعلام جامعة القاهرة فى رسالة بعنوان “ المسئولية

الاجتماعية للصحافة المصرية ” .

\* حصل على درجة البكالوريوس فى الإعلام فى مايو ١٩٩١ من قسم

الصحافة بكلية الإعلام بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف .

\* عمل محرراً بالقسم السياسى بجريدة ( العالم اليوم ) فى الفترة من عام

١٩٩٥ إلى عام ١٩٩٩ .

\* له أوراق بحثية منشورة بموقعه على شبكة الإنترنت

[www.globalpapers.net](http://www.globalpapers.net)

عن ( الإعلام وما بعد الحداثة ) ، ( مستقبل الصحافة المطبوعة فى العالم )

Email : hosamedn2@hotmail.com

# العولمة .. وصورة الإسلام

تأليف :

د . محمد حسام الدين

الغلاف والاشراف الفنى :

وانل حسان

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٢ / ١٧٤٩٧

جميع حقوق الطبع محفوظة

**المدينة برس**   
طباعة - نشر - تسويق اسلامي

١٠ شارع النورس - التعاون - الهرم  
ص.ب : ١٦٩ الهرم تليفاكس : ٧٤٠٥٠٥٧  
محمول : ٠١٢/٣٩٥٦٠٠٢ - ٠١٠/١٤٨٥٤٤١  
Email: madenapress@hotmail.com

# منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

<https://www.facebook.com/books4all.net>